بنواحي مصر إبراهيم الخليجي، وكان من قواد بني طولون، وتخلف عن محمد بن سليمان.

وكتب إلى المكتفي عيسى النوشزي بالخبر وكثرت جموع الخليجي، وزحف إلى مصر، فخرج النوشزي هارباً إلى الإسكندرية وملك الخليجي مصر، وبعث المكتفي العساكر مع فاتك مولى أبيه المعتضد وبدر الحمامي، وعلى مقدمتهم أحمد بن كيغلغ في جماعة من القواد، ولقيهم الخليجي على العريش في صفر سنة ثلاث وتسعين ومائتين فهزمهم.

ثم تراجعوا وزحفوا إليه وكانت بينهم حروب فني فيها أكثر أصحاب الخليجي وانهزم الباقون، فظفر عسكر بغداد، ونجا الخليجي إلى الفسطاط واختفى به، ودخل قواد المكتفي المدينة وأخذوا الخليجي وحبسوه.

وكان المكتفي عندما بلغته هزيمة ابن كيغلغ، وسار ابن كيغلغ في ربيع وبرز المكتفي من ورائهم يسير إلى مصر، فجاءه كتاب فاتك بالخبر وبحبس الخليجي، فكتب المكتفي بحمله ومن معه إلى بغداد، وبرز من تكريت فبعث فاتك بهم، وحبسوا ببغداد.

ورجع عيسى النوشزي إلى مصر في منتصف ثلاث وتسعين ومائتين فلم يزل والياً عليها إلى أن توفي في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين لخمس سنين من ولايته وشهرين، وقام بأمره ابنه محمد، وولى المقتدر على مصر أبا منصور تكين الخزري، فقدمها آخر شوال من سنة سبع وتسعين ومائتين، وقام والياً عليها، واستفحلت دولة العلويين بالمغرب.

وجهز عبيد الله المهدي العساكر مع ابنه أبي القاسم سنة إحدى وثلاثمائة، فملك برقة في ذي الحجة آخرها.

ثم سار إلى مصر وملك الإسكندرية والفيوم، وبلغ الخبر إلى المقتدر، فقلد ابنه أبا العباس مصر والمغرب وعمره يومئذ أربع سنين، وهو الذي ولى الخلافة بعد ذلك ولُقّب الراضي.

ولما قلده مصر استخلف له عليها مؤنساً الخادم، وبعثه في العساكر إلى بصر وحاربهم فهزمهم.

ورجعوا إلى المغرب فأعاد عبيد الله العساكر سنة اثنتين مع قائده حامسة الكتامي.

وجاء في الأسطول فملك الإسكندرية، وسار منها إلى مصر، وجاءه مؤنس الخادم في العساكر فقاتله وهزمه.

ثم كانت بينهم وقعات، وانهزم أصحاب المهدي آخراً في منتصف اثنتين وثلاثمائة وقتل منهم نحواً من سبعة آلاف، ورجعوا إلى المغرب فقتل المهدي حامسة وعاد مؤنس إلى بغداد.

ولاية ذكاء الأعور

لم يزل تكين الخزري والياً على مصر استخلافاً إلى أن صرف آخر اثنتين وثلاثمائة، فولى المقتدر مكانه أبا الحسن ذكاء الأعور، وقدم منتصف صفر من سنة ثلاث فلم يزل والياً عليها إلى أن توفي سنة سبع وثلاثمائة لأربع سنين من ولايته.

ولاية تكين الخزري ثانية

لما صرف المقتدر ذكاء، ولى مكانه أبا منصور تكين الخزري ولاية ثانية، فقدم في شعبان سنة سبع وثلاثمائة وكان عبيد الله المهدي قد جهز العساكر مع ابنه أبي القاسم، ووصل إلى الإسكندرية في ربيع من سنة سبع وثلاثمائة وملكها.

ثم سار إلى مصر وملك الجزيرة والأشمونين من الصعيد وما إليه، وكتب أهل مكة بطاعته، وبعث المقتدر من بغداد مؤنساً الخادم في العساكر فواقع أبا القاسم عدة وقعات، وجاء الأسطول من إفريقية إلى الإسكندرية في ثمانين مركباً مدداً لأبي القاسم، وعليه سليمان بن الخادم، ويعقوب الكتامي، فسار إليهم في أسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركباً، وفيها النفط والمدد، وعليها أبو اليمن، فالتقت العساكر في الأساطيل في مرسى رشيد، فظفر أسطول طرسوس بأسطول إفريقية وأسر كثير منهم.

وقتل بعضهم وأطلق البعض، وأسر سليمان الخادم فهلك في محبسه بمصر، وأسر يعقوب الكتامي وحمل إلى بغداد فهرب منها إلى إفريقية، واتصل الحرب بين أبي القاسم ومؤنس، وكان الظفر لمؤنس، ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففني كثير منهم بالموت.

ووقع الموتان في الخيل فعاد العسكر إلى المغرب، واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم، ووصل أبو القاسم إلى القيروان منتصف السنة.

ورجع مؤنس إلى بغداد وقدم تكين إلى مصر كما مر، ولم يزل والياً عليها إلى أن صرف في ربيع من سنة تسع وثلاثمائة.

ولاية أحمد بن كيغلغ

ولاه المقتدر بعد هلال بن بدر، فقدم في جمادى وصرف

لخمسة أشهر من ولايته.

وأعيد تكين المرة الثالثة، فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وأقام والياً عليها تسع سنين إلى أن توفي في منتصف ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

وفي أيامه جدد المقتدر عهده لابنه أبي العباس على بلاد المغرب ومصر والشام، واستخلف له مؤنساً، وذلك سنة ثمان عشرة وثلاثمائة.

وقال ابن الأثير: وفي سنة إحدى وعشرين توفي تكين الخزري بمصر فولي عليها مكانه ابنه محمد، وبعث له القاهر بالخلع وثار به الجند فظفر بهم انتهى.

ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية

ولاه القاهر في شوال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بعد أن كان ولى محمد بن طغج، وهو عامل دمشق وصرفه لشهر من ولايته قبل أن يتسلم العمل، ورده إلى أحمد بن كيغلغ كما قلناه، فقدم مصر في رجب سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ثم عزل آخر رمضان من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وولي الراضي الخليفة بأن يدعى على المنبر باسمه ويزاد في ألقابه الإخشيد فقام بولاية مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما يذكر.

استيلاء ابن رائق على الشام من يد الأخشيد

كان محمد بن رائق أمير الأمراء ببغداد وقد مر ذكره، ثم نازعه مولاه تحكم وولى مكانه سنة ست وعشرين وثلاثمائة وهرب ابن رائق ثم استتر ببغداد، واستولى عليها، ورجع الخليفة من تكريت بعد أن كان قدم تحكم، ثم كتب إليه واسترده، وقد عقد الصلح مع ناصر الدولة بن حمدان من قبل أن يسمع بخبر ابن رائق.

ثم عادوا جميعاً إلى بغداد، وراسلهم ابن رائق مع أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح، فأجيب وقلده الراضي طريق الفرات وديار مضر التي هي حران والرها وما جاورها، وجند قنسرين والعواصم، فسار إليها واستقر بها.

ثم طمحت نفسه سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة إلى ملك الشام، فسار إلى مدينة حمص فملكها، وكان على دمشق بدر بن عبد الله مولى الإخشيد ويلقب بتدبير فملكها ابن رائق من يده، وسار إلى الرملة يريد مصر.

وبرز الإخشيد من مصر فالتقوا بالعريش وأكمن له الإخشيد، ثم التقيا فانهزم الإخشيد أولاً، وملك أصحاب ابن رائق سواده ونزلوا في خيامهم، ثم خرج عليهم كمين الإخشيد فانهزموا، ونجا ابن رائق إلى دمشق في فل من أصحابه.

فبعث إليه الإخشيد أخاه أبا نصير بن طغج في العسكر، فبرز إليهم ابن رائق وهزمهم، وقتل أبو نصر في المعركة، فبعث ابن رائق شلوه إلى مصر مع ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب إليه بالعزاء والاعتذار، وأن مزاحماً في فدائه، فخلع عليه ورده إلى أبيه، وتم الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق ومصر للأخشيد، والتخم بينهما للرملة.

وحمل الإخشيد عنها مائة وأربعين ألفاً كل سنة، وخرج الشام عن حكم الإخشيد وبقي في عمالة ابن رائق إلى أن قتل تحكم والبريدي.

وعاد ابن رائق من الشام إلى بغداد، فاستدعاه المتقي وصار أمير الأمراء بها، فاستخلف على الشام أبا الحسن علي بن أحمد بن مقاتل.

ولما وصل إلى بغداد قاتله كورتكين القائم بالدولة فظفر به، وحبسه، وقاتل عنه أصحابه من الديلم.

وزحف إليهم البريدي من واسط سنة ثلاثين وثلاثمائة فانهزم المتقي وابن رائق، وسار إلى الموصل وكان المتقي قد استنجد ناصر الدولة بن حمدان، فبعث إليه أخاه سيف الدولة ولقيه المتقي بتكريت، ورجع معه إلى الموصل، وقتل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن رائق، وولي إمارة الأمراء للمتقي.

فلما سمع الإخشيد بمقتل ابن رائق سار إلى دمشق، ثم استولى يوسف بعد ذلك عليها سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وولى ناصر الدولة بن حمدان في ربيع سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة على أعمال ابن رائق كلها، وهي طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وحمص أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل، وأنفذه إليها من الموصل في جماعة من القواد.

ثم ولى بعده في رجب ابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على تلك الأعمال، وامتنع أهل الكوفة من طاعته فظفر بهم وملكها.

وسار إلى حلب، وكان المتقي قد سار إلى الموصل سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة مغاضباً لأمير الأمراء تورون فأقام

بالموصل عند بني حمدان.

ثم سار إلى الرقة فأقام بها، وكتب إلى الإخشيد يشكو إليه ويستقدمه، فأتاهما النصر، ومر بحلب فخرج عنها الحسين بن سعيد بن حمدان، وتخلف عنه أبو بكر بن مقاتل للقاء الإخشيد فأكرمه، واستعمله على خراج مصر، وولى على حلب يأنس المؤنسي.

وسار الإخشيد من حلب إلى الرقة في محرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وأهدى له ولوزيره الحسين بن مقلة وحاشيته، وأشار عليه بالمسير إلى مصر والشام ليقوم بخدمته فأبى فخوفه من تورون، وأن يلزم الرقة.

وكان قد أنفذ رسله إلى تورون في الصلح وجاؤوه بالإجابة فلم يعرج على شيء من إشارته.

وسار إلى بغداد وانصرف الإخشيد إلى مصر وكان سيف الدولة بالرقة معهم فسار إلى حلب وملكها.

ثم سار إلى حمص وبعث الإخشيد عساكره إليها مع كافور مولاه، فلقيهم سيف الدولة إلى قنسرين، والتقيا هنالك وتحاربا، ثم افترقا على منعة وعاد الإخشيد إلى دمشق وسيف الدولة إلى حلب، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وسارت الروم إلى حلب وقاتلهم سيف الدولة فظفر بهم.

وفاة الإخشيد وولاية ابنه أنوجور واستبداد كافور عليه واستيلاء سيف الدولة على دمشق

ثم توفي الإخشيد أبو بكر بن طغج بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقيل خمس وولى مكانه أبو القاسم أنوجور وكان صغيراً فاستبد عليه كافور، وسار من دمشق إلى مصر فخالفه سيف الدولة، فسار إلى حلب، وزحف أنوجور في العساكر إليه فعبر سيف الدولة إلى الجزيرة، وحاصر أنوجور حلب أياماً.

ثم وقع الصلح بينهما، وعاد سيف الدولة إلى حلب وأنوجور إلى مصر، ومضى كافور إلى دمشق وولى عليها بدراً الأخشيدي المعروف بتدبير، فرجع إلى مصر فأقام يدبّر بها سنة، ثم عزل عنها وولي أبو المظفر طغج وقبض على تدبير.

وفاة أنوجور ووفاة أخيه علي واستبداد كافور عليه

ثم علت سن أبي القاسم أنوجور، ورام الاستبداد بأمره وإزالة كافور فشعر به وقتله فيما قيل مسموماً سنة ونصب أخاه علياً للأمر في كفالته، وتحت استبداده إلى أن هلك.

وفاة علي بن الإخشيد وولاية كافور

ثم توفي علي بن الإخشيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فأعلن كافور بالاستبداد بالأمر دون بني الإخشيد، وركب بالمظلة وكتب له المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالي باللّه، فلم يقبل الكنية، واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات، وكان من أعاظم الملوك جواداً ممدوحاً سيوساً كثير الخشية لله والخوف منه.

وكان يداري المعز صاحب المغرب ويهاديه، وصاحب بغداد وصاحب اليمن، وكان يجلس للمظالم في كل سبت إلى أن هلك.

وفاة كافور وولاية أحمد بن علي بن الأخشيد

ثم توفي كافور منتصف سبع وخمسين وثلاثمائة لعشرة سنين وثلاثة أشهر من استبداده منها سنتان وأربعة أشهر مستقلاً من قبل المطيع، وكان أسود شديد السواد واشتراه الإخشيد بثمانية عشر ديناراً، ولما هلك اجتمع أهل الدولة وولوا أحمد بن علي بن الإخشيد وكنيته أبو الفوارس، وقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبد اللّه بن طغج، وعلى العساكر شمول مولى جده، وعلى الأموال جعفر بن الفضل، واستوزر كاتبه جابر الرياحي، ثم أطلق ابن الفرات بشفاعة ابن مسلم الشريف، وفوض أمر مصر إلى ابن الرياحي.

مسير جوهر إلى مصر وانقراض دولة بني طغج

ولما فرغ المعز لدين اللّه من شواغل المغرب بعث قائده جوهر الصقلي الكاتب إلى مصر، وجهزه في العساكر، وأزاح

عللها.

وسار جوهر من القيروان إلى مصر، ومر ببرقة وبها أفلح مولى المعز فلقيه، وترجل له فملك الإسكندرية، ثم الجيزة.

ثم أجاز إلى مصر وحاصرها، وبها أحمد بن علي بن الإخشيد وأهل دولته.

ثم افتتحها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وقتل أبا الفوارس، وبعث بضائعهم وأموالهم إلى القيروان صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها، وانقرضت دولة بني طغج، وأذن سنة تسع وخمسين في جامع ابن طولون بـ «حيّ على خير العمل».

وتحولت الدعوة بمصر للعلوية، واختط جوهر مدينة القاهرة في موضع العسكر.

وسير جعفر بن فلاح الكتامي إلى الشام فغلب القرامطة عليه كما تقدم ذلك في أخبارهم.

الخبر عن دولة بني مروان بديار بكر بعد بني حمدان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان حق هذه الدولة أن نصل ذكرها بدولة بني حمدان كما فعلنا في دولة بني المقلد بالموصل، وبني صالح بن مرداس بحلب، لأن هذه الدول الثلاث إنما نشأت وتفرعت عن دولتهم، إلا أن بني مروان هؤلاء ليسوا من العرب، وإنما هم من الأكراد فأخرنا دولتهم حتى ننسقها مع العجم.

ثم أخرناها عن دولة بني طولون لأن دولة بني طولون متقدمة عنها في الزمن بكثير.

فلنشرع الآن في الخبر عن دولة بني مروان وقد كان تقدم لنا خبر باد الكردي واسمه الحسين بن دوشك، وكنيته أبو عبد الله وقيل كنيته أبو شجاع، وأنه خال أبي علي بن مروان الكردي، وأنه تغلب على الموصل وعلى ديار بكر، ونازع فيها الديلم ثم غلبوه عليها وأقام بجبال الأكراد.

ثم مات عضد الدولة وشرف الدولة.

ثم جاء أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسن إلى الموصل فملكاها.

ثم حدثت الفتنة بينهما وبين الديلم وطمع باد في ملك الموصل، وهو بديار بكر فسار إلى الموصل فغلبه ابنا ناصر الدولة، وقتل في المعركة، وقد مر الخبر عن ذلك كله.

فلما قتل خلص ابن اخته أبو علي بن مروان من المعركة، ولحق بحصن كيفا، وبه أهل باد وذخيرته، وهو من أمنع المعاقل فتحيل في دخوله بأن خاله أرسله، واستولى عليه وتزوج امرأة خاله.

ثم سار في ديار بكر فملك جميع ما كان لخاله باد، وزحف إليه ابنا حمدان وهو يحاصر ميافارقين فهزمهما.

ثم رجعا إليه وهو يحاصر آمد فهزمهما ثانياً، وانقرض أمرهما من الموصل، وملك أبو علي بن مروان ديار بكر وضبطها، واستطال عليه أهل ميافارقين، وكان شيخها أبو الأصغر فتركهم يوم العيد حتى أصحوا وكبسهم بالصحراء، وأخذ أبا الأصغر فألقاه من السور، ونهب الأكراد عامة البلد، وأغلق أبو علي الأبواب دونهم، ومنعهم من الدخول فذهبوا كل مذهب، وذلك كله سنة ثمانين وثلاثمائة.

مقتل أبي علي بن مروان وولاية أخيه أبي منصور

كان أبو علي بن مروان قد تزوج بنت سعد الدولة بن سيف الدولة، وزفت إليه من حلب وأراد البناء بها بآمد فخاف شيخها أن يفعل به وبهم ما فعل في ميافارقين فحذر أصحابه منه، وأشار عليهم أن ينثروا الدنانير والدراهم إذا دخل، ويقصدوا بها وجهه فيضربوه فكان كذلك.

ثم أغفله وضرب رأسه واختلط أصحابه، فرمى برأسه إليهم، وكر الأكراد راجعين إلى ميافارقين فاستراب بهم مستحفظها أن يملكوها عليه، ومنعهم من الدخول.

ثم وصل مهد الدولة أبو منصور بن مروان ثم أخو أبي علي إلى ميافارقين فأمكنه المستحفظ من الدخول فملكه، ولم يكن له فيه إلا السكة والخطبة، ونازعه أخوه أبو نصر فأقام بها مضيقاً عليه فغلبه أبو منصور، وبعثه إلى قلعة أسعرد فأقام بها مضيقاً عليه وأما آمد فتغلب عليها عبد الله شيخهم أياماً، وزوج ابنته من ابن دمنة الذي تولى قتل أبي علي بن مروان فقتله ابن دمنة، وملك آمد وبنى لنفسه قصراً ملاصقاً للسور، وأصلح أمره مع مهد الدولة بالطاعة، وهادى ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك، وانتشر ذكره.

مقتل مهد الدولة بن مروان وولاية أخيه أبي نصر

ثم إن مهد الدولة أقام بميافارقين، وكان قائده شروة متحكماً في دولته، وكان له مولى قد ولاه الشرطة، وكان مهد الدولة يبغضه ويهم بقتله مراراً، ثم يتركه من أجل شروة، فاستفسد مولاه شروة على مهد الدولة لحضوره.

فلما حضر عنده قتله وذلك سنة اثنتين وأربعمائة ثم خرج على أصحابه وقرابته يقبض عليهم كأنه بأمر مهد الدولة ثم مضى إلى ميافارقين ففتحوا له يظنونه مهد الدولة فملكها، وكتب إلى أصحاب القلاع يستدعيهم على لسان مهد الدولة، وفيهم خواجا أبو القاسم صاحب أرزن الروم، فسار إلى ميافارقين، ولم يسلم القلعة لأحد.

وسمع في طريقه بقتل مهد الدولة فرجع من الطريق إلى أرزن الروم، وأحضر أبا نصر بن مروان من أسعرد، وجاء به إلى أبيهم مروان.

وكان قد أضر ولزم قبر ابنه أبي علي بأرزن هو وزوجته فأحضره خواجا عنده، واستحلفه عند أبيه وقبر أخيه، وملك أرزن.

وبعث شروة من ميافارقين إلى أسعرد عن أبي نصر بن مروان، ففاته إلى أرزن، فأيقن بانتقاض أمره.

ثم ملك أبو نصر سائر ديار بكر، ولقب نصير الدولة، ودامت أيامه، وأحسن السيرة وقصده العلماء من سائر الآفاق وكثروا عنده.

وكان ممن قصده أبو عبد اللّه الكازروني، وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر، وقصده الشعراء ومدحوه وأجزل جوائزهم، وأقامت الثغور معه آمنة، والرعية في أحسن ملكة إلى أن توفي.

استيلاء نصير الدولة بن مروان على الرها

كانت مدينة الرها بيد عطير، وكاتبوا أبا نصر بن مروان أن يملكوه فبعث نائبه بآمد ويسمى زنك فملكها، واستشفع عطير بصالح بن مرداس صاحب حلب إلى ابن مروان فأعطاه نصف البلد، ودخل إلى نصير الدولة بميافارقين فأكرمه، ومضى إلى الرها فأقام بها مع زنك.

وحضر بعض الأيام مع زنك في صنيع، وحضر ابن النائب الذي قتله فحمله زنك على الأخذ بثأره فاتبعه لما خرج، ونادى بالثأر واستنفر أهل السوق فقتلوه في ثلاثة نفر وكمن له بنو نمير خارج البلد وبعثوا من يغير منهم عليها، فخرج زنك في العسكر.

ولما جاوز الكمين خرجوا عليه وقاتلوه وأصابه حجر فمات من ذلك فاتح ثمان عشرة وأربعمائة وخلصت الرها لنصير الدولة.

ثم شفع صالح بن مرداس في ابن عطير وابن شبل فرد إليهما البلد إلى أن باعه ابن عطير من الروم كما يأتي.

حصار بدران بن مقلد نصيبين

كانت نصيبين لنصير الدولة بن نصر بن مروان، فسار إليها بدران بن المقلد في جموع بني عقيل، وحاصرها فظهر على العساكر الذين بها، وأمدهم نصير الدولة بعسكر آخر، فبعث بدران من اعترضهم في طريقهم وهزمهم، فاحتفل ابن مروان في الاحتشاد وبعث العساكر إلى نصيبين، فخرجوا عليه فهزموه أولاً.

ثم كر عليهم ففتك فيهم، وأقام يقاتلهم حتى سمع بأن أخاه قرواش وصل إلى الموصل فخشي منه وارتحل عنها.

دخول الغز إلى ديار بكر

هؤلاء الغز من طوائف الترك، وهم الشعب الذين منهم السلجوقية، وقد تقدم لنا كيف أجازوا إلى خراسان لما قبض محمد بن سبكتكين على أرسلان بن سلجق منهم فحبسه، وما ظهر من فسادهم في خراسان وكيف أوقع بهم مسعود بن سبكتكين من بعد أبيه محمود، ففروا إلى البرية يريدون أذربيجان واللحاق بمن تقدم منهم هنالك، ويسمون العراقية بعد أن عاثوا في همذان وقزوين وأرمينية.

وعاث الآخرون في أذربيجان وقتل وهشوذان صاحب تبريز منهم جماعة، ثم عاثوا في الأكراد واستباحوهم.

ثم جاءهم الخبر بأن نيال إبراهيم أخا السلطان طغرلبك سار إلى الري فأجفلوا منها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ووصلوا أذربيجان واتصلت الأخبار بأن نيال في أثرهم، فأجفلوا ثانياً خوفاً منه، لأنهم كانوا له ولإخوته رعية.

ولما أجفلوا سلك بهم الدليل في الجبال على الزوزان،

وأسهلوا إلى جزيرة ابن عمر، فسار بعضهم إلى ديار بكر، ونهبوا قزوين ويازدي والحسنية، وبقي آخرون بالجانب الشرقي من الجزيرة، وسار آخرون إلى الموصل.

وكان سليمان بن نصير الدولة قيماً بها فراسلهم في الصلح على أن يسير معهم إلى الشام فقبلوا.

ثم صنع سليمان صنيعاً ودعا إليه ابن غزعلي وقبض عليه وحبسه.

وأجفل الغز في كل ناحية واتبعهم عساكر نصير الدولة وقرواش والأكراد البثنوية.

ثم قصدت العرب العراق للمشتى، وعاد الغز إلى جزيرة ابن عمر فحصروها، وخربوا ديار بكر نهباً وقتلاً.

وصانعهم نصير الدولة بإطلاق منصور بن غزعلي الذي حبسه سليمان فلم يكف إطلاقه من فسادهم، وساروا إلى نصيبين وسنجار والخابور، ودخل قرواش الموصل كما نبهنا، واتبعه طائفة منهم فكان من خبره معهم ما قدمناه في أخباره.

مسير الروم إلى بلد ابن مروان ثم فتح الرها

ولما كانت الدعوة العلوية قد انتشرت في الشام والجزيرة، وكان سبب ذلك أن وثاباً النميري صاحب حران والرقة يخطب لهم، فلما ولي الوزيري للعلويين على الشام، بعث إلى ابن مروان بالتهديد، وأنه يسير إلى بلاده، فاستمد ابن مروان قرواش صاحب الموصل وشبيب بن وثاب صاحب الرقة، ودعاهما إلى الموافقة، وقطع الدعوة العلوية، فأجابوه وخطبوا للقائم وقطعوا الخطبة للمستنصر، وذلك سنة ثلاثين وأربعمائة.

فقام الوزيري في ركائبه وتهددهم، وأعاد ابن وثاب خطبة العلوية بحران في ذي الحجة آخر السنة.

مقتل سليمان بن نصير الدولة

كان نصير الدولة قد ولى ابنه سليمان، ويكنى أبا حرب الأمور وكان يحاوره في الجزيرة بشرموشك بن المحلي زعيم الأكراد في حصون له هنالك منيعة، ووقعت بينهما منافرة.

ثم استماله سليمان ومكر به، وكان الأمير أبو طاهر البثنوي صاحب قلعة فنك وغيرها، وهو ابن أخت نصير الدولة، وكان صديقاً لسليمان فكان مما استماله به موشك أن زوجه بابنة أبي طاهر فاطمأن موشك إلى سليمان، وسار إلى غزو الروم بأرمينية.

وأمده نصير الدولة ابن مروان بالعساكر والهدايا، وقد كان خطب له من قبل ذلك، وأطاعه فشفع عنده في موشك فقتله سليمان، وقال لطغرلبك أنه مات.

وشكر له أبو طاهر حيث كان صهره واتخذها ذريعة إلى قتله، فخافه سليمان، وتبرأ إليه مما وقع فأظهر القبول، وولي الاجتماع ونزل من حصنه فنك لذلك.

وخرج سليمان إليه في قلة من أصحابه فقتله عبيد اللّه وأدرك من ثأر أبيه وبلغ الخبر إلى نصير الدولة فبادر بابنه نصير، وبعث معه العساكر لحماية الجزيرة.

وسمع قريش بن بدران صاحب الموصل فطمع في ملك جزيرة ابن عمر فسار إليها، واستمال الأكراد الحسنية والبثنوية، واجتمعوا على قتال نصير بن مروان فأحسن المدافعة عن بلده، وقاتلهم وجرح قريش جراحاً عديدة، ورجع إلى الموصل وأقام نصير بن مروان بالجزيرة والأكراد على خلافه.

مسير طغرلبك إلى ديار بكر

ولما انصرف طغرلبك من الموصل وملكها وفر قريش عنها ثم عاود الطاعة وذلك سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، فسار طغرلبك بعدها إلى ديار بكر وحاصر جزيرة ابن عمر.

وكان ابن مروان في خدمته وهداياه مترادفة عليه في مسيره إلى الموصل وعوده، فبعث إليه بالمال مفاداة عن الجزيرة، ويذكر ما هو بصدده من الجهاد وحماية الثغر فأفرج عنه طغرلبك، وسار إلى سنجار كما ذكرناه في أخبار قريش.

وفاة نصير الدولة بن مروان وولاية ابنه نصر

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة توفي نصير الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر، وكان لقبه القادر باللّه، ومات لاثنتين وخمسين سنة من ولايته.

وكان قد عظم استيلاؤه، وتوفرت أمواله، وحسن في عمارة الثغور وضبطها أثره.

وكان يهادي السلطان طغرلبك بالهدايا العظيمة، ومنها حبل

الياقوت الذي كان لبني بويه، اشتراه من أبـي منصـور بـن جـلال الدولة، وأرسل معه مائة ألف دينـار فحسـنت حالـه عنـده وكـان يناغي عظماء الملوك في الترف، فيشـتري الجارية بخمسـمائة دينـار وأكثر، واجتمع عنده منهن للافتراش والاستخدام أزيد من ألف.

واقتنى من الأواني والآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألـف دينار.

وجمع في عصمته بنات الملوك، وأرسـل طبـاخين إلى الديـار المصرية، وأنفق عليهم جملة حتى تعلموا الطبخ هنالك.

ووفد عليه أبو القاسم بن المغربي من أهـل الدولـة العلوية بمصر، وفخر الدولة بن جهير من الدولة العباسـية، فـأقبل عليهمـا واستوزرهما.

ووفد عليه الشعراء فوصلهم، وقصده العلماء فحمدوا عنده مقامهم، ولما تـوفي في كـان الظفـر فيهـا لنصـر واسـتقر بميافـارقين ومضى أخوه سعيد إلى آمـد فملكهـا واسـتقر الحـال بينهمـا علـى ذلك.

وفاة نصر بن نصير الدولة وولاية ابنه منصور

ثم توفي نظام الدين نصر بن نصير الدولة في ذي الحجة سنة اثنتين وسـبعين وأربعمائـة وولي ابنـه منصـور، ودبـر دولتـه ابـن الأنباري، ولم يزل في ملكه إلى أن قدم ابن جهير وملك البلاد مـن يده.

مسير ابن جهير إلى ديار بكر

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير من أهـل الموصل، واستخدم لجارية قـرواش ثـم لأخيـه بركـة، وسـار عنـه بالعوائد إلى ملك الروم.

ثم استخدم لقريش بن بدران وأراد حبسه، فاستجار ببعض بني عقيل، ومضى إلى حلب فوزر لمعز الدولة أبي ثمال بن صالح.

ثم مضى إلى عطية ولحق منهـا بنصـير الدولـة بـن مـروان، واستوزره وأصلح حال دولته.

ولما توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة دبـر أمـر ابنـه نصـر القائم بعده.

ثم هرب إلى بغداد سنة أربع وخمسـين وأربعمائـة اسـتدعى منها للوزارة فوزر بعد محمد بن منصور بن دؤاد.

ثم تداول العزل والولايـة مـرات هـو وابنـه عميـد الملـك، واستخدم لنظام الملك والسلطان طغرلبك.

وكان شفع عند الخليفة، فلمـا عـزل ابنـه آخـراً بعـث عنـه السلطان ونظام الملك وعن ابنه وجميع أقاربه، وسار إليه بأصفهـان ولقاه مبرةً وتكريماً.

وبعثه في العسـاكر لفتـح ديـار بكـر، وأخذهـا مـن يـد بـني مروان، وأعطاه الآلات وأذن له أن يخطب لنفسـه بعـد السـلطان، وينقـش اسمـه علـى السـكة فسـار لذلـك سـنة سـت وسـبعين وأربعمائة.

استيلاء ابن جهير على آمد

قد ذكرنا مسير فخر الدولة بن جهـير في العسـاكر إلى ديـار بكر، ثم أمده السلطان سـنة سـبع وسـبعين وأربعمائـة بـأرتق بـن أكسك في العساكر.

واستنجد نصر بن مروان شرف الدولـة مسـلم بـن قريـش على أن يعطيه آمد فأنجده، وسار لمظاهرته فأقصر فخر الدولـة بـن جهير عن حربهم عصبة للعرب.

وخالفه أرتق وسار في الترك إليهم وهزمهـم، ولحـق مسـلم بآمد وحاصره بها فبذل المال لأرتق.

وخلـص مـن أمـره، ولحـق بالرقـة وسـار ابـن جهـير إلى ميافارقين فرجع عنه منصور بن مزيد وابنه صدقة ومن معهما مـن العرب.

وسـار فخـر الدولـة المعـروف بـالقرم فـنزل عليهـا، وشـد حصارها ونزل يوماً بعض الحامية من السور، وأخلى مكانه فوقف فيه بعض العامة، ونـادى بشـعار السـلطان، واتبعـه سـائر الحاميـة بالسور.

وبعثوا إلى زعيم الرؤساء ابـن جهـير فركـب إليهـم وملـك البلد، وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ونصب أهل البلد بيوت النصارى الذين كـانوا يسـتخدمون لبني مروان في الجبايات، وانتقموا منهم، والله أعلم.

استيلاء ابن جهير على ميافارقين وجزيرة ابن عمر وانقراض دولة بني مروان

كان فخر الدولة بن جهير لما بعث ابنه إلى آمد، سار هو إلى ميافارقين، وأقام على حصارها منذ سنة سبع وسبعين وأربعمائة وجاءه سعد الدولة كوهرايين مدداً واشتد الحصار، وانثلم السور في بعض الأيام فنادى أهلها بشعار ملك شاه.

ودخل فخر الدولة وملك البلد، واستولى على أموال بني مروان وذخائرهم، وبعثها إلى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء، فوصل أصفهان في شوال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وسار فخر الدولة كوهرايين إلى بغداد، وكان قد بعث عسكراً لحصار جزيرة ابن عمر، فحصروها، وثار بها أهل بيت من أعيانها يعرفون ببني رهان، وفتحوا باباً صغيراً للبلد كان منفذاً للرجالة، وأدخلوا العسكر منه، وملكوه بدعوة السلطان ملك شاه.

وانقرضت دولة بني مروان ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة، وأقام في إيالة الغز.

ثم قبض عليه جكرمش وحبسه بدار يهودي فمات بها سنة تسع وثمانين وأربعمائة والبقاء لله وحده.

الخبر عن دولة بني الصفار ملوك سجستان المتغلبين على خراسان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان أهل هذه الدولة قوماً اجتمعوا بنواحي سجستان، ونسبوا لقتال الخوارج الشراة بتلك الناحية عندما اضطربت الدولة ببغداد لقتل المتوكل، وسموا أنفسهم المتطوعة.

وكان اجتماعهم على صالح بن نصير الكناني، ويقال له صالح المتطوعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث الصفار وغلبوا على سجستان وملكوها.

ثم سار إليهم طاهر بن عبد الله أمير خراسان وغلبهم عليها وأخرجهم منها.

ثم هلك صالح إثر ذلك، وقام بأمره في المتطوعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه.

وكان يعقوب بن الليث قائده، وكان درهم مضعفاً فتحيل صاحب خراسان عليه حتى ظفر به، وبعثه إلى بغداد فحبس بها، واجتمع المتطوعة على يعقوب بن الليث قائده، وكان درهم يكاتب المعتز يسأله ولايتها، وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك، وأحسن الغناء في حرب الشراة، وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم سار من سجستان إلى خراسان سنة ثلاث وخمسين ومائتين وعلى الأنبار ابن أوس فجمع لمحاربة يعقوب.

وسار إليهم في التعبية، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس، وملك يعقوب هراة وبوشنج، وعظم أمره، وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف.

استيلاء يعقوب الصفار على كرمان ثم على فارس وعودها

كان على فارس علي بن الحسين بن شبل، وكتب إلى المعتز يطلب كرمان، ويذكر عجز ابن طاهر عنها.

وكان قد أبطأ عن حرب الخوارج فكتب له المعتز بولاية كرمان، وكتب ليعقوب الصفار أيضاً بولايتها بقصد التضريب بينهما لتتمحص طاعتهما أو طاعة أحدهما.

فأرسل علي بن الحسين من فارس على كرمان طوق بن المغلس من أصحابه فسبق إليه يعقوب وملكها.

وجاء يعقوب فأقام قريباً منها شهرين يترقب خروج طوق إليه، ثم ارتحل إلى سجستان ووضع طوق أوزار الحرب، وأقبل على اللهو واتصل ذلك بيعقوب في طريقه فكر راجعاً، وأغذ السير ودخل كرمان، وحبس طوقاً.

وبلغ الخبر إلى علي بن الحسين وهو على شيراز فجمع عسكره ونزل مضيق شيراز.

وأقبل يعقوب حتى نزل قبالته، والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بأصحابه، وأجاز إلى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا.

وأخذ علي بن الحسين أسيراً، واستولى على سواده، ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل: قد وقع بينهما بعد عبور النهر حروب شديدة، وانهزم آخرها علي وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالي والأكراد، فرجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم، وازدحموا في الأبواب، وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف.

ثم افترقوا في نواحي فارس وانتهبوا الأموال.

ولما دخل يعقوب شيراز وملك فارس امتحن علياً وأخذ منه ألف بدرة ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحصى، وكتب للخليفة بطاعته، وأهدى هدية جليلة منها عشرة بازات بيض، وباز أبلق صيني، ومائة نافجة من المسك، وغير ذلك من الطرف، ورجع إلى سجستان ومعه علي وطوق في اعتقاله، ولما فارق فارس بعث المعتز عماله إليها.

ولاية يعقوب الصفار على بلخ وهراة

ولما انصرف يعقوب عن فارس ولى عليها المعتز من قبله، والخلفاء بعده، وليها الحارث بن سيما، فوثب به محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي من رجال العرب، وأحمد بن الليث من الأكراد الذين بنواحيها فقتلاه، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومائتين وأظهر دعوة المعتمد، وبعث عليها المعتمد الحسين بن الفياض، فسار إليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين ومائتين، وكتب إليه المعتمد بالنكير على ذلك.

وبعث إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان فملكها، وخرب المباني التي بناها داود بن العباس بظاهر بلخ، وتسمى بأساديانج.

ثم سار إلى كابل واستولى عليها، وقبض على رتبيل، وبعث بالأصنام التي أخذها من كابل، وملك البلاد إلى المعتمد.

وأهدى إليه هدية جليلة المقدار، وعاد إلى بست معتزماً على العود إلى سجستان فأحفظه بعض قواده بالرحيل قبله فغضب، وأقام منه إلى سجستان، ثم سار إلى خراسان وملك هراة.

ثم إلى بوشنج فملكها وقبض على عاملها الحسين بن علي بن طاهر الكبير، وكان كبير بيتهم، وشفع له فيه محمد بن طاهر صاحب خراسان فأبى من إسعافه، وبقي في قلبه، وولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع إلى سجستان.

استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر

كان بسجستان عبد الله السجزي ينازع يعقوب بن الليث، فلما قوي يعقوب واستفحل، سار عبد الله إلى خراسان، وطمع في ملكها، وحاصر محمد بن طاهر في كرسي ولايته نيسابور.

ثم تردد الفقهاء بينهم في الصلح حتى تم بينهما، وولاه محمد الطبسين وقهستان.

ثم بعث يعقوب إلى محمد في طلبه فأجاره، وأحفظ ذلك يعقوب فسار إلى محمد بنيسابور، فخام محمد عن لقائه.

ونزل يعقوب بظاهر نيسابور، وخرج إليه قرابة محمد وعمومته وأهل بيته، ودخل نيسابور واستعمل عليها، وذلك سنة تسع وخمسين ومائتين، وكتب إلى المعتمد بأن أهل خراسان استدعوه لعجز ابن طاهر وتفريطه في أمره.

وغلبه العلوي على طبرستان فكتب إليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده، وإلا سلك به سبيل المخالفين.

وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك: وهو أن محمد بن طاهر لما أصاب دولته العجز والإدبار، كاتب بعض قرابته يعقوب بن الليث الصفار، واستدعوه فكتب يعقوب إلى محمد بن طاهر بمجيئه إلى ناحيته موريا بقصد الحسن بن زيد في طبرستان.

وأن المعتمد أمره بذلك، وأنه لا يعرض لشيء من أمر خراسان، وبعث بعض قواده عيناً عليه، وعنفه على الإهمال والعجز، وقبض على جميع أهل بيته نحواً من مائة وستين رجلاً وحملهم جميعاً إلى سجستان وذلك لإحدى عشرة سنة من ولاية محمد.

واستولى يعقوب على خراسان وهرب منازعه عبد الله السجزي إلى الحسين بن يزيد صاحب طبرستان، وقد كان ملكها من لدن سنة إحدى وخمسين ومائتين، فأجاره الحسين وسار إليه يعقوب سنة ستين ومائتين، وحاربه فانهزم الحسين إلى أرض الديلم، واعتصم بجبال طبرستان وملك يعقوب سارية وآمد ورجع في طلب السجزي إلى الري وتهدد العامل على دفعه إليه فبعث به وقتله يعقوب.

استيلاء الصفار على فارس

تقدم لنا تغلب محمد بن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومائتين ومسير الصفار إليه سنة سبع وثلاثمائة ورجوعه عنها، وأنه أعاضه عنها ببلخ وطخارستان.

ثم إن المعتمد أضاف فارس إلى موسى بن بغا مع الأهواز والبصرة والبحرين واليمامة، وما بيده من الأعمال، فولي موسى على فارس من قبله عبد الرحمن بن مفلح وبعثه إلى الأهواز وأمده بطاشتمر.

وزحفوا إلى ابن واصل وسار لحرب موسى بن بغا بواسط،

فولى على الأهواز مكانه أبا الساج وأمره بمحاربة الزنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك، فلقيه علي بن أياز قائد الزنج، وهزمه وقتل.

وملك الزنج الأهواز وعاثوا فيها وأديل من أبي الساج بإبراهيم بن سيما، وسار لحرب ابن واصل، واضطربت الناحية على موسى بن بغا فاستعفى من ولايتها، وأعفاه المعتمد وطمع يعقوب الصفار في ملك فارس، فسار من سجستان ممداً، ورجع ابن واصل من الأهواز إليه، وترك محاربة ابن سيما، وأغذ السير ليفجأه عليٌّ بغتة، ففطن له الصفار وسار إليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدة السير والعطش، ولما تراءى الجمعان تخاذل أصحاب ابن واصل وانهزموا من غير قتال، وغنم الصفار في معسكره وما كانوا أصابوا لابن مفلح، واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل ذم لإعانتهم ابن واصل، وطمع في الاستيلاء على الأهواز وغيرها.

حروب الصفار مع الموفق

ولما ملك الصفار خراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه وملك فارس من يد ابن واصل، وكان المعتمد نهاه عن تلك، فلم ينته، صرح المعتمد بأنه لم يوله، ولا فعل ما فعل بإذنه، وأحضر حاج خراسان وطبرستان والري، وخاطبهم بذلك فسار الصفار إلى الأهواز سنة اثنتين أصحابه الذين أسروا بخراسان، فأبى إلا العزم على الوصول إلى الخليفة ولقائه، وبعث حاجبه درهماً يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والري وجارس والشرطة ببغداد، فولاه المعتمد ذلك كله مضافاً إلى سجستان وكرمان، وأعاد حاجبه بذلك، ومعه عمرو بن سيما فكتب يقول: لا بد من الحضور بباب المعتمد، وارتحل من عسكر مكرم جائياً.

وخرج أبو الساج من الأهواز لتلقيه لدخول الأهواز في أعماله، فأكرمه ووصله.

وسار إلى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانية، ووافاه مسرور البلخي من مكانه من مواجهة الزنج، وجاء يعقوب إلى واسط فملكها، ثم سار منها إلى دير العاقول.

وبعث المعتمد أخاه الموفق لمحاربته وعلى ميمنته موسى بن بغا، وعلى ميسرته موسى البلخي، فقاتله منتصف رجب وانهزمت ميسرة الموفق وقتل فيها إبراهيم بن سيما وغيره من القواد ثم تزاحفوا واشتدت الحرب وجاء للموفق محمد بن أوس والدواني مدداً من المعتمد، وفشل أصحاب الصفار، ولما رأوا مدد الخليفة انهزموا، وخرج الصفار، واتبعهم أصحاب الموفق، وغنموا من عسكره نحواً من عشرة آلاف من الظهر، ومن الأموال والمسك ما يؤود حمله.

وكان محمد بن طاهر معتقلاً في العسكر منذ قبض عليه بخراسان، فتخلص ذلك اليوم، وجاء إلى الموفق، وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد.

وسار الصفار إلى خوزستان فنزل جند نيسابور، وراسله صاحب الزنج على الرجوع، ويعده المساعدة فكتب له ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة.

وكان ابن واصل قد خالف الصفار إلى فارس وملكها، فكتب إليه المعتمد بولايتها، وبعث إليه الصفار جيشاً مع عمر بن السري من قواده، فأخرجه عنها وولى على الأهواز محمد بن عبيد الله بن هزارمرد الكردي.

ثم رجع المعتمد إلى سامرا والموفق إلى واسط، واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك.

وعاد إلى بغداد ومعه مسرور البلخي، وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد.

انتقاض الخجستاني بخراسان على يعقوب الصفار وقيامه بدعوة بني طاهر

كان من أصحاب محمد بن طاهر ورجالاته أحمد بن عبد الله بن خجستان، وكان متولياً على وهي من جبال سراة وأعمال باذغيس.

فلما استولى الصفار على نيسابور وخراسان، انضم أحمد هذا إلى أبيه علي بن الليث، وكان شركب الجمال قد تغلب على مرو ونواحيها سنة تسع وخمسين ومائتين وتغلب على نيسابور سنة ثلاث وستين ومائتين وأخرج منها الحسين بن طاهر، وكان لشركب ثلاثة من الولد: إبراهيم وهو أكبرهم، وأبو حفص يعمر، وأبو طلحة منصور، وكان إبراهيم قد أبلى في واقعة المغار مع الحسن بن زيد بجرجان، فقدمه الصفار، وحسده أحمد الخجستاني فخوفه عادية الصفار، وزين له الهرب.

وكان يعمر أخوه محاصراً لبعض بلاد بلخ، فاتفق إبراهيم وأحمد الخجستاني في الخروج إلى يعمر، وسبقه إبراهيم إلى الموعد ولم يلقه فسار إلى سرخس.

ولما عاد الصفار إلى سجستان سنة إحدى وستين ومائتين ولى على هراة أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص الباذغيسي، وجاء الخجستاني إلى علي بن الليث وزين له أن يقيم بخراسان نائباً عنه في أموره وأقطاعه، فطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له.

فلما ارتحلوا عن خراسان جمع أحمد الخجستاني وأخرج علي بن الليث من بلده سنة إحدى وستين ومائتين وملك تونس وأعاد دعوة بني طاهر، وملك نيسابور سنة اثنتين وستين واستقدم رافع بن هرثمة من رجالات بني طاهر فجعله صاحب جيشه وسار إلى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص وقتله، ثم قتل يعمر بن شركب، واستولى على بلاد خراسان ومحا منها دعوة يعقوب بن الليث.

ثم جاء الحسن بن طاهر أخو محمد بأصفهان ليخطب له، فأبى فخطب له أبو طلحة بن شركب بنيسابور، وانتقض الخجستاني واضطربت خراسان فتنة، وزحف إليها الحسن بن زيد فقاتلوه وهزموه.

ثم ملك نيسابور من يد عمرو بن الليث، وترك الخطبة لمحمد بن طاهر، وخطب للمعتمد ولنفسه من بعده كما هو مشروح في أخبار الخجستاني.

استيلاء الصفار على الأهواز

قد تقدم لنا استيلاء الصفار على فارس بعد خراسان.

ثم سار منها إلى الأهواز وكان أحمد بن لسوقة قائد مسرور البلخي على الأهواز قد نزل تستر، فرحل عنها ونزل يعقوب جنديسابور وفرت عساكر السلطان من تلك النواحي.

وبعث يعقوب بالخضر بن العين إلى الأهواز وعلي بن أبان والزنج يحاصرونها، فتأخروا عنها إلى نهر السدرة، ودخل الخضر الأهواز وملكها بدعوة الصفار، وكان عسكره وعسكر الزنج يغير بعضهم على بعض.

ثم أوقع الزنج بعسكره ولحق الخضر بعسكر مكرم، واستخرج ابن أبان ما كان في الأهواز، ورجع إلى نهر السدرة، وبعث يعقوب الإمداد إلى الخضر، وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالأهواز فوادع الزنج، وشحن الأهواز بالأقوات وأقام.

وفاة يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه

ثم توفي يعقوب الصفار في شوال سنة خمس وستين بعد أن افتتح الزنج، وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكة واسعة الحدود.

وافتتح زابلستان وهي غزنة وأعمالها، وكان المعتمد قد استماله وولاه على سجستان والسند، ثم تغلب على كرمان وخراسان وفارس، وولاه المعتمد على جميعها.

ولما مات قام مكانه أخوه عمرو بن الليث، وكتب إلى المعتمد بطاعته، فولاه الموفق من قبل أعمال أخيه، وهي خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد.

وبعث إليه بالخلع، فولى عمرو بن الليث على الشرطة ببغداد وسر من رأى من قبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

وخلع عليه الموفق وعمرو بن الليث وولى على أصفهان من قبله أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وولى على طريق مكة والحرمين محمد بن أبي الساج.

مسير عمرو بن الليث إلى خراسان لقتال الخجستاني

قد تقدم ذكر الخجستاني وتغلبه على نيسابور وهراة بدعوة بني طاهر سنة اثنتين وستين ومائتين فلما توفي يعقوب سار عمرو إلى خراسان سنة خمس وستين ومائتين واستولى على هراة.

وسار الخجستاني بنيسابور فقاتله فانهزم عمرو، ورجع إلى هراة.

وكان الفقهاء بنيسابور يشيعون لعمرو لولاية الخليفة إياه، فأوقع الخجستاني الفتنة بينهم بالميل إلى بعضهم، وتكرمتهم عن بعض ليشغلهم بها.

ثم سار إلى هراة سنة سبع وستين ومائتين، وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر بشيء فتركه، وخالفه إلى سجستان.

ووثب أهل نيسابور بنائبه عليهم، وأمدهم عمرو بن الليث بجنده فقبضوا على نائب الخجستاني وأقاموا بها، ورجع الخجستاني من سجستان فأخرجهم وملكها.

وكان أبو منصور طلحة بن شركب محاصراً لبلخ من قبل ابن طاهر، وكاتبه عمرو بن الليث واستقدمه، وأعطاه أموالاً

واستخلفه على خراسان، ورجع إلى سجستان.

وبقي أبو طلحة بخراسان والخجستاني يقاتله إلى أن قتل الخجستاني سنة ثماني وستين ومائتين قتله بعض مواليه كما مر في أخباره مع رافع بخراسان.

كان رافع بن هرثمة من قواد بني طاهر بخراسان، فلما ملكها يعقوب سار إليه واستقر في منزله بتامين من قرى باذغيس.

فلما قتل الخجستاني اجتمع الجيش على رافع وهو بهراة فأقروه عليهم.

وكان أبو طلحة بن شركب قد سار من جرجان إلى نيسابور، فسار إليه رافع وحاصرها، وخرج عنها أبو طلحة إلى مرو، وخطب بها وبهراة لمحمد بن طاهر، وولى على هراة من قبله.

ثم زحف إليه عمرو بن الليث فغلبه عليها، وولى عليها محمد بن سهل بن هاشم.

ورجع وبعث أبو طلحة إلى إسماعيل بن أحمد يستنجده فأنجده بعسكر سار بهم إلى مرو، وأخرج منها محمد بن سهل وخطب لعمرو بن الليث وذلك في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين.

ثم عزل المعتمد عمرو بن الليث عن سائر أعمال خراسان وقلدها الموفق محمد بن طاهر، وهو مقيم ببغداد، فاستخلف محمد عليها رافع بن هرثمة، وأقر نصر بن محمد أحمد السامانى على ما وراء النهر، فسار رافع إلى إسماعيل يستنجده على أبي طلحة فجاءه في أربعة آلاف مدداً.

واستقدم رافع أيضاً علي بن الحسين المروروذي، وساروا جميعاً إلى أبي طلحة وهو بمرو سنة اثنتين وسبعين ومائتين وغلبوه عليها ولحق بهراة، وعاد إسماعيل إلى خوارزم فجبى أموالها ورجع إلى نيسابور.

حروب عمرو مع عساكر المعتمد ومع الموفق

ولما عزل المعتمد عمرو بن الليث عن خراسان أمر بلعنه على المنابر، وأعلم حاج خراسان بذلك، وقلد محمد بن طاهر أعمالها فاستخلف عليها رافع بن الليث، وكتب المعتمد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بعزله عن أصفهان والري.

وبعث إليه العساكر لقتاله سنة إحدى وسبعين ومائتين فزحف إليه عمرو في خمسة عشر ألفاً من المقاتلة فهزمه أحمد بن عبد العزيز والعساكر واستباحوا معسكره، ودفعوه عن أصفهان والري.

وكان المعتمد لما عزله ولعنه بعث صاعد بن مخلد في العساكر إلى فارس لقتال عمرو بن الليث وإخراجه من فارس، فسار لذلك ولم يظفر، ورجع سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

ثم سار الموفق سنة أربع وسبعين ومائتين إلى فارس لحرب عمرو بن الليث، فسير عمرو قائده عباس بن إسحاق إلى شيراز، وابنه محمد بن عمرو إلى أرجان وبعث على مقدمته أبا طلحة بن شركب صاحب جيشه، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق وفت ذلك في عضد عمرو، وخام عن لقائه.

وسار الموفق إلى شيراز وارتاب بأبي طلحة فقبض عليه، وملك الموفق فارس، وعاد عمرو إلى كرمان فسار الموفق في طلبه، فلحق بسجستان على المفازة، وتوفي ابنه محمد بن عمرو بها.

وامتنعت كرمان وسجستان على الموفق فعاد إلى بغداد.

وارتاب عمرو بن الليث بأخيه علي فحبسه بكرمان، وحبس معه ابنه المعدل والليث فهربوا من محبسهم، ولحقوا برافع بن الليث عندما ملك طبرستان وجرجان من محمد بن زيد العلوي سنة سبع وسبعين ومائتين فأقاموا عنده، وهلك علي بن الليث وبقي ولداه عنده.

ثم رضي المعتمد عن عمرو بن الليث وولاه الشرطة ببغداد، وكتب اسمه على الأعلام والترسة سنة ست وسبعين ومائتين واستخلف في الشرطة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ثم سخطه لسنة ومحا اسمه من الأعلام.

ولاية عمرو بن الليث على خراسان ثانياً ومقتل رافع بن الليث

ثم سخط المعتمد رافع بن الليث لامتناعه عن تخلية قرى السلطان بالري بعد أن أمره بذلك، فكتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الري وكتب إلى عمرو بن الليث بولاية خراسان.

وحارب أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين فقاتله أخويه عمر وبكراً ابني عبد العزيز فهزمهما إلى أصفهان، وأقام بالري باقي سنته.

ثم سار إلى أصفهان فملكها سنة إحدى وثمانين ومائتين

وعاد إلى جرجان، ووافى عمرو بن الليث خراسان والياً عليها بجموعه.

وتورط رافع بن ا لليث ورجع إلى مصالحة محمد بن زيد، على أن يعيد إليه طبرستان فصالح محمد بن زيد، وخطب له بطبرستان سنة اثنتين وثمانين ومائتين على أن يمده بأربعة آلاف من الديلم.

وسار عن طبرستان إلى نيسابور سنة ثلاث وثمانين ومائتين فحاربه عمرو وهزمه إلى أبيورد، وأخذ منه المعدل والليث ابني أخيه.

ثم أراد رافع المسير إلى هراة فأخذ عليه عمرو الطريق لسرخس وسرب رافع في المضايق ونكب عن جمهور الطريق فدخل نيسابور وحاصره فيها عمرو بن الليث.

ثم برز للقائه واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وبعث إلى محمد بن وهب يستمده كما شرط له.

وكان عمرو قد حذر محمد بن زيد من إمداده فأقصر من ذلك، وتفرق عن رافع أصحابه وغلمانه، وكانوا أربعة آلاف غلام.

وفارقه محمد بن هارون إلى أحمد بن إسماعيل بن سمان ببخارى، وخرج رافع منهزماً إلى خوارزم في فل من العسكر، وحمل بقية المال والآلة، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

فلما رآه صاحب خوارزم أبو سعيد الغرغاني في قلة من العسكر، غدر به وقتله في أول شوال، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور فأنفذه عمرو إلى بغداد.

فكتب إليه المعتضد بولاية الري مضافة إلى خراسان، وأنفذ له الألوية والخلع سنة أربع وثمانين ومائتين.

استيلاء بني سامان على خراسان وهزيمة عمرو بن الليث وحبسه ثم مقتله

لما بعث عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى المعتضد، طلب ولاية ما وراء النهر فولاه وبعث إليه بالخلع واللواء، فسرح عمرو الجيوش من نيسابور مع قائده محمد بن بشير وغيره من قواده لمحاربة إسماعيل بن أحمد، وانتهوا إلى آمد فعبر إسماعيل جيحون وهزمهم، وقتل محمد بن بشير وغيره من قواده، ورجع الفل إلى عمرو بنيسابور.

وعاد إسماعيل إلى بخارى وتجهز للسير إلى إسماعيل، وسار إلى بلخ.

وبعث إليه إسماعيل: إنك قد حزت الدنيا العريضة فاتركني في هذا الثغر فأبى.

وعبر إسماعيل وأخذ عليه الجهات فصار محصوراً، وندم وطلب المحاجزة فأبى إسماعيل، وقاتله فانهزم عمرو ونكب عن طريق العسكر إلى مضيق ينفرد فيه وتوارى في أجمة فوحلت به دابته، ولم يتفطن له أصحابه، فأخذ أسيراً وبعث به إسماعيل إلى المعتضد، بعد أن خيره فاختار المسير إليه، ووصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين وأدخل على جمل وحبس.

وبعث المعتضد إلى إسماعيل بولايته خراسان إلى أن توفي المعتضد.

وجاء المكتفي إلى بغداد، وكان في نفسه إصطناعه، وكره ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله فوضع عليه من قتله سنة تسع وثمانين ومائتين.

ولاية طاهر بن محمد بن عمرو على سجستان وكرمان ثم على فارس

ولما أسر عمرو وسار إلى محبسه، قام مكانه بسجستان وكرمان حافده طاهر بن محمد بن عمرو، وهو الذي مات أبوه محمد بمفازة سجستان عندما هرب عمرو أمام الموفق من فارس، ثم سار طاهر إلى فارس، وسار إليها في الجيوش سنة ثمان وثمانين ومائتين واعترضه بدر، فعاد طاهر إلى سجستان، وملك بدر فارس وجبى أموالها.

ثم بعث طاهر بن محمد سنة تسع وثمانين ومائتين يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله، وكان المعتضد قد توفي، فعقد له المكتفي عليها، وتشاغل طاهر بالصيد واللهو، ومضى إلى سجستان فغلب على الأمر بفارس الليث ابن عمه علي بن الليث، وسيكري مولى جده عمرو، وكان معهما أبو قابوس قائد طاهر، فلحق بالخليفة المكتفي وكتب طاهر رده بما جباه من المال، ويحتسب له من جملته فلم يجب إلى ذلك.

استيلاء الليث على فارس ثم مقتله واستيلاء سيكري

ولما تغلب سيكري على فارس لحق الليث بن علي بطاهر ابن عمه وزحف طاهر إلى فارس فهزمه السيكري وأسره، وبعث به وبأخيه يعقوب إلى المقتدر سنة سبع وتسعين ومائتين وضمن فارس بالحمل الذي كان قرره فولاه على فارس.

ثم زحف إليه الليث بن علي بن الليث فملك فارس الليث للقائهم وجاءه الخبر بأن الحسين ابن حمدان صار من قم مدداً لمؤنس، فركب لاعتراضه، وتاه الدليل عن الطريق فأصبح على معسكر مؤنس فثاروا واقتتلوا وانهزم عسكر الليث، وأخذ أسيراً، وأشار أصحاب مؤنس بأن يقبض على سيكري معه، ويملك بلاد فارس، ويقره الخليفة فوعدهم بذلك، ودس إلى سيكري بأن يهرب إلى شيراز.

وأصبح يلوم أصحابه على ظهور الخبر من جهتهم، وعاد بالليث إلى بغداد واستولى سيكري على فارس، واستبد كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على أموره، فسعى فيه أصحابه عند سيكري حتى قبض عليه، وحملوه على العصيان فمنع الحمل، فكتب هو من محبسه إلى الوزير ابن الفرات يعرفه بأمرهم وكتب ابن الفرات إلى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود إلى فارس ويعاتبه حيث لم يقبض على سيكري فسار مؤنس إلى الأهواز، وراسله سيكري وهاداه.

وعلم ابن الفرات بميل مؤنس إليه فأنفذ وصيفاً وجماعة من القواد ومعهم محمد بن جعفر وأمرهم بالتعويل عليه في فتح فارس وكتب إلى مؤنس باستصحاب الليث إلى بغداد ففعل، وسار محمد بن جعفر إلى فارس ودافعَ سيكري على شيراز فهزمه، وحاصره بها وحاربه ثانية فهزمه ونهب أمواله، ودخل سيكري مفازة خراسان فظفرت به جيوش خراسان وأسروه، وبعثوا به إلى بغداد.

وولي على فارس فتح خادم الأفشين.

انقراض ملك بني الليث من سجستان وكرمان

وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين توفي فتح صاحب فارس، فولى المقتدر مكانه عبد الله بن إبراهيم المسمعي وأضاف إليه كرمان من أعمال بني الليث.

وسار أحمد بن إسماعيل بن سامان إلى الري فبعث منها جيوشه إلى سجستان سنة ثمان وتسعين ومائتين مع جماعة من قواده وعليهم الحسن بن علي المروروذي.

وكانت سجستان لما أسر طاهر سنة سبع وتسعين ومائتين ولي بها بعده الليث بن علي بن الليث.

فلما أسر الليث كما تقدم ولي بعده أخوه المعدل بن علي بن الليث، فلما بلغه مسير هذه العساكر إليه من قبل أحمد بن إسماعيل بعث أخاه أبا علي بن الليث محمد بن علي بن الليث إلى بست والرخج ليجبيهما، ويبعث منهما إلى سجستان بالميرة، فسار إليه أحمد بن إسماعيل بن سامان، وعلى سجستان أبو صالح منصور ابن عمه إسحاق بن أحمد بن إسماعيل بن سامان لما بلغه مسير سيكرى من فارس إلى سجستان في المفازة، فبعث إليه جيشاً فأخذه، وكتب الأمير أحمد إلى المتقدر بالخبر وبالفتح، فأمره بحمل سيكري والليث، فبعث بهما إلى بغداد وحبسهما.

ثورة أهل سجستان بأصحاب ابن سامان ودعوتهم إلى بني عمرو بن الليث بن الصفار ثم عودهم إلى طاعة أحمد بن إسماعيل بن سامان

كان محمد بن هرمز ويعرف بالمولى الصندلي خارجياً وهو من أهل سجستان.

خرج أيام بني سامان وأقام ببخارى، وسخط بعض الأعيان بها فسار إلى سجستان، واستمال جماعة من الخوارج رئيسهم ابن الحفار فخرجوا، وقبضوا على منصور بن إسحاق عاملهم من بني سامان وحبسوه، وولوا عليهم عمرو بن يعقوب بن محمد بن الليث، وخطبوا له، فبعث أحمد بن إسماعيل الجيوش ثانياً مع الحسين بن علي سنة ثلاثمائة، وحاصرها ستة أشهر، ومات الصندلي فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفار إلى الحسين بن علي، وخرج منصور بن إسحاق من محبسه.

واستعمل أحمد بن إسماعيل على سجستان سيمجور الدواني، ورجع الحسين بالجيوش إلى الأمير أحمد ومعه يعقوب وابن الحفار في ذي الحجة سنة ثلاثمائة.

استيلاء خلف بن أحمد بن علي على سجستان ثم انتقاضهم عليه

كان خلف بن أحمد من ذرية عمرو بن الليث الصفار، وهو بسطة برسمه بانوا ولما فشل أمر بني سامان استولى على سجستان وكان من أهل العلم ويجالسهم.

ثم حج سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين من أصحابه.

فلما عاد من الحج انتقض عليه طاهر بن الحسين من أصحابه، فسار خلف إلى بخارى مستجيشاً بالأمير منصور بن سامان، فبعث معه العساكر وملك سجستان، وكثرت أمواله وجنوده.

وقطع ما كان يحمله إلى بخارى، فسارت العساكر إليه ومقدمهم وحاصروا خلف بن أحمد في حصن أوال من أمنع الحصون وأعلاها.

ولما اشتد به الحصار وفنيت الأموال والآلات، كتب إلى نوح بن منصور صاحب بخارى بأن يستأمنه، ويرجع إلى دفع الحمل، فكتب نوح بن منصور إلى أبي الحسن بن سيمجور عامله على خراسان وقد عزل بالمسير إلى حصار خلف، فسار من قهستان إلى سجستان وحاصر خلف، وكانت بينهما مودة، فأشار عليه سيمجور بتسليم حصن أرك للحسن لتفرق الجيوش عنه إلى بخارى، ويرجع هو إلى شأنه مع صاحبه، فقبل خلف مشورته.

ودخل سيمجور إلى حصن أرك وخطب فيه للأمير نوح.

ثم سلمه للحسن بن طاهر وانصرف إلى بخارى، وكان هذا أول وهن دخل على بني سامان من سوء طاعة أصحابهم.

استيلاء خلف بن أحمد على كرمان ثم انتزاع الديلم لها

ولما استفحل أمر خلف بسجستان حدث نفسه بملك كرمان، وكانت في أيدي بني بويه وملكهم يومئذ عضد الدولة، فلما وهن أمرهم، ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة ابني عضد الدولة، جهز العساكر إلى كرمان وعليهم عمرو ابنه وقائدهم يومئذ تمرتاش من الديلم.

فلما قاربها عمرو هرب تمرتاش إلى بردشير وحمل ما أمكنه، وغنم عمرو الباقي وملك كرمان وجبى الأموال.

وكان صمصام الدولة صاحب فارس، فبعث العساكر إلى تمرتاش مع أبي جعفر وأمره بالقبض عليه لاتهامه بالميل إلى أخيه بهاء الدولة، فسار وقبض عليه، وحمله إلى شيراز.

وسار بالعساكر إلى عمرو بن خلف فقاتله عمرو بدار زين وانهزم الديلم وعادوا على طريق جيرفت، وبعث صمصام الدولة عسكراً آخر مع العباس بن أحمد من أصحابه، فلقوا عمرو بن خلف بالسيرجان في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة فهزموه وعاد إلى أبيه بسجستان مهزوماً، ووبخه ثم قتله.

ثم عزل صمصام الدولة العباس عن كرمان فأشاع خلف بأن أستاذ هرمز سمه، واستنفر الناس لغزو كرمان، وبعثهم مع ابنه طاهر، فانتهوا إلى برماشير وملكوها من الديلم، ولحق الديلم بجيرفت واجتمعوا بها، وبعثوا بها إلى بردشير حامية من العسكر، وهو أصل بلاد كرمان ومصرها فحصرها طاهر ثلاثة أشهر، وضيق على أهلها، وكتبوا إلى أستاذ هرمز يستمدونه قبل أن يغلبهم عليها طاهر، فخاطر بنفسه، وكتب إليهم المضايق والأوعار حتى دخلها، وعاد طاهر إلى سجستان واستنفر الناس لغزو الديلم بجيرفت، واجتمعوا بها وبعثوا إلى بردشير حامية من العسكر، وهو أصل بلاد كرمان، وذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها ومقتله

كان طاهر بن خلف من العقوق لأبيه على عظيم وانتقض عليه وجرت بينهما وقائع كان الظفر بها لخلف، ففارق طاهر سجستان وسار إلى كرمان، وبها الديلم عسكر بهاء الدولة فصعد إلى جبالها، واحتمى بقوم هنالك كانوا عصاة، ونزل على جيرفت فملكها، ولقيه الديلم فهزمهم، واستولى على الكثير مما بأيديهم فبعث بهاء الدولة عسكراً مع أبي جعفر بن أستاذ هرمز، فغلب طاهراً على كرمان فعاد إلى سجستان، وقاتل أباه فهزمه، وملك البلاد وامتنع أبوه خلف ببعض حصونه، وكان الناس قد سئموا منه لسوء سيرته، فرجع إلى مخادعة ابنه، فتواعد اللقاء تحت القلعة، وأكمن له بالقرب كميناً، فلما لقيه الكمين واستمكن منه أبوه خلف فقتله أبوه.

استيلاء محمود بن سبكتكين على سجستان ومحو آثار بني الصفار منها

كان خلف بن أحمد قد بعث ابنه طاهراً إلى قهستان فملكها.

ثم إلى بوشنج كذلك وكانت هي وهراة لبغراجق عم محمود، وكان محمود مشتغلا بالفتنة مع قراد بني سامان، فلما فرغ منها استأذنه عمه في إخراج طاهر بن خلف فأذن له.

وسار إليه سنة تسعين وثلاثمائة ولقيه بنواحي بوشنج فهزمه، ولج في طلبه فكر عليه طاهر وقتله، فساء ذلك محموداً وجمع عساكره وسار إلى خلف بن أحمد، وحاصره بحصن أصبهيل، وضيق عليه حتى بذل له أموالاً جليلة، وأعطاه الرهن عليها فأفرج عنه.

ثم عهد خلف بملكه إلى ابنه، وعكف على العبادة والعلم خوفاً من محمود بن سبكتكين فلما استولى طاهر على الملك عق أباه وكان من أمره ما تقدم.

ولما قتل طاهر تغيرت نيات عساكره، وساءت فيه ظنونهم، واستدعوا محمود بن سبكتكين وملكوه مدينتهم.

وقعد خلف في حصنه وهو حصن الطاق، له سبعة أسوار محكمة، وعليها خندق عتيق له جسر يرفع ويحط عند الحاجة، فحاصره محمود سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وطم الخندق بالأعواد والتراب في يوم واحد، وزحف لقتاله بالفيول.

وتقدم عظيمها فاقتلع باب الحصن بنابه وألقاه، وملك محمود السور الأول ودفع عنه أصحاب خلف إلى السور الثاني، ثم إلى الثالث كذلك فخرج خلف واستأمن، وحضر عنده محمود وخيره في المقام حيث شاء من البلاد فاختار الجوزجان، وأقام بها أربع سنين.

ثم نقل عنه الخوض في الفتنة، وأنه راسل أيلكخان يغريه بمحمود، فنقله إلى جردين وحبسه هنالك إلى أن هلك سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وورثه ابنه أبو حفص.

ولما ملك محمود سجستان واستنزل خلف من حصن الطاق، ولى على سجستان أحمد الفتحي من قواد أبيه.

ثم انتقض أهل سجستان فسار إليهم محمود سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة في ذي الحجة، وحصرهم في حصن أرك واقتحمه عليهم عنوة وقتل أكثرهم وسبى باقيهم حتى خلت سجستان منهم، وصفا ملكها له فأقطعها أخاه نصراً مضافة إلى نيسابور، وانقرض ملك بني الصفار وذويهم من سجستان والبقاء لله وحده.

الخبر عن دولة بني سامان ملوك ما وراء النهر المقيمين بها الدولة العباسية وأولية ذلك ومصادره

أصل بني سامان هؤلاء من العجم، كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها، وينتسبون في الفرس إلى بهرام حشيش الذي ولاه كسرى أنوشروان مرزبان أذربيجان.

وبهرام حشيش من أهل الري ونسبهم إليه هكذا أسد بن سامان خذاه بن جثمان بن طغان بن نوشردين بن بهرام نجرين بن بهرام حشيش، ولا وثوق لنا بضبط هذه الأسماء.

وكان لأسد أربعة من الولد: نوح وأحمد ويحيى والياس، وأصل دولتهم هذه فيما وراء النهر أن المأمون لما ولي خراسان اصطنع بني أسد هؤلاء، وعرف لهم حق سلفهم واستعملهم.

فلما انصرف إلى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد من قرابة الفضل بن طاهر، مكان ابنه إسحاق ومحمد بن الياس.

ثم مات أحمد بن أسد بفرغانة سنة إحدى وستين، وكان له من الولد سبعة: نصر ويعقوب ويحيى وإسماعيل وإسحاق وأسد، وكنيته أبو الأشعث، وحميد وكنيته أبو غانم.

ولما توفي أحمد وكانت سمرقند من أعماله، استخلف عليها ابنه نصراً، وأقام في ولايتها أيام بني طاهر وبعدهم.

وكان يلي أعماله من قبل ولاة خراسان إلى حين انقراض أمر بني طاهر واستولى الصفار على خراسان.

ولاية نصر بن أحمد على ما وراء النهر

ولما استولى الصفار على خراسان، وانقرض أمر بني طاهر، عقد المعتمد لنصر بن أحمد على أعمال ما وراء النهر، فبعث جيوشه إلى شط جيحون مسلحة من عبور الصفار فقتل مقدمهم، ورجعوا إلى بخارى، وخشيهم واليها على نفسه ففر عنها، وولوا عليهم ثم عزلوا، ثم ولوا ثم عزلوا، فبعث نصر أخاه إسماعيل على شط بخارى، وكان يعظم محله ويقف في خدمته.

ثم ولى على غزنة أبا إسحاق بن التكين.

ثم ولى على خراسان من بعد ذلك رافع بن هرثمة بولاية بني طاهر وأخرج عنها الصفار.

وحصلت بينه وبين إسماعيل أعمال خوارزم فولاه إياها، وفسد ما بين إسماعيل وأخيه نصر، وزحف إليه سنة اثنتين وسبعين فأرسل قائده حمويه بن علي إلى رافع يستنجده، فسار إليه بنفسه منها، وأصلح بينهما ورجع إلى خراسان.

ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين، وظفر إسماعيل بنصر.

ولما حضر عنده ترجل له إسماعيل وقبل يده ورده إلى كرسي إمارته بسمرقند، وأقام نائباً عنه ببخارى، وكان إسماعيل خيراً مكرماً لأهل العلم والدين.

وفاة نصر بن أحمد وولاية أخيه إسماعيل على ما وراء النهر

ثم توفي نصر سنة تسع وسبعين ومائتين، وقام مكانه في سلطان ما وراء النهر أخوه إسماعيل وولاه المعتضد، ثم ولاه خراسان سنة سبع وثمانين ومائتين.

وكان سبب ولايته على خراسان أن عمرو بن الليث كان المعتضد ولاه خراسان، وأمره بحرب رافع بن هرثمة فحاربه وقتله، وبعث برأسه إلى المعتضد، وطلب منه ولاية ما وراء النهر، فولاه وسير العساكر لمحاربة إسماعيل بن أحمد مع محمد بن بشير من خواصه، فانتهوا إلى آمد بشط جيحون.

وعبر إليهم إسماعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير، ورجع إلى بخارى فسار عمرو بن الليث من نيسابور إلى بلخ يريد العبور إلى ما وراء النهر، فبعث إليه إسماعيل يستعطفه بأن الدنيا العريضة في يدك وإنما لي هذا الثغر فأبى وليج، وعبر إسماعيل النهر وأحاط به، وهو على نجد فصار محصوراً وسأل المحاجزة فأبى إسماعيل، وقاتله فهزمه، وأخذه بعض العسكر أسيراً، وبعث به إلى سمرقند، ثم خيره في إنفاذه إلى المعتضد فاختاره، فبعث به إليه، ووصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين وأدخل على جمل وحبس وأرسل المعتضد إلى إسماعيل بولاية خراسان كما كانت لهم فاستولى عليها، وصارت بيده.

ولما قتل عمرو بن الليث طمع محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والديلم في ملك خراسان، فسار إليها وهو يظن أن إسماعيل بن أحمد لا يريدها ولا يتجاوز عمله، فلما سار إلى جرجان وقد وصل كتاب المعتضد إلى إسماعيل بولاية خراسان، فكتب إليه ينهاه عن المسير إليها فأبى، فسرح إليه محمد بن هارون قائد رافع، وكان قد فارقه عند هزيمته ومقتله.

ولحق بإسماعيل فسرحه في العساكر لقتل محمد بن زيد العلوي ولقيه على بجرجان فانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هارون عسكره، وأصابت محمد بن زيد جراحات هلك لأيام منها، وأسر ابنه زيد فأنزله إسماعيل بخارى وأجرى عليه، وسار محمد بن هارون إلى طبرستان فملكها، وخطب فيها لإسماعيل وولاه إسماعيل عليها.

استيلاء إسماعيل على الري

كان محمد بن هارون قد انتقض في طبرستان على إسماعيل وخلع دعوة العباسية وكان الوالي على أهل الري من قبل المكتفي أغرتمش التركي، وكان سيِّئ السيرة فيهم فاستدعوا محمد بن هارون من طبرستان فسار إليها، وحارب أغرتمش فقتله، وقتل ابنين له وأخاه كيغلغ من قواد المكتفي، واستولى على الري فكتب المكتفي إلى إسماعيل بولاية الري، وسار إليها فخرج محمد بن هارون عنها إلى قزوين وزنجان وعاد إلى طبرستان، واستعمل إسماعيل بولاية الذين على جرجان فارس الكبير وألزمه بإحضار محمد بن هارون، فكاتبه فارس، وضمن له إصلاح حاله، فقبل قوله وانصرف عن حسان الديلمي إلى بخارى في شعبان سنة تسعين ومائتين، ثم قبض في طريقه وأدخل إلى بخارى مقيداً، فحبس بها ومات لشهرين.

وفاة إسماعيل بن أحمد وولاية ابنه أحمد

ثم توفي إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر في منتصف سنة خمس وتسعين ومائتين، وكان يلقب بعد موته بالماضي، وولي بعده أبو نصر أحمد، وبعث إليه المكتفي بالولاية، وعقد له لواءً بيده، وكان إسماعيل عادلاً حسن السيرة حليماً.

وخرجت الترك في أيامه سنة إحدى وتسعين ومائتين إلى ما وراء النهر في عدد لا يحصى، يقال كان معهم سبعمائة قبة، وهي لا تكون إلا للرؤساء، فاستنفر لهم إسماعيل الناس، وخرج من الجند والمتطوعة خلق كثير.

وخرجوا إلى الترك وهم غارون فكبسوهم مصبحين، وقتلوا منهم ما لا يحصى وانهزم الباقون، واستبيح عسكرهم.

ولما مات ولي ابنه أبو نصر أحمد واستوثق أمره ببخارى بعث عن عمه إسحاق بن أحمد من سمرقند فقبض عليه وحبسه.

ثم عبر إلى خراسان ونزل نيسابور، وكان فارس الكبير مولى أبيه عاملاً على جرجان.

وكان ظهر له أن أباه عزله عن جرجان بفارس هذا، وكان فارس قد ولي الري وطبرستان، وبعث إلى إسماعيل بن أحمد بثمانين حملاً من المال، فلما سمع بوفاة إسماعيل استردها من الطريق، وحقد له أبو نصر ذلك كله، فخافه فارس.

فلما نزل أبو نصر نيسابور كتب فارس إلى المكتفي يستأذنه في المسير إليه، وسار في أربعة آلاف فارس، وأتبعه أبو نصر فلم يدركه.

وتحصن منه عامل أبي نصر بالري، ووصل إلى بغداد فوجد المقتدر قد ولي بعد المكتفي، وقد وقعت حادثة ابن المعين فولاه المقتدر ديار ربيعة، وبعثه في طلب بني حمدان، وخشي أصحاب المقتدر أن يتقدم عليهم فوضعوا عليه غلاماً له فسمه ومات بالموصل، وتزوج الغلام امرأته.

استيلاء أحمد بن إسماعيل على سجستان

كانت سجستان في ولاية الليث بن علي بن الليث، وخرج إلى طلب فارس فأسره مؤنس الخادم، وحبس ببغداد وولى على سجستان أخوه المعدل، ثم سار أبو نصر أحمد بن إسماعيل سنة سبع وتسعين من بخارى إلى الري، ثم إلى همراة وطمع في ملك سجستان، فبعث إليه العسكر في محرم سنة ثمان وتسعين مع أعيان قواده: أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وسيمجور الدواتي والحسين بن علي المروروذي.

فلما بلغ الخبر إلى المعدل بعث أخاه محمد بن علي إلى بست والزنج فحاصرته العساكر بسجستان وسار أحمد بن إسماعيل إلى بست فملكها، وأسر محمد بن علي، وبلغ الخبر إلى المعدل فاستأمن إلى الحسين فملكها، وحمل المعدل معه إلى بخارى.

وولى الأمير على سجستان أبا صالح منصور بن عمه إسحاق بن أحمد، وكان قد قبض على إسحاق لأول ولايته، ثم أطلقه الآن وأعاده إلى سمرقند وفرغانة.

وقد كان سيكري هزمته عساكر المقتدر بفارس، وخرج إلى مفازة سجستان فبعث الحسين عسكراً لاعتراضه، وأخذ أسيراً، وبعثوا به وبمحمد بن علي إلى بغداد، وبعث المقتدر إلى أحمد بالخلع والهدايا.

ثم انتقض أهل سجستان على سيجور الدواني وولوا منصور ابن عمه إسحاق على نيسابور.

مقتل أبي نصر أحمد بن إسماعيل وولاية ابنه نصر

ثم قتل أبو نصر أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر آخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وكان مولعاً بالصيد، فخرج إلى بربر متصيداً، وكان له أسد يربط كل ليلة على باب خيمته فأغفل ليلة، فعدا عليه بعض غلمانه وذبحوه على سريره، وحمل إلى بخارى فدفن بها ولقب الشهيد، وقتل من وجد من أولئك الغلمان.

وولى الأمير مكانه ابنه أبا الحسن نصر بن أحمد، وهو ابن ثمان سنين، ولقب السعيد.

وتولى الأمور له أصحاب أبيه ببخارى، وحمله على عاتقه أحمد بن الليث مستولي الأمور، وانتقض عليه أهل سجستان، وعم أبيه إسحاق بن أحمد بسمرقند.

وابناه منصور والياس ومحمد بن الحسين ونصر بن محمد وأبو الحسين بن يوسف والحسن بن علي المروروذي وأحمد بن سهل وليلى بن النعمان من الديلم صاحب العلويين بطبرستان، ومعه سيمجور وأبو الحسين بن الناصر الأطروش وقراتكين، وخرج عليه إخوته يحيى ومنصور وإبراهيم بنو أبيه، وجعفر بن داود ومحمد بن الياس، ومرداويج ووشمكير ابنا زياد من أمراء الديلم، وكان السعيد نصر مظفراً على جميعهم.

انتقاض سجستان

ولما قتل أحمد بن إسماعيل انتقض أهل سجستان وبايعوا للمقتدر، وبعثوا إليه وأخرجوا سيجور الدواني، فأضافها المقتدر إلى بدر الكبير، وأنفذ إليها الفضل بن حميد وأبا يزيد من قبل السعيد نصر وسعيد الطالقاني بغزنة كذلك فقصدها الفضل وخالد واستوليا على غزنة وبستة وقبضا على سعيد الطالقاني وبعثا به إلى بغداد وهرب عبيد الله الجهستاني ثم اعتل الفضل وانفرد خالد بالأمور.

ثم انتقض فأنفذ إليه المقتدر أخا طغج الطولوني فهزمه

خالد، وسار إلى كرمان، فأنفذ إليه بدر الجيش فأخذ أسيراً ومات، وحمل إلى بغداد.

انتقاض إسحاق العم وابنه الياس

كان إسحاق بن أحمد عم الأمير أحمد بن إسماعيل والياً على سمرقند، فما بلغه مقتل الأمير أحمد، وولاية ابنه السعيد نصر، دعا لنفسه بسمرقند، وتابعه ابنه الياس على ذلك.

وساروا إلى بخارى فبرز إليهم القائد حمويه بن علي فهزمهم إلى سمرقند.

ثم جمعوا وعادوا فهزمهم ثانية، وملك سمرقند من أيديهم عنوة.

واختفى إسحاق وجد حمويه في طلبه فضاق به مكانه، واستأمن إلى حمويه وحمله إلى بخارى وأقام بها إلى أن هلك، ولحق الياس بفرغانة فأقام بها إلى أن خرج ثانية كما يأتي.

ظهور الأطروش واستيلاؤه على طبرستان

قد تقدم لنا في أخبار العلوية شأن دولة الأطروش وبنيه بطبرستان، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمرو بن علي بن الحسن السبط، وأنه استعمل الأمير أحمد، على طبرستان مكانه أبا العباس أحمد عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن السيرة، وعدل في الرعية وأكرم العلوية وبالغ في الإكرام والإحسان إليهم.

واستمال رؤساء الديلم وهاداهم، وكان الحسن الأطروش قد دخل إليهم بعد قتل محمد بن زيد وأقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان، فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا إليه، وبنى في بلادهم المساجد، ودعاهم للمسير معه إلى طبرستان فلم يجيبوه إلى ذلك.

ثم عزل أبو العباس، وتولى سلام فلم يحسن سياسة الديلم فخرجوا عليه، وقاتلوه فهزمهم، واستعان بالأمير أحمد السعيد، فأعاد الأمير أحمد إليها ابن نوح، فاستعمل عليها أبا العباس محمد بن إبراهيم صعلوك، ففسد ما بينه وبين الديلم بإساءة السيرة وعدم السياسة.

فطلبهم الأطروش في الخروج معه فخرجوا، ولقيهم ابن صعلوك على مرحلة من سالوس وهي ثغر طبرستان فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف، وحصر الأطروش الباقين.

ثم أمنهم وعاد إلى آمد وسار إليهم الحسن بن القاسم العلوي الداعي صهر الأطروش فقتلهم متعللاً عليهم بأنه لم يحضر لعهدهم.

واستولى الأطروش على طبرستان سنة إحدى وثلاثمائة أيام السعيد نصر، وخرج صعلوك إلى الري متعللاً عليهم، ومنها إلى بغداد.

وكان الذين أسلموا على يد الأطروش الديلم من وراء أسفيجاب إلى آمد، فيهم شيعة زيدية.

وكان الأطروش زيدياً، وخرجت طبرستان يومئذ من ملك بني سامان.

انتقاض منصور بن إسحاق العم والحسين والمروروذي

كان الأمير أحمد بن إسماعيل لما افتتح سجستان ولى عليها منصور ابن عمه إسحاق، وكان الحسين بن علي هو الذي تولى فتحها وطمع في ولايتها.

ثم افتتحها ثانياً كما ذكرنا فوليا سيجور الدواني، فاستوحش الحسين لذلك، وداخل منصور بن إسحاق في الانتقاض، على أن تكون إمارة خراسان لمنصور والحسين بن علي خليفته على أعماله.

فلما قتل الأمير أحمد انتقض الحسين بهراة، وسار إلى منصور بنيسابور فانتفض أيضاً، وخطب لنفسه سنة اثنتين وثلاثمائة وسار القائد حمويه بن علي من بخارى في العساكر لمحاربتهما، ومات منصور قبل وصوله.

فلما قارب حمويه نيسابور سار الحسين عنها إلى هراة، وأقام بها، وكان محمد بن جند على شرطته من مدة طويلة، وبعث من بخارى بالنكير، فخشي على نفسه، وعدل عن الطريق إلى هراة فسار الحسين بن علي من هراة إلى نيسابور، بعد أن استخلف عليها أخاه منصوراً فملك نيسابور، فسار إلى محاربته من بخارى أحمد بن سهل فحاصر هراة وملكها من منصور على الأمان.

ثم سار إلى نيسابور فحاصر بها الحسين وملكها عنوة، وأسر الحسين سنة اثنتين وثلاثمائة.

وأقام أحمد بن سهل بنيسابور وجاءه ابن جيد مزمر وقبض

عليه وسيره والحسين بن علي إلى بخارى فأما ابن جيد مزمر فسير إلى خوارزم ومات بها، وأما الحسين فحبس.

ثم خلصه أبو عبد اللّه الجهاني مدبر الدولة، وعاد إلى خدمة السعيد نصر.

انتقاض أحمد بن سهل بنيسابور وفتحها

كان الأمير أحمد بن سهل من قواد إسماعيل، ثم ابنه أحمد، ثم ابنه نصر بن أحمد.

قال ابن الأثير: وهو أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن جبلة بن كامكان بن يزدجرد بن شهربان الملك.

قال: وكان كامكان دهقان بنواحي مرو.

قال: وكان لأحمد إخوة ثلاثة وهم: محمد والفضل والحسين قتلوا في عصبية العرب والعجم وكان خليفة عمرو بن الليث على مرو فسخطه وحسبه بسجستان.

ثم فر من محبسه ولحق بمرو فملكها واستأمن إلى أحمد بن إسماعيل، وقام بدعوته فاستدعاه إلى بخارى وأكرمه ورفع منزلته، ونظمه في طبقة القواد وبقي في خدمته وخدمة بنيه، فلما انتقض الحسين بن علي بنيسابور على السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل سنة اثنتين وثلاثمائة، سار إليه أحمد بن سهل في العساكر وظفر به كما مر، وولى السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل على نيسابور قراتكين مولاهم.

مقتل ليلى بن النعمان ومهلكه

كان ليلى بن النعمان من كبار الديلم، ومن قواد الأطروش، وكان الحسن بن القاسم الداعي قد ولاه على جرجان سنة ثلاث وثلاثمائة، وكان أولاد الأطروش يحلونه في كتابهم بالمؤيد لدين اللّه المنتصر لأولاد رسول اللّه ﷺ، وكان كريماً شجاعاً.

ولما ولي جرجان سار إليه قراتكين وقاتله على عشرة فراسخ من جرجان، فانهزم قراتكين، واستأمن غلامه فارس إلى ليلى في ألف رجل من أصحابه، فأمنه وأكرمه وزوجه أخته، واستأمن إليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت سهل، وحرضه على المسير إلى نيسابور وبها قراتكين، وكان أجناده قد كثروا وضاقت عليهم الأموال فاستأذن الداعي في المسير إلى نيسابور، فأذن له، وسار إليها في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة فملكها، وأقام بها الخطبة للداعي الحسين بن القاسم، وأنفذ السعيد نصر العساكر من بخارى مع حمويه بن علي ومحمد بن عبيد اللّه البلغمي وأبي جعفر صعلوك، وخوارزم شاه وسيجور الدواني، فانهزم أكثر أصحاب حمويه وثبت القواد، وجالت العساكر جولة فانهزم ليلى ودخل آمد.

ولحقه بقراخان ملك الترك جاء مع العساكر مدداً فقبض على ليلى في آمد، وبعث إلى حمويه بذلك، فبعث إليه من قطع رأس ليلى في ربيع سنة تسع وثلاثمائة.

وبعث به إلى بخارى وطلب قواد الديلم الذين كانوا مع ليلى الأمان فأمنوهم بعد أن أشار حمويه بقتلهم والراحة منهم، فلم يوافقوه.

وهؤلاء القواد هم الذين خرجوا بعد ذلك على الجهات وملكوها مثل: أسفار ومرداويج وأنوشنكين وبني بويه وستأتي أخبارهم وبقي فارس غلام قراتكين بجرجان والياً عليها.

ثم جاءه قراتكين واستأمن إليه غلامه فارس فأمنه، ثم قتله سنة ست عشرة وثلثمائة وانصرف عن جرجان.

حرب سيجور مع ابن الأطروش

ولما قتل قراتكين غلامه سنة ست عشرة وثلاثمائة وانصرف عن جرجان سار إليها أبو الحسن بن ناصر الأطروش من أستراباذ فملكها.

وأنفذ السعيد لحربه سيجور الدواني في أربعة آلاف فارس فنزل على فرسخين من جرجان، وخرج إليه أبو الحسن في ثمانية آلاف راجل من الديلم فاقتتلا، وكان سيجور قد أكمن لهم وأبطأ عليه الكمين فانهزم واتبعه سرخاب، وشغل عسكر أبي الحسن بالنهب.

ثم خرج عليهم الكمين بعد ساعة فانهزم أبو الحسن وقتل من عسكره نحو من أربعة آلاف، وركب البحر إلى أستراباذ واجتمع إليه فل من أصحابه، وجاءه سرخاب بعد أن رجع عن سيجور، وجمع عيال أصحابه ومخلفهم وقدم بهم وأقام سيجور بجرجان.

ثم مات سرخاب ورجع ابن الأطروش إلى سارية بعد أن استخلف ماكان بن كالي على أستراباذ، واجتمع إليه الديلم وأمروه.

ثم سار إلى أستراباذ ومعه محمد ليظهر غناءهم فخرج من سارية، وولوا عليها بقراخان، ووصلوا إلى جرجان ثم إلى نيسابور ورجع ماكان إلى أستراباذ مع جرجان ولحق بقراخان بنيسابور.

وهذا كان مبتدأ أمر ماكان بن كالي وستأتي أخباره.

خروج الياس بن إسحق

قد تقدم لنا انتقاض إسحاق وابنه الياس بسمرقند سنة إحدى وثلاثمائة، وكيف غلبهم القائد حمويه، وسار بإسحاق إلى بخارى ومات بها.

ولحق ابنه الياس بفرغانة فأقام بها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأجمع المسير إلى سمرقند واستظهر بمحمد بن الحسين برمت من قواد بني سامان، واستمد أهل فرغانة من الترك فأمدوه، واجتمع إليه ثلاثون ألف فارس، وقصد سمرقند وبعث السعيد للمدافعة عنها أبا عمرو ومحمد بن أسد وغيره في ألفين وخمسمائة راجل.

فلما ورد الياس كمنوا له بين الشجر حتى إذا اشتغلت عساكره بضرب الأبنية خرجوا عليه، فانهزم الحسن بن ست ولحق بأسفيجاب ومنها إلى ناحية طراز وكريت فلقيه دهقان الناحية فقتله، وأنفذ رأسه إلى بخارى.

ثم استمد الياس صاحب الشاش، وهو أبو الفضل بن أبي يوسف فأمده بنفسه وبعث إليه اليسع بالمدد، وعاود محاربة الوالي بسمرقند، فانهزم إلى كاشغر، وأسر أبو الفضل وحمل إلى بخارى فمات بها.

وسار الياس إلى كاشغر وصاحبها طغاتكين من ملوك الترك فصاهره بابنته وأقام معه.

استيلاء السعيد على الري

كان المقتدر قد عقد على الري ليوسف بن أبي الساج، وسار إليه سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فملكه من يد أحمد بن علي أخي صعلوك، وقد كان فارق أخاه صعلوكاً وسار إلى المقتدر فولاه على الري.

ثم انتقض على المقتدر ووصل يده بماكان بن كالي قائد الديلم وأولاد الأطروش وهم بطبرستان وجرجان.

وفارق طاعة المقتدر، فسار إليه يوسف بن أبي الساج وحاربه فقتله، واستولى على الري ثم استدعاه المقتدر سنة أربع عشرة وثلاثمائة إلى واسط لقتال القرامطة، وكتب إلى السعيد نصر بن أحمد بولاية الري فاستخلف عليها وأمره بالمسير إليها، وأخذها فاتك مولى يوسف بن أبي الساج فسار نصر السعيد لذلك أول سنة أربع عشرة وأربعمائة فلما وصل إلى جبل قارن منعه أبو نصر الطبري من الاجتياز به، فبذل له ثلاثين ألف دينار واسترضاه.

وسار إلى الري فخرج عنها فاتك، واستولى عليها السعيد منتصف السنة، وأقام بها شهرين.

ثم عاد عنها إلى بخارى واستعمل عليها محمد بن علي الملقب صعلوك، فأقام بها إلى شعبان سنة ست عشرة، ومرض فكاتب الداعي وماكان بن كالي في القدوم ليسلم لهم الري.

فقدموا واستولوا على الري وسار صعلوك عنها فمات في طريقه، وأقام الحسن الداعي بالري مالكاً لها، واستولى معها على قزوين وزنجان وأبهر وقم ومعه ماكان.

وكان أسفار قد استولى على طبرستان، فسار الداعي وماكان إليه، والتقوا على سارية فانهزم، وقتل الداعي كما مر في أخبار العلوية بطبرستان.

ولاية أسفار على جرجان والري

كان أسفار بن شيرويه من أعيان الديلم وكان من أصحاب ماكان بن كالي.

وقد تقدم لنا أن أبا الحسن بن الأطروش ولى ماكان على أستراباذ وأن الديلم اجتمعوا إليه وأمروه، وأنه ملك جرجان واستولى بعدها على طبرستان، وولى أخاه أبا الحسن بن كالي على جرجان.

وكان أسفار بن شيرويه من قواده، فانصرف مغاضباً عنه سنة خمس عشرة وثلاثمائة إلى بكر بن محمد بن اليسع بنيسابور فبعثه بكر إلى جرجان ليفتحها، واضطرب أمر جرجان لأن ماكان ابن كالي اعتقل بها أبا علي الأطروش بنظر أخيه ابن كالي، فوثب الأطروش على أخيه أبي الحسن وقتله وملك جرجان.

واستقدم أسفار بن شيرويه فقدم وضبط أمره، وسار إليهم ماكان من طبرستان في جيوشه فهزموه، واتبعوه إلى طبرستان فملكوها، وأقاموا بها.

وهلك أبو علي بن الأطروش بطبرستان، فعاد ماكان بن كالي وأخرج أسفار بن شيرويه من طبرستان.

ثم زحف أسفار إلى الداعي وماكان والتقوا على السيارية فانهزم الداعي وماكان وقتل الداعي.

واستولى أسفار على طبرستان وجرجان والري وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ.

ودعا للسعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان واستعمل على آمد هارون بن بهرام يريد استخلاصه لنفسه، لأن هارون كان يخطب لأبي جعفر من ولد الأطروش فولاه آمد وزوجه ببعض نساء الأعيان فبنى بها.

وحضر عرسه أبو جعفر وغيره من العلويين، فهجم عليه أسفار يوم العرس فقبض على أبي جعفر والعلويين وحملهم إلى بخارى فاعتقلوا بها، واستفحل أمر أسفار وانتقض على السعيد صاحب خراسان وعلى الخليفة المقتدر.

وسار السعيد من بخارى إلى نيسابور لمحاربته وأشار عليه وزيره محمد بن مطرف الجرجاني بطاعة السعيد، وخوفه منه، فقبل إشارته ورجع إلى طاعة السعيد، وقبل شروطه من حمل المال وغيره ثم انتقض عليه مرداويج واستدعى ماكان من طبرستان وهزم أسفار وقتله، وملك ما بيده من الأعمال كما يذكر في أخبار الديلم.

ثم ملك طبرستان وجرجان من يد ماكان، فاستمد ماكان السعيد فأمده بأبي علي بن محمد المظفر فهزمها مرداويج، وعاد أبو علي إلى نيسابور وماكان إلى خراسان.

خروج أولاد الأمير أحمد بن إسماعيل على أخيهم السعيد

كان السعيد نصر بن أحمد لما ولي استراب بإخوته، وكانوا ثلاثة: أبو زكريا يحيى وأبو صالح منصور وأبو إسحاق إبراهيم أولاد الأمير أحمد بن إسماعيل، فحبسهم في القندهان ببخارى ووكل بهم.

فلما سار السعيد إلى نيسابور سنة خمس عشرة فتقوا السجن وخرجوا منه على يد رجل خباز من أصفهان يسمى أبا بكر، داخلهم في محبسهم بتسهيل نفقتهم التي كانت على يده.

وجاء إلى القندهان قبل يوم الجمعة الذي كان ميقاتاً لفتحه، وأقام عندهم مظهراً للزهد والدين، وبذل للبواب دنانير على أن يخرجه ليلحق الصلاة في الجماعة، ففتح له الباب وقد أعدهم جماعة للوثوب، فحبسوا البواب، وأخرجوا أولاد الأمير أحمد ومن معهم في الحبس من العلويين والديلم والعيارين.

واجتمع إليهم من كان وافقهم من العسكر والقواد ورأسهم شروين الجبلي، وبايعوا يحيى ابن الأمير أحمد، ونهبوا خزائن السعيد وقصوره.

وقدم يحيى أبا بكر الخباز، وبلغ الخبر إلى السعيد فعاد من نيسابور إلى بخارى.

وكان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيماً بجرجان، فاستدعى ماكان بن كالي وصاهره، وولاه نيسابور فسار إليها.

ولما جاء السعيد إلى بخارى اعترضه أبو بكر الخباز عند النهر فهزمه السعيد، وأسره ودخل بخارى فعذبه وأحرقه في تنوره الذي كان يخبز فيه.

ولحق يحيى بسمرقند ثم مر بنواحي الصغانيان، ويها أبو علي بن أحمد بن أبي بكر بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيماً بجرجان، فاستدعى ماكان بن كالي إلى جرجان، ولقوا بها محمد بن الياس، وقوي أمره، فلما جاء يحيى إلى نيسابور خطب له وأظهر دعوته.

ثم قصدهم السعيد فافترقوا، ولحق ابن الياس بكرمان، ولحق يحيى وقراتكين ببست والرخج، ووصل السعيد إلى نيسابور سنة عشرين وثلاثمائة واصطلح قراتكين وأمنه وولاه بلخ، وذهبت الفتنة.

وأقام السعيد بنيسابور إلى أن استأمن إليه أخواه يحيى ومنصور وحضرا عنده وهلكا، وفر إبراهيم إلى بغداد، ومنها إلى الموصل، وهلك قراتكين ببست، وصلحت أمور الدولة.

وكان جعفر بن أبي جعفر بن داود والياً لبني سامان على كل الختل، فاستراب به السعيد، وكتب إلى أبي علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر وهو بالصغانيان أن يسير إليه، فسار إليه وحاربه وكسره، وجاء به إلى بخارى فحبس بها، فلما فتق السجن خرج مع يحيى وصحبهم.

ثم لما رأى تلاشي أموره استأذنه في المسير إلى الختل فأذن له فسار إليها، وأقام بها، ورجع إلى طاعة السعيد سنة ثمان عشرة وصلح حاله.

(والختل بخاء معجمة مضمومة وتاء مثناة فوقانية مشددة مفتوحة).

ولاية ابن المظفر على خراسان

كان أبو بكر محمد بن المظفر والياً للسعيد نصر على جرجان.

ولما استفحل أمر مرداويج بالري كما يأتي في أخبار الديلم، خرج عنها ابن المظفر ولحق بالسعيد نصر في نيسابور وهو مقيم بها، فسار السعيد في عساكره نحو جرجان، ووقعت المكاتبة بين محمد بن عبيد اللّه البلغمي مدبر دولته، وبين مطرف بن محمد، واستماله محمد فمال إليه مطرف وقتله سلطانه مرداويج.

ثم بعث محمد ينتصح لمرداويج ويذكره نعمة السعيد عنده في اصطناعه وتوليته، وتطوق العار في ذلك المطرف الوزير الهالك ويهول عليه أمر السعيد ويخوفه ويشير عليه بمسالمة جرجان إليه، وصالحه السعيد عليها.

ولما فرغ السعيد من أمر جرجان وأحكمه استعمل محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ورد إليه تدبير الأمور بجميع نواحيها، وسار إلى كرسي ملكه ببخارى واستقر بها.

استيلاء السعيد على كرمان

كان محمد بن الياس من أصحاب السعيد، ثم سخطه وحبسه، وشفع فيه محمد بن عبيد اللّه البلغمي فأطلقه، وسيره محمد بن المظفر إلى جرجان.

ثم سار إلى يحيى واخوته عندما توثبوا ببخارى فكان معه في الفتنة، وخطب له بنيسابور كما مر.

فلما زحف السعيد إليهم فارق يحيى ولحق بكرمان، واستولى عليها.

ثم خرج إلى بلاد فارس وبها ياقوت مولى الخلفاء فوصل إليه باصطخر يريد أن يستأمن له، وأطلع ياقوت على مكره، فرجع كرمان ثم بعث السعيد ماكان بن كالي في العساكر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وقاتل ابن الياس وهزمه وملك كرمان بدعوة السعيد نصر بن أحمد وسار الياس إلى الدينور.

ثم رجع ماكان عن كرمان على ما نذكره بعد، فرجع إليها ابن الياس، وسبب خروج ماكان أن السعيد بعد قتل مرداويج كتب إليه وإلى محمد بن المظفر صاحب خراسان أن يقصد جرجان والري وبها وشمكير أخو مرداويج، فجاء ماكان على المفازة ووصل إلى نيسابور بعد أن كان محمد بن المظفر قد استولى عليها، بعث إليه مدداً فهزمتهم عساكر وشمكير فأقصر ماكان عن حربهم، وأقام بنيسابور وجعلت ولايتها له، وذلك أول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ثم صفت كرمان لمحمد بن الياس بعد حروب مع جيش نصر كان له الظفر فيها آخراً.

استيلاء ماكان على كرمان وانتقاضه

لما ملك مانجين جرجان وأقام ماكان بنيسابور وجعلت ولايتها له وهلك مانجين لأيام من دخوله جرجان، استنفر محمد المظفر ماكان للمسير إلى جرجان فاعتل بالخروج بجميع أصحابه وسار إلى أسفراين، فأنفذ عسكراً إلى جرجان واستولى عليها.

ثم انتقض وسار إلى نيسابور وبها محمد بن المظفر وكان غير مستعد للحرب فسار نحو سرخس، ودخل ماكان نيسابور سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ثم رجع عنها خوفاً من اجتماع العساكر.

ولاية علي بن محمد على خراسان وفتحه جرجان

كان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان من ولاة السعيد عليها سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة فلما كانت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة اعتل أبو بكر وطال به مرضه، وقصد السعيد راحته فاستقدم ابنه أبا علي من الصغانيان، وبعثه أميراً على خراسان واستدعى أباه أبا بكر فلقي ابنه أبا علي على ثلاث مراحل من نيسابور فوصاه وحمله حملاً من سياسته.

وسار إلى بخارى ودخل ابنه أبو علي نيسابور من السنة فأقام بها أياماً.

ثم سار في محرم سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة إلى جرجان وبها ماكان بن كالي مستنقضاً على السعيد، وقد غوروا المياه في طريقه فسلك إليهم غمرة حتى نزل على فرسخ من جرجان، وحاصرها وضيق عليها وقطع الميرة عنها حتى جهدهم الحصار.

وبعث ماكان بن كالي إلى وشمكير وهو بالري، فأمده بقائد من قواده فلما وصل إلى جرجان شرع في الصلح بينهما لينجو فيه ماكان فتم ذلك، وهرب ماكان إلى طبرستان واستولى أبو علي على جرجان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة واستخلف عليها إبراهيم بن سيجور الدواني.

استيلاء أبي علي على الري وقتل ماكان بن كالي

ولما ملك أبو علي جرجان أصلح أمورها.

ثم استخلف عليها إبراهيم بن سيجور وسار إلى الري في ربيع سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وبها وشمكير بن زياد أخو مرداويج قد تغلب عليها من بعد أخيه.

وكان عماد الدولة وركن الدولة ابنا بويه يكاتبان أبا علي صاحب خراسان، ويستحثانه لقصد الري بأن أبا علي لا يقيم بها لسعة ولايته فتصفو لهما.

فلما سار أبو علي لذلك بعث وشمكير إلى ماكان بن كالي يستنجده، فسار إليه من طبرستان وسار أبو علي، وجاءه مدد ركن الدولة بن بويه والتقوا بنواحي الري فانهزم وشمكير وماكان.

ثم ثبت ماكان، ووقف مستميتاً فأصابه سهم فقتله، وهرب وشمكير إلى طبرستان فأقام بها واستولى أبو علي على الري سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وأنفذ رأس ماكان والأسرى معه إلى بخارى فأقاموا حتى دخل وشمكير في طاعة بني سامان.

وسار إلى خراسان سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوهبهم الأسرى فأطلقوا له وبقي الرأس ببخارى ولم يحمل إلى بغداد.

استيلاء أبي علي على بلد الجبل

ولما ملك أبو علي بن محتاج صاحب خراسان بلد الري والجبل من يد وشمكير، وأقام بها، دعوة السعيد نصر بعث العساكر إلى بلد الجبل ففتحها، واستولى على زنجان وأبهر وقزوين وقم وكرخ وهمذان ونهاوند والدينور إلى حدود حلوان، ورتب فيها العمال وجبى الأموال.

وكان الحسن بن الفيرزان بسارية وهو ابن عم ماكان بن كالي وكان وشمكير يطمع في طاعته له وهو يتمنع، فقصده وشمكير وحاصره بسارية وملكها عليه.

واستنجد الحسن أبا علي بن محتاج فسار معه لحصار وشمكير بسارية سنة ثلاثين وثلاثمائة، وضيق عليه حتى سأل الموادعة، فصالحه أبو عليّ على طاعة السعيد نصر، وأخذ رهنه، ورحل عنه إلى جرجان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

ثم بلغه موت السعيد فعاد أبو علي إلى خراسان فملكها وراسله الحسن بن الفيرزان يستميله ورد عليه ابنه سلار الرهينة ليستعين به على الخراسانية، فوعده وأطمعه.

ولما ملك وشكمير الري طمع فيه بنو بويه لأنه كان قد اختل أمره بمحادثته مع أبي علي، فسار الحسن بن الفيرزان إلى الري، وقاتل وشمكير فهزمه، واستأمن إليه الكثير من جنده.

وسار وشمكير إلى الري فاعترضه الحسن بن الفيرزان من جرجان وهزمه إلى خراسان، وراسل الحسن ركن الدولة وتزوج بنته واتصل ما بينهما.

وفاة السعيد نصر وولاية ابنه نوح

ثم أصاب السعيد نصراً صاحب خراسان وما وراء النهر مرض السل، فاعتل ثلاثة عشرة شهراً ومات في شعبان سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة لثلاثين سنة من ولايته.

وكان يؤثر عنه الكرم والحلم، وأخلص في مرضه التوبة إلى أن توفي.

ولما مات ولي مكانه ابنه نوح، وكان يؤثر الكرم والحلم عنه، وبايعه الناس ولقب الحميد، وقام بتدبير ملكه أبو الفضل أحمد بن حويه وهو من أكابر أصحاب أبيه، كان أبوه السعيد ولى ابنه إسماعيل بخارى في كفالة أبي الفضل وولايته، فأساء السيرة مع نوح وحقد له ذلك.

وتوفي إسماعيل في حياة أبيه، وكان يؤثر أبا الفضل فحذره من ابنه نوح.

فلما ولي نوح سار أبو الفضل من بخارى وعبر جيحون إلى آمد.

وكان بينه وبين أبي علي بن محتاج صهر، فبعث إليه يخبره بقدومه فنهاه عن القدوم عليه.

ثم كتب له نوح بالأمان وولاه سمرقند وكان على الحاكم صاحب الدولة ولا يلتفت إليه، والآخر يحقد عليه ويعرض عنه.

ثم انتقض عبد اللّه بن أشكام بخوارزم على الأمير نوح فسار من بخارى إلى مرو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وبعث إليه جيشاً مع إبراهيم بن فارس فمات في الطريق.

واستجار ابن أشكام بملك الترك، وكان ابنه محبوساً ببخارى فبعث إليه نوح بإطلاق ابنه على أن يقبض على ابن أشكام، وأجابه ملك الترك لذلك.

ولما علم بذلك ابن أشكام عاد إلى طاعة نوح وعفا عنه

وأكرمه.

استيلاء أبي علي على الري ودخول جرجان في طاعة نوح

ثم إن الأمير نوحاً سار إلى مرو وأمر أبا علي بن محتاج أن يسير بعساكر خراسان إلى الري وينزعها من يد ركن الدولة بن بويه فسار لذلك، ولقي في طريقه وشمكير وافداً على الأمير نوح فبعثه إليه.

وسار أبو علي إلى بسطام فاضطرب جنوده، وعاد عنه منصور بن قراتكين من أكابر أصحاب نوح، فقصدوا جرجان وصدهم الحسن بن الفيرزان فانصرفوا إلى نيسابور، وسار إلى الأمير نوح بمرو فأعاده وأمده بالعساكر.

وسار من نيسابور في منتصف ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وعلم ركن الدولة بكثرة جموعه، فخرج من الري واستولى أبو علي عليها، وعلى سائر أعمال الجبال، وأنفذ نوابه إلى الأعمال وذلك في رمضان من سنته.

ثم سار الأمير نوح من مرو إلى نيسابور، وأقام بها، ووضع جماعة من الغوغاء والعامة يستغيثون من أبي علي ويشكون سوء السيرة منه ومن نوابه، فولى على نيسابور إبراهيم بن سيجور وعاد عنها وقصد أن يقيم أبو علي بالري لحسن دفاعه عنها وينقطع طمعه عن خراسان، فاستوحش أبو علي للعزل وشق عليه.

وبعث أخاه أبا العباس الفضل بن محمد إلى كور الجبال، وولاه همذان، وخلافة العساكر، فقصد الفضل نهاوند والدينور، واستولى عليها واستأمن إليه رؤساء الأكراد بتلك النواحي، وأعطوا رهنهم على الطاعة وكان وشمكير لما وفد على الأمير نوح بمرو كما قدمناه استمده على جرجان، فأمده بعسكر، وبعث إلى أبي علي بمساعدته، فلقي أبا علي منصرفه في المرة الأولى من الري إلى نيسابور، فبعث معه جميع من بقي من العسكر، وسار وشمكير إلى جرجان وقاتل الحسن بن الفيرزان فهزمه واستولى على جرجان بدعوة نوح بن السعيد وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

انتقاض أبي علي وولاية منصور بن قراتكين على خراسان

قد تقدم لنا أن الأمير نوحاً عزل أبا علي بن محتاج عن خراسان، وكان من قبلها عزله عن ديوان الجند وهو لنظره، وبعث من يستعرض الجند فمحا وأثبت وزاد في العطاء ونقص فاستوحش لذلك كله، واستوحش الجند من التعرض إليهم بالإسقاط، ولأرزاقهم بالنقصان.

وخلص بعضهم إلى بعض بالشكوى، واتفقوا في سيرهم إلى الري وهم بهمذان على استقدام إبراهيم بن أحمد أخي السعيد الذي كان قد هرب أمامه إلى الموصل كما تقدم.

وظهر أبو علي على شأنهم، فنكر عليهم فتهددوه، وكاتبوا إبراهيم واستدعوه، وجاء إليهم بهمذان في رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وكاتبه أبو علي، وكتب أخوه الفضل سراً إلى الأمير نوح بذلك، ونمي خبر كتابه إلى أخيه أبي علي فقبض عليه، وعلى متولي الديوان.

وسار إلى نيسابور، واستخلف على الري والجبل، وبلغ الخبر إلى الأمير نوح، فنهض إلى مرو واضطرب الناس عليه، وشكوا من محمد بن أحمد الحاكم مدبر ملكه، ورأوا أنه الذي أوحش أبا علي وأفسد الدولة، فنقموا ذلك عليه، واعتلوا عليه فدفع إليهم الحاكم فقتلوه منتصف خمس وثلاثين وثلاثمائة.

ووصل أبو علي إلى نيسابور وبها إبراهيم بن سيجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما من القواد فاستمالهم، وساروا معه، ودخلها في محرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ثم ارتاب بمنصور بن قراتكين فحبسه، وسار من نيسابور ومعه العسم إبراهيم إلى مرو، وهرب أخوه الفضل في طريقه من محبسه، ولحق بقهستان.

ولما قاربوا مرو اضطرب عسكر الأمير نوح، وجاء إليهم أكثرهم، واستولى عليها وعلى طخارستان، وبعث نوح العساكر من بخارى مع الفضل أبي علي إلى الصغانيان فأقام بها، ودس إليهم أبو عليّ فقبضوا على الفضل وبعثوا به إلى بخارى وعاد أبو علي من طخارستان إلى الصغانيان فأقاموا بها في ربيع سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وقاتل العساكر فغلبوه، ورجع إلى الصغانيان، ثم تجاوزها وأقام قريباً منها، ودخلتها العساكر فخربوا قصوره ومساكنه، وخرجوا في اتباعه، فرجع وأخذ عليهم المسالك، فضاقت أحوالهم، وجنحوا إلى الصلح معه على أن يبعث بابنه أبي المظفر عبد الله إلى الأمير نوح رهينة، فانعقد ذلك منتصف سنة

سبع وثلاثين وثلاثمائة، وبعث بابنه إلى بخارى فأمر نوح بلقائه، وخلع عليه وخلطه بندمائه، وسكنت الفتنة.

قال ابن الأثير: هذا الذي ذكره مؤرخو خراسان في هذه القصة، وأما أهل العراق فقالوا: إن أبا علي لما سار نحو الري استمد ركن الدولة بن بويه أخاه عماد الدولة فكتب يشير عليه بالخروج عن الري وملكها أبو علي، وكتب عماد الدولة إلى نوح سراً يبذل له في الري في كل سنة مائة ألف دينار وزيادة على ضمان أبي علي، ويعجل له ضمان سنة وسجله عليه.

ثم دس عماد الدولة إلى نوح في القبض على أبي علي وخوفه منه، فأجاب الأمير نوح إلى ذلك، وبعث تقرير الضمان، وأخذ المال، ودس ركن الدولة إلى أبي علي بهمذان ورجع به على خراسان.

وعاد ركن الدولة إلى الري واضطربت خراسان، ومنع عماد الدولة مال الضمان خوفاً عليه في طريقه من أبي علي، وبعث إلى أبي على يحرضه على اللقاء ويعده بالمدد.

وفسد ما بينه وبين إبراهيم، وانقبض عنه، وأن الأمير نوحاً سار إلى بخارى عند مفارقتها أبي علي.

وحارب إبراهيم العم ففارقه القواد إلى الأمير نوح فأخذ أسيراً وسمله الأمير نوح وجماعة من أهل بيته والله أعلم.

انتقاض ابن عبد الرزاق بخراسان

كان محمد بن عبد الرزاق عاملاً بطوس وأعمالها وكان أبو علي استخلفه بنيسابور عندما زحف منها إلى الأمير نوح، فلما راجع الأمير نوح ملكه انتقض ابن عبد الرزاق بخراسان وولى الأمير نوح على خراسان محمد بن عبد الرزاق واتفق وصول وشمكير منهزماً من جرجان أمام الحسن بن فيرزان، واستمد الأمير نوحاً فأخرج معه منصوراً في العساكر وأمرهما بمعاجلة ابن عبد الرزاق، فخرج سنة ست وثلاثين وثلاثمائة إلى استراباذ ومنصور في اتباعه فلحق بجرجان واستأمن إلى ركن الدولة بن بويه ومضى إلى الري.

وسار منصور بن قراتكين إلى طوس، وحاصر رافع إلى قلعة أخرى فحاصره منصور بها حتى استأمن إليه، وجمع ما معه فانبه أصحابه.

وخرج معم فافترقوا في الجبال واحتوى منصور على ما وجد بالحصن وحمل عيال محمد بن عبد الرزاق وأمه إلى بخارى فاعتقلوا بها.

ولما وصل محمد بن عبد الرزاق إلى ركن الدولة بن بويه أفاض عليه العطاء وسرحه إلى محاربة المرزبان بأذربيجان كما يأتي.

استيلاء ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان ومسير العساكر إلى جرجان والصلح مع الحسن بن الفيرزان

ولما وقع من الاضطراب ما وقع بخراسان، اجتمع ركن الدولة بن بويه والحسن بن الفيرزان، وقصدوا بلاد وشمكير فهزموه، وملك ركن الدولة طبرستان.

وسار إلى جرجان فملكها، وأقام بها الحسن بن الفيرزان.

واستأمن قواد وشمكير إليهم فأمنوهم وسار وشمكير إلى خراسان مستنجداً بصاحب خراسان، فسار معه منصور بن قراتكين في عساكر خراسان إلى جرجان، وبها الحسن بن الفيرزان.

واسترهن ابنه، ثم أبلغه عن الأمير نوح ما أقلعه فأعاد على الحسن ابنه وعاد إلى نيسابور وأقام وشمكير بأرزن.

مسير ابن قراتكين إلى الري وعوده إليه

ثم سار منصور بن قراتكين سنة تسع وثمانين وثلاثمائة إلى الري بأمر الأمير نوح لغيبة ركن الدولة بن بويه في نواحي فارس، فوصل إلى الري، واستولى عليها وعلى الجبل إلى قرميسين فكبس الذين بها من العسكر وهم غازون وأسروا مقدمهم محكماً وحبس ببغداد، ورجع الباقون إلى همذان.

فسار سبكتكين نحوهم، وجاء ركن الدولة إثر الانهزام، وشاور وزيره أبا الفضل بن العميد فأشار عليه بالثبات.

ثم أجفل عسكر خراسان إلى الري لانقطاع الميرة عنهم، وكان ذلك سواء بين الفريقين، إلا أن الديلم كانوا أقرب إلى البداوة، فكانوا أصبر على الجوع والشظف، فركب ركن الدولة واحتوى على ما خلفه عسكر خراسان.

وفاة ابن قراتكين ورجوع أبي علي بن محتاج إلى ولاية خراسان

ثم توفي منصور بن قراتكين صاحب خراسان بالري بعد عوده من أصفهان في ربيع سنة أربعين، وحملت جنازته إلى أسفيجاب فدفن بها عند والده، فولى الأمير نوح على خراسان أبا علي بن محتاج، وأعاده إلى نيسابور.

وقد كان منصور يستقيل من ولاية خراسان لما يلقى بها من جندها، ويستعفي نوحاً المرة بعد المرة، وكان نوح يعد أبا علي بعوده إلى ولايته.

فلما توفي منصور بعث إليه بالخلع واللواء، وأمره بالمسير وأقطعه الري وأمره بالمسير إليها فسار عن الصغانيان في رمضان سنة أربعين وثلاثمائة واستخلف مكانه ابنه أبى منصور وانتهى إلى مرو فأقام إلى أن أصلح أمر خوارزم وكانت شاغرة.

ثم سار إلى نيسابور فأقام بها.

ولما كانت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة كتب وشمكير إلى الأمير نوح بأمر أبا علي بن محتاج بالمسير معه في عساكر خراسان، فساروا في ربيع من السنة، وخام ركن الدولة عن لقائهم، فامتنع بطزل وأقام عليه أبو علي عدة شهور يقاتله حتى سئم العسكر، وعجفت دوابهم فمال إلى الصلح، وسعى بينهما فيه محمد بن عبد الرزاق المقدم ذكره، فتصالحا على مائتي ألف دينار ضريبة يعطها ركن الدولة في كل سنة، ورجع أبو علي إلى خراسان وكتب وشمكير إلى الأمير نوح بأن أبا علي لم ينصح في الحرب، وأن بينه وبين ركن الدولة مداخلة.

وسار ركن الدولة بعد انصراف إلى أبي علي نحو وشمكير فانهزم إلى أسفرايين، واستولى ركن الدولة على طبرستان.

عزل الأمير أبي علي عن خراسان ومسيره إلى ركن الدولة وولاية بكر بن مالك مكانه

ولما تمكنت سعاية وشمكير من أبي علي عند الأمير نوح، كتب إليه بالعزل عن خراسان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، وكتب إلى القواد بمثل ذلك.

واستعمل على الجيوش مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني، وبعث أبو علي يعتذر فلم يقبل.

وأرسل جماعة من أعيان نيسابور يسألون إبقاءه فلم يجيبوا، فانتقض أبو علي وخطب لنفسه بنيسابور وكتب نوح إلى وشمكير والحسن بن الفيرزان بأن يتفقا ويتعاضدا على أولياء ركن الدولة حيث كانوا ففعلا ذلك، فارتاب أبو علي بأمره ولم يمكنه العود إلى الصغانيان، ولا المقام بخراسان، فصرف وجهه إلى ركن الدولة واستأذنه في المسير إليه فأذن.

وسار أبو علي إلى الري سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة فأكرمه ركن الدولة وأنزله معه واستولى بكر على خراسان.

وفاة الأمير نوح وولاية ابنه عبد الملك

ثم توفي الأمير نوح بن نصر ولقبه الحميد في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة لاثنتي عشرة سنة من ولايته، وولي بعده ابنه عبد الملك.

وقام بأمره بكر بن مالك الفرغاني فلما قرر أمر دولته، وثبت ملكه، أمر بكراً بالمسير إلى خراسان فكان من شأنه مع أبي علي ما قدمناه.

مسير العساكر من خراسان إلى الري وأصفهان

ثم زحفت عساكر خراسان إلى الري سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وبها ركن الدولة بن بويه قدم إليها من جرجان، واستمد أخاه معز الدولة ببغداد، فأمده بالحاجب سبكتكين.

وبعث بكر عسكراً آخر من خراسان مع محمد بن ماكان على طريق المفازة إلى أصفهان.

وكان بأصفهان أبو منصور علي بن بويه بن ركن الدولة فخرج عنها بحرم أبيه وفي خزائنه.

وانتهى إلى خالنجان، ودخل محمد بن ماكان أصفهان وخرج في اتباع ابن بويه، وأدرك الخزائن فأخذها وسار فأدركه.

ووافق وصول أبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة في تلك الساعة فقاتله ابن ماكان وهزم أصحابه، وثبت ابن العميد، وشغل عسكر ابن ماكان بالنهب، فاجتمع على ابن العميد لمة من العسكر فاستمات، وحمل على عسكر ابن ماكان فهزمهم وأسر ابن ماكان.

وسار ابن العميد إلى أصفهان فملكها، وأعاد حرم ركن الدولة وأولاده إلى حيث كانوا من أصفهان.

ثم بعث ركن الدولة إلى بكر بن مالك صاحب الجيوش بخراسان وقرر معه الصلح على مال يحمله ركن الدولة إليه على الري وبلد الجبل، فتقرر ذلك بينهما، وبعث إليه من عند أخيه ببغداد بالخلع واللواء بولاية خراسان، فوصلت إليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

وفاة عبد الملك بن نوح صاحب ما وراء النهر وولاية أخيه منصور

ثم توفي الأمير عبد الملك لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، لسبع سنين من ولايته.

وولي بعده أخوه أبو الحارث منصور بن نوح، واستولى ركن الدولة لأول أيامه على طبرستان وجرجان فملكهما، وسار وشمكير عنها فدخل بلاد الجبل.

مسير العساكر من خراسان إلى الري ووفاة وشمكير

قد ذكرنا من قبل أن وشمكير كان يقدح في عمال بني سامان بأنهم لا ينصحون لهم، ويداخلون عدوهم من الديلم.

ووفد أبو علي بن الياس صاحب كرمان على الأمير أبي الحارث منصور مستجيشاً به علي بني بويه، فحرضه على قصد الري وحذره من الاستمالة في ذلك إلى عماله كما أخبره وشمكير، وبعث إلى الحسن بن الفيرزان بالنفير مع عساكره.

ثم أمر صاحب جيوش خراسان أبا الحسن بن محمد بن سيجور الدواني بالمسير إلى الري وأوصاه بالرجوع إلى رأي وشمكير.

وبلغ الخبر إلى ركن الدولة، فاضطرب وبعث بأهله وولده إلى أصفهان.

واستمد ابنه عضد الدولة بفارس، وبختيار ابن أخيه عز الدولة ببغداد، فبادر عضد الدولة إلى إمداده وبعث العساكر على طريق خراسان يريد قصدها لخلوها من العسكر، فأجحفت عساكر خراسان، وانتهوا إلى الدامغان، فأقاموا، وبرز ركن الدولة نحوهم في عساكره من الري، وبينما هم في ذلك ركب وشمكير يوماً ليتصيد فاعترضه خنزير، فأجفل فرسه وسقط إلى الأرض وانهشم ومات، وذلك في المحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وانتقض ما كانوا فيه، وقام يسنون بن وشمكير مقام أبيه، وراسل ركن الدولة وصالحه، فأمده ركن الدولة بالمال والرجال.

خبر ابن الياس بكرمان

كان أبو علي بن الياس قد ملك كرمان بدعوة بني سامان، واستبد بها وأصابه فالج وأزمن به.

وكان له ثلاثة من الولد: اليسع والياس وسليمان فعهد إلى اليسع وبعده الياس وأمر سليمان بالعود إلى أرضهم ببلاد الصغد، يقيم بها فيما لهم هنالك من الأموال لعداوة كانت بين سليمان واليسع فخرج سليمان لذلك، واستولى على السيرجان، فأنفذ إليه أبوه أبو علي ابنه الآخر في عسكر، وأمره بإجلائه عن البلاد، ولا يمكنه من قصد الصغد إلى طلبها، فسار وحاصره.

ولما ضاق الحصار على سليمان جمع أمواله ولحق بخراسان.

وملك اليسع السيرجان وسار إلى خراسان.

ثم لحق أبو علي ببخارى ومعه ابنه سليمان فأكرمه الأمير أبو الحارث وقربه.

وأغزاه أبو علي بالري، وتجهيز العساكر إليه كما ذكرناه، وأقام عنده إلى أن توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة كما نذكر في أخباره.

ولحق اليسع ببخارى فأقام بها، ثم سعى سليمان عند الأمير أبي الحارث منصور في المسير إلى كرمان وأطمعه في ملكها، وأن أهلها في طاعته، فبعث معه عسكراً.

ولما وصل أطاعه أهل نواحيها من القمص والبولص وجميع المنتقضين على عضد الدولة، واستفحل أمره فسار إليه كورتكين عامل عضد الدولة بكرمان، وحاربه ونزعت عساكره عنه، فانهزم وقتل معه ابنا أخيه اليسع وهما بكر والحسين وكثير من القواد وصارت كرمان للديلم.

انعقاد الصلح بين منصور بن نوح وبين بني بويه

ثم انعقد الصلح بين الأمير أبي الحارث منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر، وبين ركن الدولة وزوجه ابنته،

وحمل إليه الهدايا والتحف ما لم يحمل مثله.

وكتب بينهم كتاب الصلح، شهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق، وتم ذلك على يد أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور صاحب الجيوش بخراسان من جهة الأمير أبي الحارث في سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وفاة منصور بن نوح وولاية ابنه نوح

ثم توفي الأمير أبو الحارث منصور ببخارى منتصف سنة ست وستين وثلاثمائة، وولي بعده ابنه أبو القاسم نوح صبياً لم يبلغ الحلم، فاستوزر أبا الحسن العتبي، وجعل على حجابة بابه مولاه أبا العباس قاسماً، وكان من موالي أبي الحسن العتبي فأهداه إلى الأمير أبي صالح وشركهما في أمر الدولة أبو الحسن فائق، وأقر على خراسان أبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور واطردت أمور الدولة على استقامتها.

عزل ابن سيجور عن خراسان وولاية أبي العباس تاش

قد تقدم لنا شأن خلف بن أحمد الليثي صاحب سجستان وانتصاره بالأمير منصور بن فرج على قريبه طاهر بن خلف بن أحمد بن الحسين المنتقض عليه لسنة أربع وخمسين وثلاثمائة وأنه مده بالعسكر ورده إلى ملكه.

ثم انتقض طاهر ثانياً بعد انصراف العسكر عن خلف، وبعث مستجيشاً فأمده ثانياً.

وقد هلك طاهر وولي ابنه الحسين فحاصره خلف، وأرهقه الحصار فنزل لخلف عن سجستان ولحق بالسعيد نوح بن منصور.

وأقام خلف دعوة نوح في سجستان وحمل المال متقرراً عليه كل سنة.

ثم قصر في الطاعة والخدمة، وصار يتلقى الأوامر بالإعراض والإهمال فرمي بالحسين بن طاهر في جيوش خراسان وحاصره بقلعة أرك وطال انحصاره وأمده العتبي الوزير بجماعة القواد كالحسن بن مالك وبكتاش فأقاموا عليه سبع سنين حتى فنيت الرجال والأموال.

وكان ابن سيجور بخراسان وكانت أيامه قد طالت بها فلا يطيع السلطان إلا فيما يراه. وكان خلف بن أحمد صاحبه فلم يغن عليه، وعوتب في ذلك، وعزل عن خراسان بأبي العباس تاش فكتب يتعذر ورحل إلى قهستان ينتظر جواب كتابه، فجاءه كتاب الأمير نوح بالمسير إلى سجستان فسار، واستنزل خلفاً من معقله للحسين بن طاهر، وسار خلف إلى حصن الطاق، وداخله ابن سيجور وأقام خطبة لرضا نوح به وانصرف.

ولما ولى الأمير نوح الحاجب أبا العباس تاش قيادة خراسان سار إليها سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة فلقي هنالك فخر الدولة ابن ركن الدولة، وشمس المعالي قابوس بن وشمكير ناجين من جرجان، وكان من خبرهما أن عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة وهزمه، ولحق فخر الدولة بقابوس، وبعث عضد الدولة في طلبه ترغيباً وترهيباً فأجاره قابوس، وبعث عضد الدولة في طلبه أخاه مؤيد الدولة في العساكر إليهم، ولقيهم قابوس فهزموه فسار إلى بعض قلاعه، واحتمل منها ذخائره ولحق بنيسابور.

ولحق به فخر الدولة ناجياً من المعركة فأكرمهم أبو العباس تاش، وأنزلهم خير منزل، وأقاموا عنده واستولى مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان.

مسير أبي العباس في عساكر خراسان إلى جرجان ثم مسيره إلى بخارى

ولما وصل قابوس بن وشمكير وفخر الدولة بن ركن الدولة إلى أبي العباس تاش مستجيرين بالأمير نوح على استرجاع جرجان وطبرستان من يد مؤيد الدولة، كتب بذلك إلى الأمير نوح ببخارى فأمره بالمسير معهما، وإعادتهما إلى ملكهما، فسار معهما لذلك في العساكر، ونازلوا جرجان شهرين حتى ضاق عليهم الحصار، وداخل مؤيد الدولة فائقاً من قواد خراسان ورغبه فوعده بالانهزام.

ثم خرج مؤيد الدولة من جرجان في عساكره مستميتاً فهزمهم، ورجعوا إلى نيسابور وكتبوا إلى بخارى بالخبر فأجابهم الأمير نوح بالوعد.

واستنفر العساكر من جميع الجهات إلى نيسابور للمسير مع قابوس وفخر الدولة، فاجتمعوا هنالك.

ثم جاء الخبر بقتل الوزير أبي الحسن العتبي، وكان زمام الدولة بيده، فيقال: إن أبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور وضع عليه من قتله، وذلك سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ولما قتل

كتب الأمير نوح بن منصور إلى الحاجب أبي العباس تاش يستدعيه لتدبير دولته ببخارى، فسار عن نيسابور إليها وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسن.

رد أبي العباس إلى خراسان ثم عزله وولاية ابن سيجور

ولما سار أبو العباس إلى بخارى وكان أبو الحسن بن سيجور من حين سار إلى سجستان كما مر مقيماً بها، ثم رجع آخراً إلى قهستان.

فلما سار أبو العباس تاش إلى بخارى، وكتب ابن سيجور إلى فائق يطلب مظاهرته على ملك خراسان، أجابه إلى ذلك، واجتمعا بنيسابور واستوليا على خراسان، وسار إليهما أبو العباس تاش في العساكر.

ثم تراسلوا كلهم واتفقوا على أن يكون بنيسابور، وقيادة العساكر لأبي العباس تاش، وبلخ لفائق، وهراة لأبي الحسن بن سيجور، وانصرف كل واحد إلى ولايته.

وكان فخر الدولة بن بويه خلال ذلك معهما بنيسابور ينتظر النجدة إلى أن هلك أخوه مؤيد الدولة بجرجان في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

واستدعاه أهل دولته للملك فكاتبه الصاحب ابن عباد وغيره فسار إليهم، واستولى على ملك أخيه بجرجان وطبرستان، وكان الأمير نوح لما سار أبو العباس من بخارى إلى نيسابور استوزر مكانه عبد الله بن عزيز، وكانت بينه وبين أبي الحسن العتبي منافسة وعداوة.

ثم لما ولي الوزارة تقدم على عزل أبي العباس عن خراسان وكتب إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم بخراسان بولاية نيسابور.

انتقاض أبي العباس وخروجه مع ابن سيجور ومهلكه

ولما عزل أبو العباس تاش عن خراسان كتب إلى الأمير نوح يستعطفه فلم يجبه، فانتقض.

وكتب إلى فخر الدولة يستمده على ابن سيجور فأمده بالأموال والعسكر مع أبي محمد عبد الله بن عبد الرزاق، وسار إلى نيسابور في عساكره وعساكر الديلم، وتحصن ابن سيجور بنيسابور، وجاءه مدد آخر من فخر الدولة وبرز ابن سيجور للقائهم فهزموه وغنموا منه.

واستولى أبو العباس على نيسابور، وكتب إلى الأمير نوح يستعطفه، ولج ابن عزيز في عزله، ثم تاب لابن سيجور رأيه، وعادت إليه قوته، وجاءه الأمراء من بخارى مدداً.

وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة بفارس يستمده فأمده بألفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة.

فلما كثف جمعه زحف إلى أبي العباس وقاتله فهزمه، ولحق بفخر الدولة ابن بويه بجرجان فأكرمه وعظمه، وترك له جرجان ودهستان وأستراباذ إقطاعاً.

وسار عنها إلى الري، وبعث إليه من الأموال والآلات ما يخرج عن الحد، وأقام أبو العباس بجرجان، ثم جمع العساكر وسار إلى خراسان، فلم يقدر على الوصول إليها وعاد إلى جرجان وأقام بها ثلاث سنين، ومات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

وقام أهل جرجان بأصحابه لما كانوا يحقدون عليهم من سوء السيرة فقاتلهم أصحابه، واستباحوهم حتى استأمنوا وكفوا عنهم.

ثم افترق أصحابه وسار أكثرهم وهم كبار الخواص والغلمان إلى خراسان، وقد كان صاحبها أبو الحسن سيجور مات فجأة، وقام بأمرها مكانه ابنه أبو علي، وأطاعه إخوته وكبيرهم أبو القاسم، ونازعه فائق الولاية فلحق به أصحاب أبي العباس واستكثر بهم لشأنه.

ولاية أبي علي بن سيجورعلى خراسان

قد تقدم اتفاق أبي الحسن بن سيجور وأبي العباس تاش وفائق على أن تكون نيسابور وقيادة خراسان لتاش، وبلخ لفائق، وهراة لأبي علي بن أبي الحسن سيجور.

ثم عزل تاش بسعاية الوزير ابن عزيز وولى أبو الحسن وكانت بينهما، الحرب التي مر ذكرها.

وانهزم تاش إلى جرجان فاستقر أبو علي بهراة وفائق ببلخ، وكان ابن عزيز يستحث الحسن لقصد جرجان.

ثم عزل ابن عزيز ونفي إلى خوارزم، وقام مكانه أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني.

ثم عجز لما نزل بالدولة من قلة الخراج وكثرة المصاريف، فصرف عن الوزارة بأبي نصر بن احمد بن محمد بن أبي يزيد، ثم

عزل وأعيد أبو علي الدامغاني، وهلك أبو الحسن بن سيجور خلال ذلك، وقام ابنه أبو علي مقامه.

وكاتب الأمير نوح بن منصور يطلب أن يعقد له الولاية كما كانت لأبيه فأجيب إلى ذلك ظاهراً، وكتب لفائق بولاية خراسان، وبعث إليه بالخلع والألوية.

وكان أبو علي يظن أنها له، فلما بدا له من ذلك ما لم يحتسب، جمع عسكره وأغذ السير، وأوقع بفائق ما بين هراة وبوشنج، فانهزم فائق إلى مرو الروذ، وملك أبو علي مرو، ووصله عهد الأمير نوح بقيادة الجيوش وولاية نيسابور وهراة وقهستان ولقبه عماد الدولة، ثم رقاه الأمير نوح.

واستولى على سائر خراسان، واستبد بها على السلطان حتى طلبه نوح في بعض أعمالها لنفقته فمنعه، وأقام مظهراً لطاعته، وخشي غائلة السلطان من طلبة نوح فكاتب بقراخان ملك الترك ببلاد كاشغر وشاغور يغريه ويستحثه لملك بخارى وما وراء النهر على أن يستقر هو بخراسان.

خبر فائق

وأقام بعد انهزامه أمام أبي علي بمرو الروذ حتى اندملت جراحه، واجتمع إليه أصحابه، وسار إلى بخارى قبل أن يستأذن، فارتاب به الأمير نوح فسرح إليه العساكر مع أخي الحاجب، وبكشرزون فانهزم وعبر النهر إلى بلخ، فأقام بها أياماً، وسار إلى ترمذ وكاتب بقراخان يستحثه.

وكتب الأمير نوح إلى والي الجوزجان أبي الحارث أحمد بن محمد الفيرقوني بقصد فائق، فقصده في جموعه، وسرح فائق إليه بعض عسكره فهزمه وعاد إلى بلخ.

وكان طاهر بن الفضل قد ملك الصغانيان على أبي المظفر محمد بن أحمد، وهو واحد خراسان فانقطع أبو المظفر إلى فائق صريخاً، فأمده وسار إلى طاهر بعسكر فائق، واقتتلوا فانهزم طاهر وقتل، وصارت الصغانيان لفائق.

استيلاء الترك على بخارى

ولما خرج الأمير نوح عن بخارى عبر النهر واستقر بآمل الشط، وكاتب أبا علي بن سيجور يستحثه للنصرة، وكاتب فائقاً أيضاً يستصرخه فلم يصرخه أحد منهما.

ويلغه مسير بقراخان عن بخارى فأغذ السير إليها، وعاود الجلوس على كرسي ملكه، وتباشر الناس بقدومه.

ثم بلغه مهلك بقراخان فتزايد سرورهم، ولما عاد الأمير نوح إلى بخارى ندم أبو علي على ما فرط فيه من نصرته، وأجمع الاستظهار بفائق، فأزاحوه عن ملكه وملكوها، ولحق فائق بأبي علي بن سيجور، وتظاهرا على الأمير نوح وذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

عزل أبي علي بن سيجور عن خراسان وولاية سبكتكين

ولما اجتمع أبو علي بن سيجور وفائق على منافرة الأمير نوح وعصيانه، كتب الأمير نوح إلى سبكتكين، وكان أميراً على غزنة ونواحيها يستقدمه لنصره منهما، وإنجاده عليهما، وولاه خراسان.

وكان سبكتكين في شغل عن أمرهم بما هو فيه من الجهاد مع كفار الهند.

فلما جاءه كتاب نوح ورسوله بادر إليه، وتلقى أمره في ذلك، وعاد إلى غزنة فجمع العساكر، وبلغ الخبر أبا علي وفائقاً، فبعثا إلى فخر الدولة بن بويه يستنجدانه، واستعانا في ذلك بوزيره الصاحب بن عباد، فبعث إليهما مدداً من العساكر.

ثم سار سبكتكين وابنه محمود نحو خراسان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وسار الأمير نوح واجتمعوا ولقوا أبا علي وفائقاً بنواحي هراة، وكان معهما دارا بن قابوس بن وشمكير، فنزع إلى الأمير نوح، وانهزم أصحاب أبي علي وفائق وفتك فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم إلى نيسابور، فلحقا بجرجان، وتلقاهما فجر الدولة بالهدايا والتحف والأموال، وأنزلهما بجرجان.

واستولى نوح على نيسابور، واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين، ولقبه سيف الدولة، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة، وعاد نوح إلى بخارى وترك سبكتكين بهراة ومحمود بنيسابور.

عود ابن سيجور إلى خراسان

لما افترق نوح وسبكتكين طمع أبو علي وفائق في خراسان،

فسار عن جرجان إلى نيسابور في ربيع سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وبرز محمود للقائهما بظاهر نيسابور، وأعجلوه عن وصول المدد من أبيه سبكتكين، وكان في قلة، وانهزم إلى أبيه، وغنموا سواده.

وأقام أبو علي بنيسابور وكان الأمير نوح يستميله ويتلطف في العذر مما كان سبكتكين فلم يجبياه إلى ما طلب.

ظهور سبكتكين وابنه محمود على أبي علي وفائق ومقتل أبي علي

ولما دخل أبو علي نيسابور، وانهزم عنها محمود، جمع سبكتكين العساكر وسار إليه، فالتقوا بطوس، وجاء محمود على أثره مدداً، فانهزم هو وفائق إلى أبيورد، فاتبعهما سبكتكين بعد أن استخلف ابنه محموداً بنيسابور فلحقا بمرو، ثم آمل الشط، وكتبا إلى الأمير نوح يستعطفانه، فشرط على أبي علي أن ينزل بالجرجانية ويفارق فائقاً ففعل.

ونزل قريباً من خوارزم بالجرجانية، فأكرمه أبو عبد الله خوارزم شاه وسكن إليه، وبعث من ليلته من جاء به واعتقله وأعيان أصحابه.

وبلغ الخبر إلى مأمون بن محمد صاحب الجرجانية فاستعظم ذلك، وسار بعساكره إلى خوارزم شاه وافتتح مدينته وتسمى كاش عنوة، وخلص أبا علي من محبسه، وعاد إلى الجرجانية واستخلف بعض أصحابه على بلاد خوارزم.

ولما عاد إلى الجرجانية أخرج خوارزم شاه وقتله بين يدي أبي علي بن سيجور، وكتب إلى الأمير نوح يشفع في أبي علي فشفعه.

واستدعى أبا علي إلى بخارى فسار إليها وأمر الأمراء والعساكر بتلقيه، فلما دخل عليه أمر بحبسه، وشفع سبكتكين فيه فهرب ولحق بفخر الدولة، وأقام عنده.

وأما فائق فلما فارقه أبو علي كما شرط عليه الأمير نوح سار إلى إيلك خان ملك الترك بكاشغر، فأكرمه وكتب إلى نوح يشفع فيه فقبل شفاعته وولاه عليها وأقام بها.

وفاة الأمير نوح وولاية ابنه منصور وولاية بكثرزون على خراسان

ثم توفي الأمير نوح بن منصور منتصف سبع وثمانين وثلاثمائة لإحدى وعشرين سنة من ملكه، وانتقض بموته ملك بني سامان وصار إلى الاضمحلال.

ولما توفي قام بالملك بعده ابنه أبو الحارث منصور، وتابعه أهل الدولة واتفقوا على طاعته، وقام بتدبير دولته بكثرزون.

واستوزر أبا طاهر محمد بن إبراهيم، وبلغ خبر وفاة نوح إلى إيلك خان، فطمع في ملكهم، وسار إلى سمرقند، وبعث من هنالك فائقاً والخاصة إلى بخارى فاضطرب منصور وهرب عن بخارى وقطع النهر.

ودخل فائق بخارى وأعلم الناس أنه إنما جاء لخدمة الأمير منصور، فبعث مشايخ بخارى بذلك إلى منصور ودخل.

واستقدموه بعد أن أخذوا له مواثيق العهود من فائق، فاطمأن وعاد إلى بخارى، وأقام فائق بتدبير أمره وتحكم في دولته وأبعد بكثرزون إلى خراسان أميراً، وقد كان سبكتكين توفي في شعبان من هذه السنة، ووقعت الفتنة بين ابنيه إسماعيل ومحمود فقدم بكثرزون أيام فتنتهما واستولى على خراسان.

عود أبي القاسم بن سيجور إلى خراسان وخيبته

قد ذكرنا مسير بكثرزون إلى خراسان عند مفره أيام محمود بن سبكتكين من خراسان وأقام عند فخر الدولة، وعند أبيه مجد الدولة واجتمع عنده أصحاب أبيه، وكتب إليه فائق من بخارى يغريه ببكثرزون ويأمره بقصد خراسان ويخرج بكثرزون منها فسار عن جرجان إلى نيسابور، وبعث جيشاً إلى أسفرايين فملكوها من يد أصحاب بكثرزون، ثم تردد السفراء بينهما، ووقع الصلح والصهر وعاد بكثرزون إلى نيسابور.

انتقاض محمود بن سبكتكين وملكه نيسابور ثم خروجه عنها

لما فرغ محمود بن سبكتكين من أمر الفتنة بينه وبين أخيه إسماعيل، واستولى على ملك غزنة، وعاد إلى بلخ وجد بكثرزون

والياً على خراسان كما ذكرناه فبعث إلى الأمير منصور بن نوح يذكر وسائله في الطاعة والمحاباة، ويطلب ولاية خراسان، فاعتذر له عنها وولاه ترمذ وبلخ وما وراءهما من أعمال بست، فلم يرض ذلك، وأعاد الطلب فلم يجب، فسار إلى نيسابور وهرب منها بكثرزون وملكها محمود سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فسار الأمير منصور من بخارى إليه فخرج عنها إلى مروالروذ وأقام بها.

خلع الأمير منصور وولاية أخيه عبد الملك

ولما سار الأمير منصور عن بخارى إلى خراسان لمدافعة محمود بن سبكتكين عن نيسابور، سار بكثرزون للقائه فلقيه بسرخس، ثم لم يلق من قبوله ما كان يؤمله، فشكا ذلك إلى فائق فألفاه واجداً مثل ذلك فخلصا في نجواهما، واتفقا على خلعه وإقامة أخيه عبد الملك مقامه، ووافقهما على ذلك جماعة من أعيان العسكر، ثم قبضوا عليه وسملوه أول سنة تسعين لعشرين شهراً من ولايته، وولي مكانه أخوه عبد الملك.

وبعث محمود إلى فائق وبكثرزون يقبح عليهما فعلهما، وسار نحوهما طامعاً في الاستيلاء على الملك.

استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان

ثم سار محمود بن سبكتكين إلى فائق وبكثرزون ومعهما عبد الملك الصبي الذي نصبوه فساروا إليه، والتقوا بمرو سنة تسعين وثلاثمائة وقاتلهم فهزمهم وافترقوا.

ولحق عبد الملك ببخارى ومعه فائق، ولحق بكثرزون بنيسابور، ولحق أبو القاسم بن سيجور بقهستان وقصد محمود نيسابور، وانتهى إلى طرسوس فقرب بكثرزون إلى جرجان، وبعث في إثره أرسلان الحاجب إلى أن وصل جرجان، ورجع فاستخلفه محمود على طرسوس، وسار إلى هراة فخالفه بكثرزون إلى نيسابور وملكها.

ورجع إليها محمود فأجفل عنها، ومر بمرو فنهبها ولحق ببخارى واستقر محمود بخراسان وأزال عنها ملك بني سامان، وخطب فيها للقادر العباسي، واستدعى الولاية من قبله فبعث إليه بالعهد عليها والخلع لبني سيجور، وأنزله نيسابور وسار هو إلى بلخ كرسي أبيه فافتقده واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته مثل آل أفريقون بالجوزجان والشاه صاحب غرسيان وبني مأمون بخوارزم.

استيلاء ايلك خان على بخارى وانقراض دولة بني سامان

ولما ملك محمود خراسان ولحق عبد الملك ببخارى اجتمع إليه فائق وبكثرزون وغيرهما من الأمراء، وأخذوا في جمع العساكر لمناهضة محمود بخراسان.

ثم مات فائق في شعبان من هذه السنة فاضطربوا ووهنوا لأنه كان المقدم فيهم، وكان خصياً من موالي نوح بن نصر فطمع ايلك خان في الاستيلاء على ملكهم، كما ملكه بقراخان قبله، فسار في جموع الترك يظهر المدافعة لعبد الملك عنه فاطمأنوا للذلك، وخرج بكثرزون وغيره من الأمراء والقواد للقائه فقبض عليهم جميعاً، ودخل بخارى عاشر ذي القعدة، ونزل دار الأمارة واختفى عبد الملك فبعث العيون عليه حتى ظفر به وأودعه السجن في أرزكند فمات.

وحبس معه أخاه أبا الحارث منصوراً المخلوع وإخوته الآخرين أبا إبراهيم إسماعيل وأبا يعقوب، وأعمامه أبا زكريا وأبا سليمان وأبا صالح القاري وغيرهم من بني سامان.

وانقرضت دولتهم بعد أن كانت انتشرت في الآفاق ما بين حلوان وبلاد الترك، ووراء النهر، وكانت من أعظم الدول وأحسنها سياسة.

خروج إسماعيل بن نوح بخراسان

ثم هرب أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من محبسه في زي امرأة كانت تتعاهد خدمته فاختفى ببخارى.

ثم لحق بخوارزم وتلقب المنتصر، واجتمع إليه بقايا القواد والأجناد، وبعث قابوس عسكراً مع ابنيه منوجهر ودارا.

ووصل إسماعيل إلى نيسابور في شوال سنة إحدى وتسعين، وجبى أموالها، وبعث إليه محمود مع التوتناش الحاجب الكبير صاحب هراة، فلقيهم فانهزم المنتصر إلى أبيورد وقصد جرجان فمنعه قابوس منها فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها في ربيع سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

فأرسل إليها محمود العساكر مع منصور، والتقوا فانهزم إسماعيل وأسر أبو القاسم بن سيجور في جماعة من أعيان العسكر، فبعث بهم منصور إلى غزنة، وسار إسماعيل حائراً فوافى أحياء الغز بنواحي بخارى فتعصبوا عليه، وسار بهم إلى

إيلك خان في شوال سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة فلقيه بنواحي سمرقند.

وانهزم إيلك واستولى الغز على سواده وأمواله، وأسرى من قواده ورجعوا إلى أحيائهم وتفاوضوا في إطلاق الأسرى من أصحاب ايلك خان، وشعر بهم إسماعيل فسار عنهم خائفاً وعبر النهر إلى آمل الشط، وبعث إلى مرو ونسا وخوارزم فلم يقبلوه، وعاودوا العبور إلى بخارى وقاتله واليها فانهزم إلى دبوسية وجمع بها، ثم عاد فانهزم من عساكر بخارى وقاتله واليها.

وجاءه جماعة من فتيان سمرقند فصاروا في جملته.

وبعث إليه أهله بأموال وسلاح ودواب، وسار إليه ايلك خان بعد أن استوعب في الحشد ولقيه بنواحي سمرقند في شعبان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وظاهر الغز إسماعيل فكانت الدبرة على ايلك خان، وعاد إلى بلاد الترك فاحتشد، ورجع إلى إسماعيل وقد افترقت عنه أحياء الغز إلى أوطانهم، وخف جمعه، فقاتلهم بنواحي مروسية فهزموه وفتك الترك في أصحابه.

وعبر إسماعيل النهر إلى جوزجان فنهبها، وسار إلى مرو وركب المفازة إلى قنطرة راغول، ثم إلى بسطام، وعساكر محمود في اتباعه مع أرسلان الحاجب صاحب طوس، وأرسل إليه قابوس عسكراً مع الأكراد الشاهجانية فأزعجوه عن بسطام، فرجع إلى ما وراء النهر وأدرك أصحابه الكلل والملال ففارقه الكثير منهم، وأخبروا أصحاب ايلك خان وأعلموهم بمكانه فكبسه الجند فطاردهم ساعة، ثم دخل في حي من أحياء العرب بالفلاة من طاعة محمود بن سبكتكين يعرف أميرهم بابن بهيج، وقد تقدم إليهم محمود في طلبه فأنزله عندهم حتى إذا جن الليل وثبوا عليه وقتلوه وذلك سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وانقرض أمر بني سامان وامحت آثار دولتهم.

والبقاء لله وحده.

الخبر عن دولة بني سبكتكين ملوك غزنة وما ورثوه من الملك بخراسان وما وراء النهر عن مواليهم وما فتحوه من بلاد الهند وأول أمرهم ومصائر أحوالهم

هذه الدولة من فروع دولة بني سامان وناشئة عنها، وبلغت من الاستطالة والعز المبالغ العظيمة، واستولت على ما كانت دولة بني سامان عليه في عدوتي جيحون وما وراء النهر، وخراسان، وعراق العجم، وبلاد الترك، وزيادة بلاد الهند، وكان مبدأ أمرهم عن غزنة، وذلك أن سبكتكين من موالي بني التيكين، وكان التيكين من موالي بني سامان، وكان في جملته، وولاه حجابته، وورد بخارى أيام السعيد منصور بن نوح وهو إذ ذاك حاجبه، ثم تفوي التيكين هذا وعقد له السعيد منصور بن نوح سنة خمس وستين وثلاثمائة، وولى ابنه نوح ويكنى أبا القاسم واستوزر أبا الحسن العتبي، وولى على نيسابور أبا الحسن محمد بن سيجور، وكان سبكتكين شديد الطاعة له، والقيام بحاجاته.

وطرقت دولة بني سامان النكبة من الترك، واستولى بقراخان على بخارى من يد الأمير نوح.

ثم رجع إليها، ومات أبو الحسن بن سيجور وولي مكانه بخراسان ابنه أبو علي، واستبد على الأمير نوح في الاستيلاء على خراسان عند نكبة الترك.

فلما عاد الأمير نوح إلى كرسيه وثبت في الملك قدمه، كاشفه أبو علي في خراسان بالانتقاض، واستدعى أبا منصور سبكتكين يستمده على أبي علي ويستعين به في أحوال الدولة فبادر لذلك، وكان له المقام المحمود فيه، وولاه الأمير نوح خراسان، فدفع عنها أبا علي.

ثم استبد بعد ذلك على بني سامان بها.

ثم غلبهم على بخارى وما وراء النهر، ومحا أثر دولتهم وخلفهم أحسن خلف، وأورث ذلك بنيه، واتصلت دولتهم في تلك الأعمال إلى أن ظهر الغز، وملك الشرق والغرب بنو سلجوق منهم فغلبوهم على أمرهم، وملكوا تلك الأعمال جميعاً من أيديهم حسبما يذكر ذلك كله.

ولنبدأ الآن بسبكتكين من الجهاد في بلاد الهند قبل ولايته خراسان. ثم نأتي بأخبارهم.

فتح بست

كانت بست هذه من أعمال سجستان وفي ولايتها ولما فسد نظام تلك الولاية بانقراض دولة بني الصفار واخترقت تلك العمالات طوائف فانفرد ببست أمير اسمه طغان.

ثم غلبه عليها آخر اسمه كان، يكنى بأبي ثور فاستصرخ طغان سبكتكين على مال ضمنه على الطاعة والخدمة، فسار سبكتكين إلى بست وفتحها، وأخذ الوزير أبا الفتح علي بن محمد

البستي الشاعر المشهور فأحضره واستكتبه، وكتب لابنه محمود من بعده.

ثم استخلف سبكتكين وسار إلى قصدار من ورائها فملكها وتقبض على صاحبها، أعاده إلى ملكه على مال يؤديه وطاعة يبذلها له.

غزو الهند

ثم سار سبكتكين بعدما فتح بست وقصد غازياً بلاد الهند، وتوغل فيها حتى افتتح بلاداً لم يدخلها أحد من بلاد الإسلام.

ولما سمع به ملك الهند سار إليه في جيوشه وقد عبى العساكر والفيلة على عادتهم في ذلك بالتعبية المعروفة بينهم، وانتهى إلى لمغان من ثغورة وتجاوزه، وزحف إليه سبكتكين من غزنة في جموع المسلمين، والتقى الجمعان ونصر اللّه المسلمين، وأسر ملك الهند وفدى نفسه على ألف ألف درهم، وخمسين فيلاً ورهن في ذلك من قومه، وبعث معه رجالاً لقبض ذلك فغدر بهم في طريقه، وتقبض عليهم، فسار سبكتكين في تعبيته إلى الهند، فقبض كل من لقيه من جموعهم، وأثخن فيهم، وفتح لمغان وهدمها وهي ثغر الهند مما يلي غزنة، فاهتز لذلك جيبال واحتشد، وسار إلى سبكتكين، فكانت بينهم حرب شديدة، وانهزم جيبال وجموع الكفر، وخمدت شوكتهم، ولم يقم لملوك الهند بعدها معه قائمة.

ثم صرف وجهه إلى إعانة سلطانه الأمير نوح كما نذكر.

ولاية سبكتكين على خراسان

قد قدمنا أن الأمير نوح بن منصور لما طرقته النكبة ببخارى من الترك، وملكها عليه بقراخان عبر النهر إلى آمل الشط، واستصرخ ابن سيجور صاحب خراسان وفائقاً صاحب بلخ، فلم يصرخاه، وبلغه مسير بقراخان عن بخارى فأغذ السير إليها، وارتجع ملكه كما كان.

وهلك بقراخان فثبت قدمه في سلطانه.

وارتاب أبو علي وفائق بأمرهم عنده، وغلط فائق بالمبادرة إلى بخارى للتهنئة والتقدم في الدولة من غير إذن في ذلك، فسرح الأمير نوح غلمانه ومواليه فحاربوه، وملكوا بلخاً من يده، ولحق بأبي علي بن سيجور، فاستظهر به على فتنة الأمير نوح وذلك سنة أربع وثمانين، فكتب الأمير نوح عند ذلك إلى سبكتكين يستدعيه للنصرة عليهما، وعقد له على خراسان وأعمالها، وكان في شغل شاغل من الجهاد بالهند كما ذكرناه فبادر بذلك، وسار إلى نوح فلقيه واتفق معه، ثم رجع إلى غزنة واحتشد وسار هو وابنه محمود ولقيا الأمير نوحاً بخراسان في الموضع الذي تواعد معه، ولقيهم أبو علي بن سيجور وفائق فهزمهما.

وفتك فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم إلى نيسابور، ثم صدوهم عنها إلى جرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين وأنزله بها، ولقبه سيف الدولة، وأنزل أباه سبكتكين بهراة ولقبه ناصر الدولة ورجع إلى بخارى.

الفتنة بين سيجور وفائق بخراسان وظهور سبكتكين وابنه محمود عليهم

ولما رجع نوح إلى بخارى وطمع أبو علي بن سيجور وفائق في انتزاع خراسان من يد سبكتكين وابنه.

وبادروا إلى محمود بن سبكتكين بنيسابور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وأعجلوه عن وصول المدد إليه من ابنه سبكتكين.

وكان في قلة فانهزم إلى أبيه بهراة، وملك أبو علي نيسابور، وسار إليه سبكتكين في العساكر، والتقوا بطوس، فانهزم أبو علي وفائق حتى انتهيا إلى آمل الشط.

واستعطف أبو علي الأمير نوحاً فاستدعاه وحبسه.

ثم بعث به إلى سبكتكين وحبسه عنده، ولحق فائق بملك الترك ايلك خان في كاشغر، وشفع فيه إلى الأمير نوح فولاه سمرقند كما مر ذلك كله في أخبارهم.

وكان أبو القاسم أخو أبي علي قد نزع إلى سبكتكين يوم اللقاء فأقام عنده مدة مديدة.

ثم انتقض وزحف إلى نيسابور فجاء محمود بن سبكتكين فهرب ولحق بفخر الدولة بن بويه فأقام عنده، واستولى سبكتكين على خراسان.

مزاحفة سبكتكين وايلك خان

كان ايلك خان ولي بعد بقراخان على كاشغر وشاغور، وعلى أم الترك وطمع في أعمال الأمير نوح كما طمع أبوه، ومد يده إليها شيئاً فشيئاً.

ثم اعتزم على الزحف إليه فكتب الأمير نوح إلى سبكتكين بخراسان يستجيشه على ايلك خان، فاحتشد وعبر النهر وأقام بين نسف وكشف حتى لحقه ابنه محمود بالحشود من كل جهة، وهنالك وصله أبو علي بن سيجور مقيداً، بعث به إليه الأمير نوح فأبى من ذلك، وجمع ايلك خان أمم الترك من سائر النواحي.

وبعث سبكتكين إلى الأمير نوح يستحثه فخام عن اللقاء، وبعث قواده وجميع عساكره، وجعلهم لنظره وفي تصريفه فألح عليه سبكتكين، وبعث أخاه بغراجق وابنه محموداً لاستحثاثه فهرب الوزير ابن عزيز خوفاً منهم، وتفادى نوح من اللقاء فتركوه، وفت ذلك في عزم سبكتكين، وبعث ايلك خان في الصلح فبادر سبكتكين وبعث أبا القاسم.

ثم ارتاب به عند عبوره إلى ايلك خان، فحبسه مع أبي علي وأصحابه حتى رجع سبكتكين من طوس إلى بلخ، فبلغ الخبر بمقتلهم، ووصل نعي مأمون بن محمد صاحب الجرجانية بخوارزم غدر به صاحب جيشه في صنيع أعده له وقتله، وصل خبر الأمير نوح أثرهما وأنه هلك منتصف رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

أخبار سبكتكين مع فخر الدولة بن بويه

كان أبو علي بن سيجور وفائق لما هزمهما سبكتكين لحقا بجرجان عند فخر الدولة بن بويه، ثم لما أجلب أبو القاسم على خراسان، وسار إليه محمود بن سبكتكين، وعمه بغراجق وكان معه أبو نصر بن محمود الحاجب فهربا إلى فخر الدولة وأقاما في نزله وتحت حرابه بقومس والدامغان وجرجان وأناخ سبكتكين على طوس.

ثم وقعت المهاداة بينه وبين فخر الدولة بن بويه صاحب الري، وكان آخر هدية من سبكتكين جاء بها عبد الله الكاتب من ثغابة.

ونمي إلى فخر الدولة أنه يتجسس عدد الجند، وغوامض الطرق، فبعث إلى سبكتكين بالعتاب في ذلك.

ثم ضعف الحال بينهما، واتصل ما بين فخر الدولة والأمير نوح على يد سبكتكين.

وفاة سبكتكين وولاية ابنه إسماعيل

ولما فرغ سبكتكين من أمر ايلك خان ورجع إلى بلخ، وأقام بها قليلاً طرقه المرض، فبادر به إلى غزنة، وهلك في طريقه في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لعشرين سنة من ملكه في غزنة وخراسان، ودفن بغزنة.

وكان عادلاً خيراً حسن العهد محافظاً على الوفاء كثير الجهاد.

ولما هلك بايع الجند لابنه إسماعيل بعهده إليه، وكان أصغر من محمود فأفاض فيهم العطاء وانعقد أمره بغزنة.

استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأخيه إسماعيل

ولما ولي إسماعيل بغزنة استضعفه الجند واستولوا عليه، واشتطوا عليه في الطلب حتى أنفد خزائن أبيه، وكان أخوه محمود بنيسابور فبعث إليه أن يكتب له بالأعمال التي لنظره مثل بلخ فأبى، وسعى أبو الحرب والي الجوزجان في الإصلاح بينهما فامتنع إسماعيل، فسار محمود إلى هراة معتزماً عليه، وتحيز معه عمه بغراجق.

ثم سار إلى بست وبها أخوه نصر فاستماله، وساروا جميعاً إلى غزنة، وقد كتب إليه الأمراء الذين مع إسماعيل واستدعوه ووعدوه بالطاعة.

وأغذ السير ولقيه إسماعيل بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وانهزم إسماعيل واعتصم بقلعة غزنة، واستولى محمود على الملك وحاصر أخاه إسماعيل حتى استنزله على الأمان فأكرمه وأشركه في سلطانه، وذلك لسبعة أشهر من ولاية إسماعيل، واستقامت الممالك لمحمود ولقب بالسلطان، ولم يلقب به أحد قبله.

ثم سار إلى بلخ.

استيلاء محمود على خراسان

لما ولي أبو الحارث منصور بعد نوح استوزر محمد بن إبراهيم، وفوض أمره إلى فائق كفالة وتدبيراً لصغره.

وكان عبد الله بن عزيز قد هرب من بخارى عند قدوم محمد إليها في استحثاث الأمير نوح للقاء ايلك خان كما مر، فلما مات الأمير نوح وولي ابنه منصور أطمع عزيز أبا منصور محمد بن الحسين الأسبيجابي في قيادة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار

به إلى بخارى مستغيثاً بايلك خان على غرضه، فنهض ايلك خان لمصاحبتهما وسار بهما كأنه يريد سمرقند.

ثم قبض على أبي منصور وابن عزيز، واحضر فائقاً وأمره بالمسير على مقدمته إلى بخارى، فهرب أبو الحارث وملك فائق بخارى ورجع ايلك خان.

واستدعى فائق أبا الحارث فاطمأن، وبعث من مكانه بكثرزون الحاجب الأكبر على خراسان ولقبه بستان الدولة، ورجع إلى بخارى فتلقاه فائق، وقام بتدبير دولته.

وكانت بينه وبين بكثرزون ضغن فأصلح أبو الحارث بينهما، وأقام بكثرزون وجبى الأموال، وزحف إليه أبو القاسم بن سيجور، وكانت بينهما الفتنة التي مر ذكرها.

وجاء محمود إلى بلخ بعد فراغه من فتنة أخيه إسماعيل، فبعث إلى أبي الحارث منصور رسله وهداياه، فعقد له على بلخ وترمذ وهراة وبست.

واعتذر عن نيسابور فراجعه مع ثقته أبي الحسن الحمولي فاستخلصه أبو الحارث لوزارته، وقعد عن رسالة صاحبه فأقبل محمود إلى نيسابور، وهرب عنها بكثرزون فنهض أبو الحارث إلى نيسابور، فخرج محمود عنها إلى مرو الروذ، وجمع أبو الحارث وكحلة بكثرزون، وبايعوا لأخيه عبد الملك بن نوح.

وبعث محمود إلى فائق وبكثرزون بالعتاب على صنيعهما بالسلطان، وزحف إليهما فبرزا من مرو للقائه، ثم سألوه الإبقاء فأجاب وارتحل عنهم، وبعض أوباشهم في أعقابه فرجع إليهم.

وحشدوا الناس للقائه فهزمهم وافترقوا، فسار عبد الملك إلى بخارى وبكثرزون إلى نيسابور وكان معهم أبو القاسم بن سيجور، ولحق بقهستان واستولى محمود على خراسان وذلك سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

ثم سار إلى طوس وهرب بكثرزون إلى جرجان، وبعث محمود أرسلان الحاجب في أثره فأخرجه من نواحي خراسان، فولى أرسلان على طوس وسار إلى هراة لمطالعة أحوالها، فخالفه بكثرزون إلى نيسابور وملكها، ورجع فطرده عنها أبو القاسم بن سيجور وملكها.

وولى محمود أخاه نصر بن سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان وأنزله بنيسابور، ثم سار إلى بلخ فأنزل بها سريره.

ثم استراب بأخيه إسماعيل فاعتقله ببعض القلاع موسعاً عليه، وكتب بالبيعة للقادر الخليفة من بني العباس، فبعث إليه بالخلع والألوية على العادة.

وقام بين يديه السماطان واستوثق له ملك خراسان وبقي يردد الغزو إلى الهند كل سنة.

استيلاء محمود على سجستان

كان خلف بن أحمد صاحب سجستان في طاعة بني سامان ولما شغل عنه بالفتن استفحل أمره، وشغل للاستبداد.

فلما سار سبكتكين للقاء ملك الهند كما مر، اغتنم الفرصة من بست وبعث إليها عسكراً فملكوها وجبوها.

ولما رجع سبكتكين من الهند ظافراً تلقاه بالمعاذير والتعزية والهدايا والطاعة فقبل وأعرض عنه، وارتهن عنده على طاعته، وسار معه الحارث أبو علي بن سيجور بخراسان فملأ يده ويد عسكره بالعطاء، وبتقدمه لقتال ايلك خان بما وراء النهر كما مر، فدس إلى ايلك خان يغريه بسبكتكين.

واعتزم سبكتكين على غزو سجستان، ثم أدركه الموت فاغتنم خلف الفرصة وبعث طاهراً إلى قهستان وبوشنج فملكها، وكاتب البغراجق أخا سبكتكين.

فلما فرغ محمود من شأن خراسان بعث لبغراجق عمه بانتزاع قهستان وبوشنج، فسار إلى طاهر فهزمه واتبعه، وكر عليه طاهر فقتله وانهزم الفريقان، وزحف محمود إلى خلف سنة تسعين وثلاثمائة، فامتنع في أحصن بلد وهي قلعة عالية منيعة، وحاصره بها حتى لاذ بالطاعة.

وبذل مائة ألف دينار فأفرج عنه وسار إلى الهند فتوغل فيها، وانتهى في اثني عشر ألف فارس وثلاثين ألف راجل، فاختار محمود من عساكره خمسة عشر ألفاً، وسار لقتال جيبال فهزمه وأسره في بنيه وحفدته وكثير من قرابته.

ووجد في سلبه مقلد من فصوص يساوي مائة ألف دينار وأمثال ذلك، فوزعها على أصحابه، وكان الأسرى والسبي خمسمائة ألف رأس وذلك سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وفتح من بلاد الهند بلاداً أوسع من بلاد خراسان.

ثم فادى جيبال ملك الهند نفسه بخمسين رأساً من الفيلة ارتهن فيها ابنه وحافده وخرج إلى بلده، فبعث إلى ابنه أندبال وشاهينة وراء سيجور فأعطوه تلك الفيلة، وسار لا يعود له ملك، وسار السلطان محمود إلى ويهند فحاصرها وافتتحها، وبعث العساكر لتدويخ نواحيها فأثخنوا في القتل في أوباش كانوا مجتمعين

للفساد مستترين بخمر الغياض فاستلحموهم.

ورجع السلطان محمود إلى غزنة وكان خلف بن أحمد عند منصرف السلطان عنه أظهر النسك، وولى ابنه طاهراً على سجستان، فما طالت غيبة السلطان أراد الرجوع إلى ملكه فلم يمكنه ابنه، فتمارض وبعث إليه بالحضور للوصية والاطلاع على خبايا الذخيرة، فلما حضر اعتقله ثم قتله كما مر.

وجزعت نفوس وبلغت ضمائر قواده لذلك، وخافوه، وبعثوا للسلطان محمود بطاعتهم ما بقيت له الدعوة في سجستان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وسار السلطان محمود إلى خلف فامتنع منه في معقله بحصن الطاق، وهو في رأس شاهق تحيط به سبعة أسوار عالية، ويحيط به خندق بعيد المهوى، وطريقه واحدة على جسر، فجثم عليه أشهراً.

ثم فرض على أهل العسكر قطع الشجر التي تليه وطم بها الخندق، وزحف إليه وقدم الفيول بين يديه على تعبيتها فحطم الفيل الأعظم على باب الحصن فقلعه ورمى به، وفشا القتل في أصحاب خلف وتماسكوا داخل الباب يتناضلون بأحجار المجانيق والسهام والحراب، فرأى خلف هول المطلع فأناب واستأمن، وخرج إلى السلطان وأعطاه كثيراً من الذخيرة، فرفع من قدره وخيره في مقاماته فاختار الجوزجان فأذن له في المسير إليها على ما بينه وبين ايلك خان من المداخلة.

ثم هلك خلف سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأبقى السلطان على ولده عمر، وكان خلف كثير الغاشية من الوافدين والعلماء، وكان محسناً لهم، ألف تفسيراً جمع له العلماء من أهل إيالته، وأنفق عليهم عشرين ألف دينار، ووضعه في مدرسة الصابوني بنيسابور، ونسخه يستغرق عمر الكاتب، إلا أن يستغرق في النسخ.

واستخلف السلطان على سجستان أحمد الفتحي من قواد أبيه ورجع إلى غزنة.

ثم بلغه انتقاض أحمد بسجستان فسار إليهم في عشرة آلاف، ومعه أخوه صاحب الجيش أبي المظفر نصر والتونتاش الحاجب، وزعيم العرب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي فحاصرهم، وفتحها ثانية، وولى عليها أخاه صاحب الجيش نصر بن سبكتكين مضافة إلى نيسابور فاستخلف عليها وزيره أبا منصور نصر بن إسحاق.

وعاد السلطان محمود إلى بلخ مضمراً غزو الهند.

هكذا مساق خبر السلطان محمود مع خلف بن أحمد وخبر سجستان عند العيني.

وأما عند ابن الأثير فعلى ما وقع في أخبار دولة بني الصفار.

غزوة بهاطية والملتان وكوكير

ولما فرغ السلطان محمود من سجستان اعتزم على غزو بهاطية من أعمال الهند، وهي وراء الملتان، مدينة حصينة عليها نطاق من الأصبوان وآخر من الخنادق، بعيدة المهوى.

وكانت مشحونة بالمقاتلة والعدة، واسم صاحبها بجير، فعبر السلطان إليها جيحون وبرز إليه بجير فاقتتلوا بظاهر بهاطية ثلاثة أيام.

ثم انهزم بجير وأصحابه في الرابع وتبعهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من أمامهم ومن ورائهم فبلغ القتل والسبي والسلب والنهب فيهم مبالغه.

وسار بجير في رؤوس الجبال فستر في شعابها وبعث السلطان سرية في طلبه فأحاطوا به، وقتلوا من أصحابه.

ولما أيقن بالهلكة قتل نفسه بخنجر معه.

وأقام السلطان محمود في بهاطية حتى أصلح أمورها، واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الإسلام، ورجع إلى غزنة فلقي في طريقه شدة من الأمطار في الوحل وزيادة المدد في الأنهار، وغرق كثير من عسكره.

ثم بلغه عن أبي الفتوح والي الملتان أنه ملحد، وأنه يدعو أهل ولايته إلى مذهبه فاعتزم على جهاده، وسار كذلك ومنعه سيجور من العبور لكثرة المدد، فبعث السلطان إلى أندبال ملك الهند في أن يبيح له العبور إلى بلاده لغزو الملتان فأبى، فبدأ بجهاده، وسار في بلاده ودوخها وفر أندبال بين يديه، وهو في طلبه إلى أن بلغ كشمير.

ونقل أبو الفتوح أمواله على الفيول إلى سرنديب، وترك الملتان فقصدها السلطان، وامتنع أهلها فحاصرهم حتى افتتحها عنوة، وأغرمهم عشرين ألف ألف درهم عقوبة لهم على عصيانهم.

ثم سار إلى كوكير واسم صاحبها بيدا، وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق أصنامها.

وهرب صاحبها إلى قلعته وهي كاليجار وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان، وفيه خمسمائة وعشرون ألف راية، وهو مشحون بالأقوات والمسالك إليه متعذرة بخمر الشجر، وملتف

الغياض، فأمر بقطع الأشجار حتى اتضحت المسالك.

واعترضه دون الحصن واد بعيد المهوى، فطم منه عشرين ذراعاً بالأجربة المحشوة بالتراب، وصيره جسراً، ومضى منه إلى القلعة، وحاصرها ثلاثة وأربعين يوماً حتى جنح صاحبها إلى السلم.

وبلغ السلطان أن ايلك خان مجمع غزو خراسان، فصالح ملك الهند على خمسين فيلاً، وثلاثة آلاف من الفضة، وخلع عليه السلطان فلبس خلعته وشد منطقته.

ثم قطع خلعته وأنفذها إلى السلطان، وتبعه بما عقد معه وعاد السلطان إلى خراسان بعد أن كان عازماً على التوغل في بلاد الهند.

مسير ايلك خان إلى خراسان وهزيمته

كان السلطان محمود لما ملك ايلك خان بخارى كما مر، وكتب إليه مهنياً، وتردد السفراء بينهما في الوصلة، وأوفد عليه سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي إمام الحديث، ومعه طغان جق والي سرخس في خطبة كريمته بهدية فاخرة من سبائك العقيان واليواقيت والدر والمرجان والوشى والحمر، وصواني الذهب مملوءة بالعنبر والكافور والعود والنصول، وأمامه الفيول تحت الخروج المغشاة، فقوبلت الهدية بالقبول، والوافد بالتعظيم له ولمن أرسله، وزفت المخطوبة بالهدايا والألطاف، وانحدت الحال بين السلطانين.

ولم يزل السعاة يغرون ما بينهما حتى فسد ما بينهما، فلما سار السلطان محمود إلى الملتان اغتنم ايلك خان الفرصة، وبعث سباسي تكين قريبه وقائد جيشه إلى خراسان، وبعث معه أخاه جعفرتكين وذلك سنة تسعين وثلاثمائة فملك بلخاً وأنزل بها جعفر تكين، وكان أرسلان الحاجب بهراة أنزله السلطان بها، وأمره إذا دهمه أن ينحاز إلى غزنة.

وقصد سباسي هراة وسكنها، وندب الحسين بن نصر إلى نيسابور فملكها، ورتب العمال، واستخرج الأموال.

وطار الخبر إلى السلطان بالهند، وقصد بلخ فهرب جعفر تكين إلى ترمذ، واستقر السلطان ببلخ، وسرح أرسلان الحاجب في عشرة آلاف من العساكر إلى سباسي تكين بهراة فسار سباسي إلى مرو، واعترضه التركمان، وقاتلهم فهزمهم وأثخن فيهم.

ثم سار إلى أبيورد، ثم إلى نسا وأرسلان في اتباعه حتى انتهى إلى جرجان فصد عنها، وركب قلل الجبال والغياض، وتسلط الكراكلة على أثقاله ورجاله، واستأمن طوائف من أصحابه إلى قابوس لعدم الظهر.

ثم عاد إلى نسا وأصدر ما معه إلى خوارزم شاه أبى الحسن علي ابن مأمون، وديعة لايلك خان، واقتحم المفازة إلى مرو، فسار السلطان لاعتراضه ورماه محمد بن سبع بمائة من القواد حملوا إلى غزنة.

ونجا سباسي تكين في فل من أصحابه، فعبر النهر إلى ايلك خان، وقد كان ايلك خان بعث أخاه جعفر تكين في ستة آلاف راجل إلى بلخ ليفتر من عزيمة السلطان عن قصد سباسي تكين فلم يفتر ذلك من عزمه، حتى أخرج سباسي من خراسان.

ثم قصدهم فانهزموا أمامه، وتبعهم أخوه نصر بن سبكتكين صاحب جيش خراسان إلى ساحل جيحون، فقطع دابرهم.

ولما بلغ الخبر إلى ايلك خان قام في ركائبه وبعث بالصريخ إلى ملك الختل وهو قدرخان بن بقراخان لقرابة بينهما وصهر، فجاءه بنفسه ونفر معه، واستجاش أحياء النزل ودهاقين ما وراء النهر، وعبر النهر في خمسين ألفاً، وانتهى إلى السلطان خبره وهو بطخارستان فقدم إلى بلخ، واستعد للحرب، واستنفر جموع الترك والجند والخلنجية والأفقانية والفربوية.

وعسكر على أربعة فراسخ من بلخ، وتزاحفوا على التعبئة، فجعل السلطان في القلب أخاه نصراً صاحب الجيش بخراسان، وأبا نصر بن أحمد الفريغوني صاحب الجوزجان، وأبا عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطائي في كماة الأكراد والعرب والهنود، وفي الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد التمرتاشي، وفي الميسرة أرسلان الحاجب، وحصن الصفوف بخمسمائة من الفيلة.

وجعل ايلك خان على ميمنته قدرخان ملك الختل وعلى ميسرته أخاه جعفرتكين، وهو في القلب.

وطالت الحرب، واستمات الفريقان ونزل السلطان وعفر خده بالأرض متضرعاً.

ثم ركب وحمل في فيلته على القلب فأزاله عن مكانه، وانهزم الترك، واتبعوهم يقتلون ويأسرون إلى أن عبروا بهم النهر.

وأكثر الشعراء تهنئة السلطان بهذا الفتح وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

ولما فرغ السلطان من هذه الحرب سار للهند للإيقاع بنواسه شاه أحد أولاد الملوك، كان أسلم على يده واستخلفه على بعض

المعاقل التي افتتحها، فارتد ونبذ الإسلام، فأغذ السير إليه ففر أمامه، واحتوى على المعاقل التي كانت في يده من أصحابه، وانقلب إلى غزنة ظافراً وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

فتح بهيم نقرا

ثم سار السلطان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة في ربيع منها غازياً إلى الهند فانتهى إلى سبط وبهند، فلقيه هنالك ابن هزبال ملك الهند في جيوش لا تحصى، فصدقهم السلطان القتال فهزمهم، واتبعهم إلى قلعة بهيم نقرا وهي حصن على حصن عالية اتخذها أهل الهند خزانة للصنم، ويودعون به أنواع الذخائر والجواهر التي يتقرب بها للصنم، فدافع عنه خزنته أياماً.

ثم استأمنوا وأمكنوا السلطان من القلعة، فبعث عليه أبا نصر الفريغوني وحاجبه الكبير ابن التمرتاش، وواسع تكين، وكلفهما بنقل ما في الخزائن، فكان مبلغ المنقول من الوزن سبعين ألف ألف شامية، ومن الذهبيات والفضيات موزونة، والديباج السوسي ما لا عهد بمثله، ووجد في جملتها بيت من الفضة الخالصة طوله ثلاثون ذراعاً في خمسة عشر، صفائح مضروبة ومعالق للطي والنشر، وشراع من ديباج طوله أربعون ذراعاً في عرض عشرين بقائمتين من ذهب، وقائمتين من فضة، فوكلهما بحفظ ذلك.

ومضوا إلى غزنة فأمر بساحة داره ففرشت بتلك الجواهر، واجتمعت وفود الأطراف لمشاهدتها، وفيهم رسول طغان أخي ايلك خان.

خبر الفريغون واستيلاء السلطان على الجوزجان

وكان بنو فريغون هؤلاء ولاة على الجوزجان أيام بني سامان يتوارثونها، وكان لهم شهرة مكارم.

وكان أبو الحارث أحمد بن محمد غرتهم.

وكان سبكتكين خطب كريمته لابنه محمود وأنكح كريمته أخت محمود لابنه أبي نصر فالتحم بينهما.

وهلك أبو الحارث فأقر السلطان محمود ابنه أبا نصر على ولايته إلى أن مات سنة إحدى وأربعمائة، وكان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بالبديع يؤلف له التآليف ويجعلها باسمه، ونال عنده بذلك فوق ما أمل.

غزوة بارين

ثم سار السلطان محمود على رأس المائة الرابعة لغزو بلاد الهند فدوخها واستباحها، وأوقع بملكها، ورجع إلى غزنة فبعث إليه ملك الهند في الصلح على جزية مفروضة، وعسكر مقرر عليه، وعلى تعجيل مال عظيم، وهدية فيها خمسون فيلاً، وتقرر الصلح بينهما على ذلك.

غزوة الغور وقصران

بلاد الغور هذه تجاور بلاد غزنة، وكانوا يفسدون السابلة ويمتنعون بجبالهم وهي وعرة وضيقة، وأقاموا على ذلك متمردين على كفرهم وفسادهم، فامتعض السلطان محمود، وسار لحسم عللهم سنة إحدى وأربعمائة وفي مقدمته التوتناش الحاجب والي هراة وأرسلان الحاجب والي طوس.

وانتهوا إلى مضيق الجبل وقد شحنوه بالمقاتلة فنازلتهم الحرب ودهمهم السلطان فارتدوا على أعقابهم، ودخل عليهم لبلادهم ولملكها.

ودخل حصناً في عشرة آلاف واستطرد لهم السلطان إلى فسيح من الأرض.

ثم كر عليهم فهزمهم وأثخن فيهم وأسر ابن سوري وقرابته وخواصه، وملك قلعتهم وغنم جميع أموالهم، وكانت لا يعبر عنها.

وأسف ابن سوري على نفسه فتناول سماً كان معه ومات.

ثم سار السلطان سنة اثنتين وأربعمائة لغزو قصران وكان صاحبها يحمل ضمانه كل سنة، فقطع الحمل وامتنع بموالاة ايلك خان، وسار إليه فبادر باللقاء وتنصل واعتذر، وأهدى عشرين فيلاً وألزمه السلطان خمسة عشر ألف درهم، ووكل بقبضها ورجع إلى غزنة.

خبر اليشار واستيلاء السلطان على غرشتان

كان اسم اليشار عند الأعاجم لقباً على ملك غرشتان، كما

أن كسرى على ملك الفرس وقيصر على ملك الروم ومعناه الملك الجليل.

وكان اليشار أبو نصر محمد بن إسماعيل بن أسد ملكها إلى أن بلغ ولده محمد سن النجابة فغلب على أبيه، وانقطع أبو نصر للنظر في العلوم لشغفه بها، وصاحب خراسان يومئذ أبوعلي بن سيجور.

ولما انتقض على الرضى نوح خطبهم لطاعته وولايته فأبوا من ذلك لانتقاضه على سلطانه، فبعث العساكر إليهم وحاصرهم زماناً.

ثم نهض سبكتكين إلى أبي علي بن سيجور، وانضاف إلى اليشار إلى سبكتكين في تلك الفتنة كلها، فلما ملك السلطان محمود خراسان وأذعن له ولاة الأطراف والأعمال بعث إليهم في الخطبة فأجابوه.

ثم استنفر محمد بن أبي نصر في بعض غزواته فقعد عن النفير، فلما رجع السلطان من غزوته بعث حاجبه الكبير أبا سعيد التوتناش في العساكر وأردفه بأرسلان الحاجب والي طوس لمناهضة اليشار ملك غرشتان.

واستصحبا معهما أبا الحسن المنيعي الزعيم بمرو والروذ لعلمه بمخادع تلك البلاد، فأما أبو نصر فاستأمن إلى الحاجب، وجاء به إلى هراة مرفهاً محتاطاً عليه.

وأما ابنه محمد فتحصن بالقلعة التي بناها أيام ابن سيجور فحاصروها طويلاً، واقتحموها عنوة وأخذ أسيراً، فبعث به إلى غزنة، واستصفيت أمواله وصودرت حاشيته.

واستخلف الحاجب على الحصن ورجع إلى غزنة فامتحن الولد بالسياط، واعتقله مرفهاً واستقدم أباه أبا نصر من هراة فأقام عنده في كرامة إلى أن هلك سنة ست وأربعمائة.

وفاة ايلك خان وصلح أخيه طغان خان مع السلطان

كان ايلك خان بعد هزيمته بخراسان يواصل الأسف، وكان أخوه طغان يكبر عليه على فعلته، ونقضه العهد مع السلطان.

وبعث إلى السلطان يتبرأ ويعتذر فنافره ايلك خان بسبب ذلك وزحف إليه ثم تصالحا.

ثم هلك ايلك خان سنة ثلاثة وأربعمائة وولى مكانه أخوه طغان خان فراسل السلطان محمود وصالحه.

وقال له: اشتغل أنت بغزو الهند، وأنا بغزو الترك فأجابه إلى ذلك.

وانقطعت الفتنة بينهما وصلحت الأحوال، ثم خرجت طوائف الترك فأجابه إلى ذلك، وانقطعت الفتنة بينهما وصلحت الأحوال.

ثم خرجت طوائف الترك من جانب الصين في مائة ألف خركاة وقصدوا بلاد طغان، فهال المسلمين أمرهم فاستنفر طغان من الترك أزيد من مائة ألف، واستقبل جموع الكفرة فهزمهم وقتل نحواً من مائة ألف وأسر مثلها، ورجع الباقون منهزمين.

وهلك طغان إثر ذلك، وملك بعده أخوه أرسلان خان سنة ثمان وأربعمائة، وخلص ما بينه وبين السلطان محمود، وخطب بعض كرائمه للسلطان مسعود ولده فأجابه.

وعقد السلطان لابنه على هراة فسار إليها سنة ثمان وأربعمائة.

فتح بارين

ثم سار السلطان سنة ثمان وأربعمائة عندما فصل الشتاء غازياً إلى الهند، وتوغل فيها مسيرة شهرين، وامتنع عظيم الهند في جبل صعب المرتقى ومنع القتال، واستدعى الهنود وملك عليهم الفيلة وفتح الله بارين وكثرت الأسرى والغنائم ووجد به في بيت البدجي حجر منقوش، قال التراجمة كتابته إنه مبني منذ أربعين ألف سنة.

ثم عاد إلى غزنة وبعث إلى القادر يطلب عهد خراسان وما بيده من الممالك.

غزوة تنيشرة

كان صاحب تنيشرة عالياً في الكفر والطغيان، وانتهى الخبر إلى السلطان في ناحيته من الفيلة فيلة من الفيتلمان الموصوفة في الحروب، فاعتزم السلطان على غزوه، وسار إليه في مسالك صعبة وعرة بين أودية وقفارات حتى انتهى إلى نهر طام قليل المخاضة وقد استندوا من ورائه إلى سفح جبل، فسرب إليهم جماعة من الكماة خاضوا النهر وشغلوهم بالقتال حتى تعدت بقية العسكر.

ثم قاتلوهم وانهزموا، واستباحهم المسلمون وعادوا إلى

غزنة ظافرين ظاهرين.

ثم غزا السلطان على عادته فضلَّ الأدلاء طريقهم فوقع السلطان في مخاضات من المياه غرق فيها كثير من العسكر، وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلص ورجع إلى خراسان.

استيلاء السلطان على خوارزم

كان مأمون بن محمد صاحب الجرجانية من خوارزم، وكان مخلصاً في طاعة الرضى نوح أيام مقامه في آمد كما مر، فأضاف نسا إلى عمله فلم يقبلها لمودّةٍ بينه وبين أبي علي ابن سيجور.

وكان من خبره مع ابن سيجور واستنقاذه إياه من أسر خوارزم شاه سنة ست وثمانين وثلاثمائة ما مر ذكره، وصارت خوارزم كلها له.

ثم هلك وملك مكانه أبو الحسن علي.

ثم هلك وملك مكانه ابنه مأمون، وخطب إلى السلطان محمود بعض كرائمه فزوجه أخته.

واتحد الحال بينهما إلى أن هلك، وولي مكانه أبو العباس مأمون، ونكح أخته كما نكحها أخوه من قبله.

ثم دعاه إلى الدخول في طاعته، والخطبة له، كما دعا الناس، فمنعه أصحابه وأتباعه، وتوجس الخيفة من السلطان في ذلك، فرجعوا إلى الفتك به، فقتلوه وبايعوا ابنه داود.

وازداد خوفهم من السلطان في ذلك، فتعاهدوا على الامتناع ومقدمهم التكين البخاري.

وسار إليهم السلطان في العساكر حتى أناخ عليهم وبيتوا محمد بن إبراهيم الطائي، وكان في مقدمة السلطان فقاتلهم إلى أن وصل السلطان فهزمهم، وأثخن فيهم بالقتل والأسر، وركب التكين السفن ناجياً فغدره الملاحون وجاؤوا به إلى السلطان فقتله في جماعة من القواد الذين قتلوا مأموناً على قبره.

وبعث بالباقين إلى غزنة، فاخرجوا في البعوث إلى الهند وأنزلوا هنالك في حامية الثغور وأجريت لهم الأرزاق، واستخلف على خوارزم الحاجب التونتاش ورجع إلى بلاده.

فتح كشمير وقنوج

ولما فرغ السلطان من أمر خوارزم، وانضافت إلى مملكته، عدل إلى بست، وأصلح أحوالها ورجع إلى غزنة.

ثم اعتزم على غزو الهند سنة تسع وأربعمائة، وكان قد دوخ بلادها كلها، ولم يبق عليه إلا كشمير ومن دونها الفيافي والمصاعب، فاستنفر الناس من جميع الجهات من المرتزقة والمتطوعة.

وسار تسعين مرحلة وعبر نهر جيحون وحيلم وخيالا، هو وامراؤه، وبث عساكره في أودية لا يعبر عن شدة جريها وبعد أعماقها، وانتهى إلى كشمير.

وكانت ملوك الهند في تلك الممالك تبعث إليه بالخدمة والطاعة، وجاءه صاحب درب كشمير وهو جنكي بن شاهي وشهي فأقر بالطاعة، وضمن دلالة الطريق، وسار أمام العسكر إلى حصن مأمون لعشرين من رجب، وهو خلال ذلك يفتتح القلاع إلى أن دخل في ولاية هردت، أحد ملوك الهند فجاء طائعاً مسلماً.

ثم سار السلطان إلى قلعة كلنجد من أعيان ملوكهم، فبرز للقائه، وانهزم، واعترضهم أنهار عميقة سقطوا فيها وهلكوا قتلاً وغرقاً، يقال: هلك منهم خمسون ألفاً.

وغنم السلطان منهم مائة فيل وخمسة إلى غير ذلك مما جل عن الوصف ثم عطف إلى سقطالتفيذ وهو بيت مبني بالصخور الصم يشرع منها بابان إلى الماء المحيط، موضوعة أبنيته فوق التلال، وعن جنبتيه ألف قصر مشتملة على بيوت الأصنام.

وفي صدر البلد بيت أصنام منها خمسة من الذهب الأحمر مضروبة على خمسة أذرع في الهواء قد جعلت عينا كل واحدة منهما ياقوتتين تساويان خمسين ألف دينار، وعين الآخر قطعة ياقوت أزرق تزن أربعمائة وخمسين مثقالاً، وفي وزن قدمي الصنم الواحد أربعة آلاف وأربعمائة مثقال، وجملة ما في الأشخاص من الذهب ثمانية وتسعون ألف مثقال.

وزادت شخوص الفضة على شخوص الذهب في الوزن، فهدمت تلك الأصنام كلها، وخربت.

وسار السلطان طالباً قنوج، وخرب سائر القلاع في طريقه، ووصل إليها في شعبان سنة تسع وأربعمائة وقد فارقها نزوجبال حين سمع بقدومه، وعبر نهر كنك الذي تغرق الهنود فيه أنفسهم ويذرون فيه رماد المحرقين منهم.

وكان أهل الهند واثقين بقنوج وهي سبع قلاع موضوعة على ذلك الماء، فيها عشرة آلاف بيت للأصنام، تزعم الهنود أن تاريخها منذ مائتي ألف سنة، أو ثلاثمائة ألف سنة، وأنها لم تزل متعبداً لهم.

فلما وصلها السلطان ألفاها خالية قد هرب أهلها، ففتحها

كلها في يوم واحد، واستباحها أهل عسكره.

ثم أخذ في السير منها إلى قلعة لنج، وتعرف بقلعة البراهمة، فقاتلوا ساعة، ثم تساقطوا من أعاليها على سنا الرماح وضياء الصفاح.

ثم سار إلى قلعة أسا وملكها جندبال فهرب وتركها، وأمر السلطان بتخريبها.

ثم عطف على جندراي من أكابر الهنود في قلعة منيعة.

وكان جيبال ملك الهند من قبل ذلك يطلبه للطاعة والألفة فيمتنع عليه.

ولحق جيبال بنهوجد أحد المغرورين بحصانة المعقل، فنجا بنفسه.

ورام جندراي المدافعة وثوقاً بامتناع قلعته، ثم تنصح له بجيبال ومنعه من ذلك، فهرب إليه أمواله وأنصاره إلى جبال وراء القلعة، وافتتحها السلطان وحصل منها على غنائم.

وسار في أتباع جندراي وأثخن فيهم قتلاً ونهباً، وغنم منهم أموالاً وفيولاً، وبلغت الغنائم ثلاثة آلاف ألف درهم ذهباً وفضة، وبواقيت والسبي كثير، وبيع بدرهمين إلى عشرة، وكانت الفيول تسمى عندهم جنداي داد.

ثم قضى السلطان جهاده ورجع إلى غزنة فابتنى مسجدها الجامع وجلب إليه جذوع الرخام من الهند، وفرشه بالمرمر، وأعالي جدرانه بالأصباغ وصباب الذهب المفرغة من تلك الأصنام، واحتضر بناء المسجد بنفسه، ونقل إليه الرخام من نيسابور، وجعل أمام البيت مقصورة تسع ثلاثة آلاف غلام، وبنى بأزاء المسجد مدرسة احتوت فيها الكتب من علوم الأولين والآخرين، وأجريت بها الأرزاق، واختصت لنفسه يفضي منه إليه في أمن من العيون، وأمر القواد والحجاب وسائر الخدام فبنوا بجانب المسجد من الدور ما لا يحصى.

وكانت غزنة تحتوي على مربط ألف فيل يحتاج كل واحد منها لسياسته ومائدته خطة واسعة.

غزوة الأفقانية

لما رجع السلطان إلى غزنة راسل بيدو والي قنوج واسمه راجبان بدلحه وطال بينهما العتاب وآل إلى القتال فقتل والي قنوج، واستلحمت جنوده.

وطغى بيدو، وغلب على الملوك الذين معه، وصاروا في جملته، ووعدهم برد ما غلبهم عليه السلطان محمود، ونمي الخبر بذلك إليه فامتعض، وسار إلى بيدو فغلبه على ملكه.

وكان ابتداؤه في طريقه بالأفقانية طوائف من كفار الهند معتصمون بقلل الجبال، ويفسدون السابلة، فسار في بلادهم ودوخها، وعبر نهر كنك، وهو واد عميق، وإذا جيبال من ورائه، فعبر إليه على عسر العبور فانهزم جيبال، وأسر كثير من أصحابه، وخلص جريحاً واستأمن إلى السلطان فلم يؤمنه إلا أن يسلم، فسار ليلحق ببيدو، فغدر به بعض الهنود وقتله.

فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم إلى السلطان في الطاعة على الأتاوة، وسار إلى مدينة باري من أحصن بلاد الهند فألفاها خالية، فأمر بتخريبها وعشر قلاع مجاورة لها، وقتل من أهلها خلقاً وسار في طلب بيدو، وقد تحصن بنهر أدار ماءه عليه من جميع جوانبه، ومعه ستة وخمسون ألف فارس وثمانون ألف راجل وسبعمائة وخمسون فيلاً، فقاتلهم هنالك يوماً، وحجز بينهم الليل فأجفل بيدو، وأصبحت، دياره بلاقع، وترك خزائن الأموال والسلاح فغنمها المسلمون وتتبعوا آثارهم فوجدوهم في الغياض والآكام، فأكثروا فيهم القتل والأسر، ونجا بيدو بدماء نفسه، ورجع السلطان إلى غزنة ظافراً.

فتح سومنات

كان للهند صنم يسمونه سومنات، وهو أعظم أصنامهم في حصن حصين على ساحل البحر بحيث تلتقفه أمواجه والصنم مبني في بيته على ستة وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وهو من حجر طوله خمسة أذرع، منها ذراعان غائصان في البناء وليس له صورة مشخصة.

والبيت مظلم يضيء بقناديل الجوهر الفائق، وعنده سلسلة ذهب بجرس وزنها مائة من تحرك بأدوار معلومة من الليل فيقوم عباد البرهميين لعبادتهم بصوت الجرس.

وعنده خزانة فيها عدد كثير من الأصنام ذهباً وفضة، عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب، تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار.

وكانوا يحجون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فتجتمع إليه عوالم لا تحصى.

وتزعم الهنود أن الأرواح بعد المفارقة تجتمع إليه فيبثها فيمن شاء بناء على التناسخ، والمد والجزر عندهم هو عبادة البحر.

وكانوا يقربون إليه كل نفيس، وذخائرهم كلها عنده ويعطون سدنته الأموال الجليلة.

وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة، وكان نهرهم المسمى كنك الذي يزعمون أن مصبه في الجنة، ويلقون فيه عظام الموتى من كبرائهم، وبينه وبين سومنات مائتا فرسخ، وكان يحمل من مائه كل يوم لغسل هذا الصنم، وكان يقوم عند الصنم من عباد البرهميين ألف رجل في كل يوم للعبادة، وثلاثمائة لحلق رؤوس الزوار ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون، ولهم على ذلك الجرايات الوافرة، وكان كلما فتح محمود بن سبكتكين من الهند فتحاً أو كسر صنماً، يقول أهل الهند: إن سومنات ساخط عليهم، ولو كان راضياً عنهم لأهلك محموداً دونه.

فاعتزم محمود بن سبكتكين إلى غزوه، وتكذيب دعاويهم في شأنه، فسار من غزنة في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة في ثلاثين ألف فارس سوى المتطوعة، وقطع القفر إلى الملتان وتزود له من القوت والماء قدر الكفاية، وزيادة عشرين ألف حمل.

وخرج من المفازة إلى حصون مشحونة بالرجال قد غوروا آبارهم مخافة الحصار، فقذف الله الرعب في قلوبهم، وفتحها وقتل سكانها وكسر أصنامها، واستقى منها الماء.

وسار إلى أنهلوارن وأجفل عنها صاحبها بهيم، وسار إلى بعض حصونه، وملك السلطان المدينة، ومر إلى سومنات ووجد في طريقه حصوناً كثيرة فيها أصنام وضعوها كالنقباء والخدمة لسومنات، ففتحها وخربها وكسر الأصنام.

ثم سار في قفر معطش، واجتمع من سكانه عشرون ألفاً لدفاعه، فقاتلهم سراياه، وغنموا أموالهم، وانتهوا إلى دبلواه على مرحلتين من سومنات، فاستولى عليها وقتل رجالها.

ووصل إلى سومنات منتصف ذي القعدة، فوجد أهلها مختفين في أسوارهم، وأعلنوا بكلمة الإسلام فوقها، فاشتد القتال حتى حجز بينهم الليل.

ثم أصبحوا إلى القتال وأثخنوا في الهنود، وكانوا يدخلون إلى الصنم فيعنفونه ويبكون ويتضرعون إليه، ويرجعون إلى القتال.

ثم انهزموا بعد أن أفناهم القتل، وركب فلهم السفن فأدركوا، وانقسموا بين النهب والقتل والغرق، وقتل منهم نحو من خمسين ألفاً، واستولى السلطان على جميع ما في البيت.

ثم بلغه أن بهيم صاحب أنهلوارن اعتصم بقلعة له تسمى كندهة في جزيرة على أربعين فرسخاً من البر، فرام خوض البحر إليها، ثم رجع عنها وقصد المنصورة، وكان صاحبها ارتد عن الإسلام، ففارقها وتسرب في غياض هناك، فأحاطت عساكر السلطان بها، وتتبعوهم بالقتل، فأفنوهم.

ثم سار إلى بهاطية فدان أهلها بالطاعة ورجع إلى غزنة في صفر سنة سبع عشرة وأربعمائة.

دخول قابوس صاحب جرجان وطبرستان في ولاية السلطان محمود

قد قدمنا وفادة قابوس على الأمير نوح بن منصور بن سامان، وعامله بخراسان أبي العباس تاش مستصرخاً على بني بويه عندما ملكوا طبرستان وجرجان من يده سنة إحدى وسبعين، وأقام بخراسان ثماني عشرة سنة وهم يعدونه بالنصرة والمدد حتى يئس منهم.

ولما جاء سبكتكين ووعده بمثل ذلك.

ثم شغله شغل بني سيجور، ثم وعده السلطان محمود وشغلته فتنة أخيه، واستولى أبو القاسم بن سيجور على جرجان بعد مهلك فخر الدولة بن بويه.

ثم أمر من بخارى بالمسير إلى خراسان، فسار إلى أسفرايين واستمد قابوس رجال الديلم والجبل، فأمدوه وظاهروه على أمره حتى غلب على طبرستان وجرجان، وملكها كما يذكر في أخبار الديلم والجبل.

وكان نصر بن الحسن بن الفيرزان وهو ابن عم ماكان بن كالي ينازعه فيهما، فآل الحال بنصر إلى أن اعتقله بنو بويه بالري، واستقل قابوس بولاية جرجان وطبرستان وديار الديلم كلها من ممالك محمود.

استيلاء السلطان محمود على الري والجبل

كان مجد الدولة بن فخر الدولة صاحب الري، وكان قد ضعف أمره وأدبرت دولته، وكان يتشاغل بالنساء والكتاب نسخاً ومطالعة.

وكانت أمه تدبر ملكه، فلما توفيت انتقضت أحواله وطمع فيه جنده، وكتب إلى محمود يشكو ذلك ويستدعي نصرته، فبعث إليه جيشاً عليهم حاجبه، وأمره أن يقبض على مجد الدولة فقبض عليه وعلى ابنه أبي دلف عند وصوله.

وطير بالخبر إلى السلطان، فسار في ربيع من سنة عشرين وأربعمائة ودخل الري وأخذ أموال مجد الدولة، وكانت ألف ألف دينار، ومن الجواري قيمة خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات ما لا يحصى.

ووجد له خمسين زوجة ولدن نيفاً وثلاثين ولداً، فسئل عن ذلك فقال: هذه عادة.

وأحضر مجد الدولة وعنفه، وعرض له بتسفيه رأيه في الانتصار عن جندراي منه، وبعثه إلى خراسان فحبس بها.

ثم ملك السلطان قزوين وقلاعها، ومدينة ساوه وآوه، وصلب أصحاب مجد الدولة من الباطنية ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجوم، وأخذ مما سوى ذلك من الكتب مائة حمل.

وتحصن منه منوجهر بن قابوس ملك الجبل بالجبال الوعرة فقصده فيها، ولم تصعب عليه فهرب منوجهر وتحصن بالغياض، وبعث له بخمسمائة ألف ديناراً استصلاحاً فقبله ورجع عنه إلى نيسابور.

وتوفي منوجهر عقب ذلك، وولي بعده ابنه أنوشروان فأقره السلطان على ولايته، وقرر عليه مائة ألف دينار ضريبة.

وخطب للسلطان محمود في بلاد الجبل إلى أرمينية.

وافتتح ابنه مسعود زنجان وأبهر من يد إبراهيم السيلار بن المرزبان من عقب شوذان بن محمد بن مسافر الديلمي، وجميع قلاعه، ولم يبق بيده إلا شهرزان، قرر عليه فيها ضريبة، كما يأتي في أخبار الديلم.

ثم أطاعه علاء الدولة بن كاكويه بأصفهان، وخطب له، وعاد السلطان إلى خراسان، واستخلف بالري ابنه مسعوداً فقصد أصفهان وملكها من علاء الدولة، واستخلف مسعود عليها بعض أصحابه وعاد عنها فثار أهلها بعامله وقتلوه، فرجع إليهم واستباحهم، ثم عاد إلى الري فأقام بها.

استيلاء السلطان محمود على بخارى ثم عوده عنها

كان ايلك خان ملك الترك وصاحب تركستان لما ملك بخارى من يد بني سامان سنة تسعين وثلاثمائة، ولى عليها ورجع إلى بلاده كما مر، وكان الغز أحياء بادية بضواحي بخارى وزعيمهم أرسلان بن سلجوق عم السلطان طغرلبك.

وكان بينه وبين ايلك خان وأخيه بقراخان حروب وفتن بسبب استظهار بني سامان بهم.

فلما ملك ايلك خان بخارى عرف لأرسلان بن سيجور حقه ورفع محله، وهو مع ذلك مستوحش.

وكان على تكين أخو ايلك خان، وحبس أرسلان ولحق ببخارى فاستولى عليها، وطلب موالاة أرسلان بن سيجور فوالاه، واستفحل أمرهما، ونهض إليهما ايلك خان وقاتلهما فهزماه.

واستوثق أمر تكين في بخارى وكان يسيء جوار السلطان محمود بن سبكتكين في أعماله، ويعترض رسله المترددين إلى ملوك الترك فأحفظ ذلك السلطان، وأجمع المسير إليه، فنهض من بلخ سنة عشرين وأربعمائة، وعبر النهر وقصد بخارى، فهرب منها إلى تكين ولحق بايلك خان، ودخل السلطان بخارى وملك سائر أعمالها، وأخذ الجزية من سمرقند، وأجفلت أحياء الغز وأرسلان بن سلجوق، وتلطف في استدعائه.

فلما حضر عنده تقبض عليه، وبعثه إلى بعض قلاع الهند وحبسه بها، وسار إلى أحياء الغز فنهبهم، وأثخن فيهم قتلاً وأسراً، ورجع إلى خراسان.

خبر السلطان محمود مع الغز بخراسان

لما حبس السلطان أرسلان بن سلجوق، ونهب أحياءهم، أجلاهم عن ضواحي بخارى، فعبروا نهر جيحون إلى خراسان، وامتدت فيهم أيدي العمال بالظلم والتعدي في أموالهم وأولادهم فتفرقوا، وجاءت منهم طائفة في أكثرمن ألفي خركاة إلى كرمان، ثم إلى أصفهان، وكان يسمون العراقية، وطائفة إلى جبل بكجان عند خوارزم القديمة، وعاث كل منهم فيما سار فيه من البلاد.

وبعث السلطان إلى علاء الدولة بأصفهان لرد الذين ساروا إليه إلى الري وقبلهم، وحاول ذلك بالغدر فلم يستطع، وحاربهم فهزموه وساروا عنه إلى أذربيجان، وأفسدوا ما ساروا عليه وصانعهم وهشوذان صاحب أذربيجان وآنسهم، وكان مقدموهم: بوقا وكوكاش ومنصور ودانا، وأما الذين ساروا إلى خوارزم القديمة فكثر عيثهم في تلك النواحي.

وأمر السلطان محمود صاحب طوس أرسلان الحاجب أن يسير في طلبهم فاتبعهم ستين.

ثم جاء السلطان على أثره فشردهم على نواحي خراسان، واستخدم بعضهم، وكان أمراؤهم: كوكاش وبوقا وقزل ويغمر

وتاصفلي.

ولما مات السلطان محمود استخدمهم ابنه مسعود أيضاً، وساروا معه من غزنة إلى خراسان فسألوه فيمن بقي منهم بجبل بكجان عند خوارزم فأذن لهم أن يسهلوا إلى البسائط على شرط الطاعة.

ثم انتقض أحمد نيال عامل الهند فسار مسعود إليه، وولى على خراسان تاش، وكثر عيث هؤلاء الغز في البلاد فأوقع بهم تاش، وقتل أميرهم يغمر.

وبعث السلطان مسعود من إجلائهم عن البلاد، ومثل بهم بالقتل والقطع والصلب.

فساروا إلى الري طالبين أذربيجان للحاق بالعراقية منهم كما مر ذكرهم فملكوا الدامغان ونهبوها، ثم سمنان.

ونهبوا جوار الري وإيجاباذ ومشكوبة من أعمال الري، وخربوا كل ما مروا عليه من القرى والضياع فاجتمع لحربهم تاش وأبو سهل الحمدوني صاحب الري.

وسار إليهم تاش في العساكر والفيلة على التعبئة، ولقوه مستميتين، وسبق إليه أحياؤهم فهزموه وقتلوه.

ثم ساروا الى الري فهزموا أبا سهل الحمدوني وعسكره، ولحق بقلعة طبول، ونهبوا الري واستباحوا أموالها، وجاء عسكر من جرجان فاعترضوه وكبسوه، وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً، ومضوا إلى أذربيجان ليجتمعوا بالعراقية.

ثم رجع علاء الدولة بن كاكويه إلى أصفهان بعد مسيرهم من الري، وطلبوا مولاه أبا سهل على طاعة مسعود فلم يتم وعاث الغز في أذربيجان وأوقع بهم وهشوذان وقتل منهم وجمع عليهم أهل أذربيجان وأوقع بهم ففارقوها إشفاقاً من نيال وأخيه طغرلبك، وافترقوا بين الموصل وديار بكر فملكوها ونهبوها وعاثوا في نواحيها كما مر ذكره في أخبار قرواش صاحب الموصل وابن مروان صاحب ديار بكر.

هذه أخبار أرسلان بن سلجوق مفصلة إلا ما اختصر منها بالري وأذربيجان فإنه يأتي في مواضعه من دولة الديلم.

وأما طغرلبك وإخوته داود، وبيقو وأخوه لأمه نيال المسمى بعد الإسلام إبراهيم فانهزموا وأقاموا بعد سلجوق ببلاد ما وراء النهر.

وكان بينهم وبين علي تكين صاحب بخارى حروب ظهر عليهم فيها فعبروا جيحون إلى خوارزم وخراسان، وكان من أخبارهم فيها ومآل أمرهم إلى الملك والدولة ما يأتي ذكره.

افتتاح نرسي من الهند

كان السلطان محمود قد استخلف على الهند من مواليه أحمد نيال تكين، فغزا سنة إحدى وعشرين مدينة نرسي من أعظم مدن الهند في مائة ألف مقاتل، فنهب وخرب الأعمال واستباحها.

وجاء إلى المدينة فدخلها من أحد جوانبها، واستباحها يوماً ولم يستوعبها حتى خرجوا فباتوا بظاهرها خوفاً على أنفسهم من أهل البلد، وقسموا الأموال كيلاً، وأرادوا العود من الغد فدافعهم أهلها، ورجع أحمد نيال بعساكره إلى بلده.

وفاة السلطان محمود وولاية ابنه محمد

ثم توفي السلطان محمود في ربيع سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وكان ملكاً عظيماً استولى على كثير من الممالك الإسلامية، وكان يعظم العلماء ويكرمهم، وقصدوه من أقطارالبلاد، وكان عادلاً في رعيته رفيقاً بهم محسناً إليهم، وكان كثير الغزو والجهاد، وفتوحاته مشهورة.

ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ، وكان أصغر من مسعود إلا أنه كان مقبلاً عليه ومعرضاً عن مسعود.

فلما توفي بعث أعيان الدولة إلى محمد بخبر الوصية واستحثوه، وخطب له في أقاصي الهند إلى نيسابور، وسار إلى غزنة فوصلها لأربعين يوماً، واجتمعت العساكر على طاعته وقسم فيها الأعطيات.

خلع السطان محمد ابن السلطان محمود وولاية ابنه الآخر مسعود الأكبر

لما توفي السلطان محمود كان ابنه مسعود بأصفهان، فسار إلى خراسان، واستخلف على أصفهان، فثار أهلها بخليفته وعسكره فقتلوهم، فعاد إليهم مسعود وحصرها وافتتحها عنوة واستباحها.

ثم استخلف عليها وسار إلى الري ومنها إلى نيسابور، وكتب إلى أخيه محمد بالخبر وأنه لا ينازعه، ويقتصر على فتحه من طبرستان وبلد الجبل وأصفهان، ويطلب تقديمه على محمد في الخطبة فأحفظه ذلك، واستحلف العساكر.

وسار إلى مسعود، وكان أكثر العساكر يميلون إلى مسعود لقوته وشجاعته وعلو سنه.

وأرسل التونتاش صاحب خوارزم، وكان من أصحاب السلطان محمود يشير على محمد بترك الخلاف فلم يسمع، وسار فانتهى إلى بكياباد أول رمضان من سنته، وأقام، وكان مشتغلاً باللعب عن تدبير الملك، فتفاوض جنده في خلعه والإدالة منه بأخيه مسعود.

وتولى كبر ذلك عمه يوسف بن سبكتكين، وعلي خشاوند صاحب أبيه.

وحبسوا محمداً بقلعة بكياباد وكتبوا بالخبر إلى مسعود، وارتحلوا إليه بالعساكر فلقوه بهراة فقبض على عمه وعلى صاحب أبيه، وعلى جماعة من القواد.

واستقر في ملك أبيه شهر ذي القعدة من سنته، وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن السيمندي من محبسه وفوض إليه الوزارة وأمور المملكة.

وكان أبوه قبض عليه سنة ست عشرة وأربعمائة وصادره على خمسة آلاف دينار، ثم سار إلى غزنة فوصلها منتصف اثنتين وعشرين وأربعمائة ووفدت عليه رسل جميع الملوك من جميع الآفاق، واجتمع له ملك خراسان وغزنة والهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والري وأصفهان والجبل، وعظم سلطانه.

عود أصفهان إلى علاء الدولة بن كاكويه ثم رجوعها للسلطان مسعود

كان قناخر مجد الدولة بن بويه صاحب أصفهان، وملكها السلطان محمود من يده فهرب عنها، وامتنع بحصن قصران.

وأنزل السلطان محمود ابنه مسعود بأصفهان، وأنزل معه علاء الدولة بن كاكويه فاستقل بها، وسار عنه مسعود، ثم زحف إليه وملكها من يده.

ولحق علاء الدولة بخوزستان يستنجد أبا كاليجار بن سلطان الدولة.

وسار عنه إلى تستر ليستمد له من أخيه جلال الدولة العساكر لمعاودة أصفهان.

وكان ذلك عقب فتنة وحرب بين أبي كاليجار وأخيه جلال الدولة فوعده أبوه بذلك إذا اصطلحا، وأقام عنده إلى أن توفي السلطان محمود.

ولما توفي السلطان محمود جمع قناخر جمعاً من الديلم والأكراد، وقصد الري وقاتله نائبه مسعود فهزمه، ودفعه عن الري وفتك في عسكره قتلاً وأسراً.

وعاد قناخر إلى بلده، وبلغ الخبر إلى علاء الدولة بموت السلطان محمود وهو عند أبي كاليجار بخوزستان، وقد أيس من النصر، فبادر إلى أصفهان فملكها، ثم همذان.

وقصد الري فقاتله نائب مسعود، ورجع إلى أصفهان.

ثم اقتحموا عليه البلد عنوة ونجا علاء الدولة إلى قلعة قردخان على خمسة عشر فرسخاً من همذان، وخطب لمسعود بالري وجرجان وطبرستان.

فتح التيز ومكران وكرمان ثم عود كرمان لأبي كاليجار

كان صاحب التيز ومكران لما توفي خلّف ولدين أبا العساكر وعيسى، واستبد عيسى منهما بالملك فسار أبو العساكر إلى خراسان مستنجداً بمسعود فبعث معه عسكراً ودعوا عيسى إلى الطاعة فامتنع، وقاتلوه فاستأمن كثير من أصحابه إلى أبي العساكر فانهزم عيسى وقتل في المعركة.

واستولى أبو العساكر على البلاد وملكها، وخطب فيها للسلطان مسعود، وذلك سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وفي هذه السنة ملك السلطان مسعود كرمان وكانت للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة فبعث إليها السلطان مسعود عساكر خراسان فحاصروا مدينة بردسير، وشدوا في حصارها، واستبد إلى أطراف إلى البلاد، ثم وصل عسكر أبي كاليجار إلى جيرفت واتبعوا الخراسانية بأطراف البلاد فعاود هزيمتهم، ودخلوا المفازة إلى خراسان وعادت العساكر الى فارس.

فتنة عساكر السلطان مسعود مع علاء الدولة بن كاكويه وهزيمته

قد تقدم لنا هزيمة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه من الري ونجاته إلى قلعة قردخان.

ثم سار منها إلى يزدجرد ومعه فرهاد بن مرداويج مدداً له.

وبعث صاحب الجيوش بخراسان عسكراً مع ابن عمران

الديلمي لاعتراضهما، فلما قاربهما العسكر فر فرهاد إلى قلعة شكمين، ومضى علاء الدولة إلى سابور خرات، وملك علي بن عمران يزدجرد.

ثم أرسل فرهاد إلى الأكراد الذين مع علي بن عمران وداخلهم في الفتك به، وشعر بذلك فسار إلى همذان، ولحقه فرهاد فاعتصم بقلعة في طريقه منيعة، وكادوا يأخذونه لولا عوائق الثلج والمطر في ذلك اليوم، وكانوا ضاحين من الخيام فتركوه ورجعوا عنه.

وبعث ابن عمران إلى تاش قرواش صاحب جيوش خراسان يستمده في العسكر إلى همذان، وبعث علاء الدولة يستدعي أبا منصور ابن أخيه من أصفهان بالسلاح والأموال ففعل.

وسار علي بن عمران من همذان لاعتراضه، فكبسه بجر باذقان وغنم ما معه وقتل كثيراً من عسكره وأسره، وبعث به إلى تاش قرواش صاحب جيوش خراسان.

وسار إلى همذان وزحف إليه علاء الدولة وفرهاد، فانقسموا عليه وجاؤوه من ناحيتين، فانهزم علاء الدولة ونجا إلى أصفهان وفر هارباً إلى لقلعة شكين فتحصن بها.

مسير السلطان مسعود إلى غزنة والفتن بالري والجبل

لما استولى السلطان على أمره سار من غزنة إلى خراسان لتمهيد أمورها، وكان عامله وعامل أبيه على الهند أحمد نيال تكين قد استفحل فيها أمره وحدثته نفسه بالاستبداد فمنع الحمل وأظهر الانتقاض.

فسار السلطان إلى الهند ورجع أحمد نيال إلى الطاعة، وقام علاء الدولة بأصفهان وأظهر الانتقاض، ومعه فرهاد بن مرادويج، فزحف إليهم أبو سهل وهزمهم، وقتل فرهاد ونجا علاء الدولة إلى جبال أصفهان وجرباذقان فامتنع بها، وسار أبو سهل إلى أصفهان فملكها سنة خمس وعشرين وأربعمائة ونهب خزائن علاء الدولة وحمل كتبه إلى غزنة وأحرقها الحسين الغوري بعد ذلك

عود أحمد نيال تكين إلى العصيان

ولما عاد السلطان إلى خراسان لقتال الغز، عاد أحمد نيال تكين إلى العصيان بالهند، وجمع الجموع فبعث السلطان سنة ست وعشرين وأربعمائة إليه جيشاً كثيفاً، وكتب إلى ملوك الهند بأخذ المذاهب عليه.

فلما قاتله الجيوش انهزم ومضى هارباً إلى ملتان، وقصد منها بهاطية وهو في جمع فلم يقدر ملك بهاطية على منعه.

وأراد عبور نهرالسند في السفن، فهيأ له الملك ليعبر إلى جزيرة وسط النهر ظنها متصلة بالبر، وأوصى الملك الملاحين أن ينزلوه بها ويرجعوا عنه.

وعلموا أنها منقطعة، فضعفت نفوسهم وأقاموا بها سبعة أيام، ففنيت أزوادهم وأكلوا دوابهم، وأوهنهم الجوع.

وأجاز إليهم ملك بهاطية فاستوعبهم بالقتل والغرق والأسر وقتل أحمد نفسه.

فتح جرجان وطبرستان

كانت جرجان وطبرستان وأعمالهما لدارا بن منوجهر بن قابوس، وكان السلطان مسعود قد أقره عليها، فلما سار السلطان إلى الهند وانتشر الغز في خراسان منع الحمل، ودخل علاء الدولة بن كاكويه وفرهاد بن ماكان في العصيان.

فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز عن خراسان سار إلى جرجان سنة ست وعشرين وأربعمائة فملكها ثم سار إلى آمد فملكها وفارقها أصحابها، وافترقوا في الغياض فتبعهم، وقتل منهم وأسر.

ثم راسله دارا في الصلح وتقرير البلاد عليه، وحمل ما بقي عليه، فأجابه السلطان إلى ذلك ورجع إلى خراسان.

مسيرعلاء الدولة إلى أصفهان وهزيمته

كان أبو سهل الحمدوني قد أنزله السلطان بأصفهان ودلهم على النواحي القريبة من علاء الدولة فأوقع بهم وغنم ما معهم، وقوي طمعه بذلك في أصفهان، فجمع الجموع، وسار إليها، فخرج إليهم أبو سهل وقاتلهم.

وتحيز من كان مع علاء الدولة من الأتراك إلى أبي سهل، فانهزم علاء الدولة، ونهب سواده، وسار إلى بروجرد، ثم إلى الطرم فلم يقبله ابن السلار صاحبها.

استيلاء طغرلبك على خراسان

كان طغرلبك وأخواه بيغو وحقربيك، واسم طغرلبك محمد، ولما أسر السلطان محمود أرسلان بن سلجوق وحبسه كما مر وأجاز أحياء من الغز إلى خراسان فكان من أخبارهم ما قدمناه، وأقام طغرلبك وإخوته في أحيائهم بنواحي بخارى.

ثم حدثت الفتنة بينهم وبين علي تكين صاحب بخارى، وكانت بينهم حروب ووقائع، وأوقعوا بعساكره مراراً فجمع أهل البلاد عليهم، وأوقع بهم واستلحمهم واستباحهم، فانحازوا إلى خراسان سنة ست وعشرين وأربعمائة، واستخدموا لصاحب خوارزم وهو هارون بن التونتاش.

وغدر بهم، فساروا عنه إلى مفازة نسا، ثم قصدوا مرو وطلبوا الأمان من السلطان مسعود على أن يضمنهم أمان السابلة، فقبض على الرسل ولم يجبهم على ما سألوا.

وبعث العساكر فأوقعوا بهم على نسا، ثم طار شررهم في البلاد وعم ضررهم.

وسار السلطان ألب أرسلان إلى نيسابور ففارقها أبو سهل الحمدوني فيمن معه، واستولى عليها داود.

وجاء أخوه طغرلبك على أثره ولقيهم رسل الخليفة إليهم وإلى العراقية الذين قتلهم بالري وهمذان، يعنفهم وينهاهم عن الفساد ويطمعهم، فتلقوا الرسل بالإعظام والتكرمة.

ثم امتدت عين داود إلى نهب نيسابور فمنعه طغرلبك، وعرض له بشهر رمضان، ووصية الخليفة، فلج فقوي طغرلبك في المنع وقال: والله لئن نهبت لأقتلن نفسي، فكف داود عن ذلك.

وقسطوا على أهل نيسابور ثلاثين ألف دينار، فرقوها في أصحابهم.

وجلس طغرلبك على سرير ملك مسعود بدار الملك، وصار يقعد للمظالم يومين في الأسبوع على عادة ولاة خراسان، وكانوا يخطبون للملك مسعود مغالطة وإيهاماً.

مسير السلطان مسعود من غزنة إلى خراسان واجلاء السلجوقية عنها

ولما بلغ الخبر إلى السلطان مسعود باستيلاء طغرلبك والسلجوقية على نيسابور، جمع عساكره من غزنة وسار إلى خراسان فنزل بلخ في صفر سنة ثلاثين وأربعمائة وأصهر إلى بعض ملوك الخانية دفعاً لشره، وأقطع خوارزم ولحق إسماعيل بطغرلبك.

ثم أراح السلطان مسعود وفرغ من خوارزم والخانية، فبعث السلطان مباسي، فسار إليهم في العساكر فلم يشف نفسه، ونزل سرخس، وعدلوا عن لقائه، ودخلوا المفازة التي بين مرو وخوارزم، واتبعهم السلطان مسعود وواقعهم في شعبان من هذه السنة، فهزمهم فمسا بعدوا حتى عادوا في نواحيه، فأوقع بهم أخرى، وكان القتلى فيها منهم ألفاً وخمسمائة، وهربوا إلى المفازة، وثار أهل نيسابور بمن عندهم وقتلوهم، ولحق فلهم بأصحابهم في المفازة.

وعدل السلطان إلى هراة ليجهز العساكر ليطلبهم، فبلغه الخبر بأن طغرلبك سار إلى أستراباذ، وأقام بها في فصل الشتاء يظن أن الثلج يمنعهم عنه، فسار السلطان إليه هنالك، ففارقها طغرلبك وعدل عن طوس إلى جبال الري التي كان فيها طغرلبك وأصحابه، وقد امتنعوا بجبالهم خوفاً من السلطان لما كان منهم من موالاة السلجوقية، فأخذ إليهم السير، وصبحهم فتركوا أهلهم وأموالهم واعتصموا بوعر الجبل، وغنمت عساكره جميع ما استولوا عليه.

ثم صعد إليهم بنفسه وعساكره وهلك كثير من العسكر بالثلج في شعاب الجبل ثم ظفروا بهم في قنة الجبل واستلحموهم، وسار مسعود إلى نيسابور في جمادى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ليريح ويخرج في فصل الربيع لطلبهم في المفاوز.

ثم عاد طغرلبك وأصحابه من المفازة وبعث إليهم السلطان بالوعيد، فيقال: إن طغرلبك قال لكاتبه أكتب إليه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ الآية، ولا تزده عليها.

ولما ورد الكتاب على السلطان مسعود، كتب إليه وآنسه بالمواعيد وبعث إليه بالخلع، وأمره بالرحيل إلى آمل الشط على جيحون، وأقطع نسا لطغرلبك ودهستان لداود وبدارة لبيغو، وسمى كل واحد منهما بالدهقان، فلم يقبلوا شيئاً من ذلك ولا وثقوا به.

وأكثروا من العيث والفساد.

ثم كفوا عن ذلك، وبعثوا إلى السلطان مسعود يخادعونه بالطاعة ببلخ، ورغبوه في أن يسرح إليهم أخاهم أرسلان المحبوس بالهند، فبعث إليه السلطان مسعود وجاؤوا بأرسلان من الهند، ولما لم يتم بينهم أمر بإعادته إلى محبسه.

هزيمة السلطان مسعود واستيلاء طغرلبك على مدائن خراسان وأعمالها

ولما تغلبت السلجوقية على نواحي خراسان، وفضوا عساكر السلطان وهزموا الحاجب سباسي، اهتز السلطان لذلك، وأجمع لخراسان الحشد وبث العطاء، وأزاح العلل، وسار من غزنة في الجيوش الكثيفة والفيلة العديدة على التعبية المألوفة، ووصل إلى بلخ، ونزل بظاهرها، وجاء داود بأحيائه فنزل قريباً منه، وأغار يوماً على معسكره فساق من باب الملك مسعود عدة من الجنائب المقربات، معها الفيل الأعظم، وارتاع الملك لذلك، وارتحل مسعود من بلخ في رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف مقاتل.

ومر بالجوزجان فصلب الوالي الذي كان بها للسلجوقية، وانتهى إلى مرو الشاهجان.

ومضى داود إلى سرخس واجتمع معه أخوه طغرلبك وبيقو، وبعث إليهم السلطان في الصلح، فوفد عليه بيقو فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأجابه هو عن أصحابه بالامتناع من الصلح للخوف من السلطان.

وسار من عند السلطان فسقط في يده وسار في اتباعهم من هراة إلى نيسابور، ثم سرخس، كلما تبعهم إلى مكان هربوا منه إلى آخر، حتى أظلهم فصل الشتاء فأقاموا بنيسابور ينتظرون انسلاخه فانسلخ، والسلطان عاكف على لهوه غافل عن شأنه حتى انقضى زمن الربيع.

واجتمع وزراؤه وأهل دولته وعذلوه في إهمال أمر عدوه، فسار من نيسابور إلى مرو في طلبهم فدخلوا المفازة، فدخل وراءهم مرحلتين وقد ضجر العسكر من طول السفر وعنائه.

وكانوا منذ ثلاث سنين منقلبين فيه منذ سفرهم مع سباسي فنزل بعض الأيام في منزلة على قليل من الماء، وازدحم الناس على الورود واستأثر به أهل الدولة والحاشية، فقاتلهم عليه الجمهور، ووقعت في العساكر لذلك هيعة، وخالفهم الدعرة إلى الخيام ينهبون ويتخطفون.

وكان داود وأحياؤه متابعاً للعسكر على قرب يتخطف الناس من حولهم، فشعر بتلك الهيعة فركب في قومه وصدم العساكر وهم في تلك الحال فولوا منهزمين، والسلطان والوزير ثابتان في موقفهما يحرضان الناس على الثبات، فلم يثبت أحد، فانصرفا مع المنهزمين في فل واتبعهم داود وأثخن فيهم بالقتل.

ثم رجع إلى العسكر وقد غنمه أصحابه فآثرهم بالغنائم، وقسم فيهم ما حصل له وقعد على كرسي السلطان، وأقام عسكره ثلاثة أيام ولياليها خشية من كر العساكر السلطانية عليهم.

ونجا السلطان إلى غزنة فدخلها في شوال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبض على سباسي وغيره من الأمراء، وسار طغرلبك إلى نيسابور فملكها آخر إحدى وثلاثين وأربعمائة، ونهب عسكره أهلها، وكان بها هرج عظيم من الدعرة، وكانوا ينالون من الناس بالنهب والزنا والقتل فارتدعوا لذلك لهيبة طغرلبك، وسكن الناس.

وملك السلجوقية البلاد فسار بيقو إلى هراة فملكها وسار داود إلى بلخ وبها الحاجب التونتاش فاستخلفه السلطان عليها، فأرسل إليه داود في الطاعة فسجن الرسل، وحاصره داود.

وبعث السلطان مسعود جيشاً كثيفاً لإمداده، ودفع السلجوقية عن البلاد، فسار فريق منهم إلى الرخج، فدفعوا من كان بها من السلجوقية وهزموهم، وأفحشوا في قتلهم وأسرهم.

وسار فريق منهم إلى بيقو في هراة فقاتلوه ودفعوه عنها ثم بعث السلطان ابنه مودود بعساكر أخرى، وجعل معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبره، فسار عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلما قارب بلخ وداود يحاصرها، بعث داود جماعة من عسكره فلقوا طلائع مودود فهزمهم، فلما وصلت منهزمة تأخر مودود عن نهايته، وأقام وسمع التونتاش بإحجام مودود عنه فأطاع داود وخرج إليه.

خلع السلطان مسعود ومقتله وولاية أخيه محمد مكانه

ولما بعث السلطان ولده مودود إلى خراسان لمدافعة السلجوقية عنها، وأقام بعده سبعة أيام، وخرج من غزنة في ربيع سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة يريد الهند للمشتى به على عادة أبيه، ويستنفر الهنود لقتال السلجوقية، واستصحب أخاه محمداً المسمول معه.

وكان أهل الدولة قد ضجروا منه فتفاوضوا في خلعه وولاية أخيه محمد، وأجمعوا ذلك.

فلما عبروا نهر سيحون وتقدم بعض الخزائن فتخلف أنوش تكين البلخي في جماعة من الغلمان الفداوية، ونهبوا بقية الخزائن، وبايعوا لمحمد المسمول وذلك في منتصف ربيع الآخر من

السنة.

وافترق العسكر واقتتلوا وعظم الخطب وانهزم السلطان مسعود، وحاصروه في رباط هناك.

ثم استنزلوه على الأمان وخيره أخوه محمد في السكنى فاختار مسعود قلعة كيدي فبعث إليها، وأمر بإكرامه، ورجع محمد بالعساكر إلى غزنة.

وفوض إلى ابنه أحمد أمر دولته وكان أهوج فاعتزم على قتل عمه مسعود، وداخل في ذلك عمه يوسف، وعلي خشاوند فوافقوه عليه، وحرضوه فطلب من أبيه خاتمه ليختم به بعض خزائنهم، وبعث بهم إلى القلعة مع بعض خدمه ليؤدي رسالة مسعود، وهو بخراسان يعتذر بأن أولاد أحمد نيال تكين قتلوا السلطان مسعود قصاصاً بأبيهم، فكتب إليه يتوعده.

ثم طمع الجند في السلطان محمد ومدوا أيديهم إلى الرعايا ونهبوها، وخربت البلاد وارتحل عنها محمد.

وكان السلطان مسعود شجاعاً كريماً غزير الفضل حسن الخط، سخياً محباً للعلماء مقرباً لهم محسناً إليهم وإلى غيرهم من ذوي الحاجات، كثير الصلات والعطاء والجوائز للشعراء، حليت تصانيف العلوم باسمه، وكثرت المساجد في البلاد بعمارته.

وكان ملكه فسيحاً، ملك أصفهان وهمذان والري وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الدارون وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور، وأطاعه أهل البر والبحر وقد صنف في أخباره ومناقبه.

مقتل السلطان محمد وولاية مودود ابن أخيه مسعود

لما بلغ الخبر بمقتل السلطان مسعود إلى ابنه مودود بخراسان سار مجداً في عساكره إلى غزنة فلقيه عمه محمد في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وانهزم محمد وقبض عليه وعلى ابنيه أحمد وعبد الرحمن، وعلى أنوش تكين البلخي الخصي، وعلى علي خشاوند وقتلهم أجمعين، إلا عبد الرحمن لرفقه بأبيه مسعود عند القبض عليه.

وقتل كل من داخل في قبض أبيه وخلعه، وسار سيرة جده محمود، وبلغ الخبر إلى أهل خراسان فثار أهل هراة بمن عندهم من السلجوقية فأخرجوهم، وتشوف أهل خراسان للنصر على الغز من قبل مودود، وكان أبوه السلطان مسعود قد بعث ابنه الآخر إلى الهند أميراً عليها سنة ست وعشرين وأربعمائة فلما بلغه موت أبيه بايع لنفسه وقفل إلى لهاور والملتان فملكهما، وأخذ الأموال وجمع العساكر وأظهر الخلاف على أخيه مودود.

وحضر عيد الأضحى فأصبح ثالثه ميتاً بلهاور، بعد أن كان مودود يجهز العساكر من غزنة لقتاله، وهو في شغل شاغل من أمره، ففرغ عن الشواغل ورسخت قدمه في ملكه، وخالفه السلجوقية بخراسان وخاطبه خان الترك من وراء النهر بالانقياد والمتابعة.

استيلاء طغرلبك على خوارزم

كانت خوارزم من ممالك محمود بن سبكتكين وابنه مسعود من بعده، وكان عليها التونتاش حاجب محمود من أكابر أمرائه، ووليها لهما معاً، ولما شغل مسعود بفتنة أخيه محمد عند مهلك أبيهما أغار على تكين صاحب بخارى من أطراف البلاد وغيرهما.

فلما فرغ مسعود من مراجعة محمد واستقل بالملك بعث إلى التونتاش بالمسير إلى أعمال علي وانتزاع بخارى وسمرقند منه، وأمده بالعساكر فعبر جيحون سنة أربع وعشرين وأربعمائة وأخذ من بلاد تكين كثيراً فأقام بها، وهرب تكين بين يديه.

ثم دعته الحاجة إلى الأموال للعساكر، ولم يكن في جبايته تلك البلاد.

وجاء بها فاستأذن في العود إلى خوارزم، وعاد واتبعه على تكين وكبسه على غرة، فثبت وانهزم علي تكين ونجا إلى قلعة دبوسية.

وحاصره التونتاش وضيق عليه فبعث إليه واستعطفه فأفرج عنه، وعاد إلى خوارزم، وكانت به جراحة من هذه الوقعة، فانتقض عليه ومات وترك من الولد ثلاثة وهم: هارون ورشيد وإسماعيل، وضبط وزيره أحمد بن عبد الصمد البلد والخزائن حتى جاء هارون الأكبر من الولد من عند السلطان بعهده على خوارزم، ثم توفي المتميدي وزير السلطان مسعود، وبعث على أبي نصر لوزارته، واستناب أبو نصر عند هارون بخوارزم ابنه عبد الجبار.

ثم استوحش من هارون وسخطه وأظهر العصيان في رمضان سنة خمس وعشرين وأربعمائة فاختفى عبد الجبار خوفاً من غائلته، وسعى عند السلطان مسعود.

وكتب مسعود إلى شاه ملك بن علي أحد ملوك الأطراف

بنواحي خوارزم بالمسير لقتال إسماعيل فسار وملك البلد فهزمهما، وهرب إسماعيل وشكر إلى طغرلبك وداود صريخين، فسار داود إلى خوارزم فلقيهما شاه ملك وهزمهما.

ثم قتل مسعود وملك ابنه مودود فدخل شاه ملك بأمواله وذخائره في المفاوز إلى دهستان ثم إلى طبس، ثم إلى نواحي كرمان ثم إلى أعمال البتر ومكران.

وقصد أرتاش أخا إبراهيم نيال وهو ابن عم طغرلبك في أربعة آلاف فارس، فأسره وسلمه إلى داود واستأثر هو بما غنم من أمواله.

ثم أعاد أرتاش إلى باذغيس، وأقام على محاصرة هراة على طاعة مودود بن مسعود فامتنعوا منه خوفاً من معرة هجومه عليهم.

مسير العساكر من غزنة إلى خراسان

ولما ملك الغز خراسان واستولوا على سائر أملاكها وأعمالها.

واستولى طغرلبك على جرجان وطبرستان وخوارزم، وإبراهيم نيال على همذان وعلى الري والجبل، وولى على خراسان وأعمالها داود بن ميكايل، وبعث السلطان أبو الفتح مودود عساكره مع بعض حجابه إلى خراسان سنة خمس وثلاثين، فسرح إليهم داود ابنه ألب أرسلان في العساكر فاقتتلوا، وكان الغلب لألب أرسلان.

وعاد عسكر غزنة مهزوماً، وسار عسكر من الغز إلى نواحي بست، وعاثوا وأفسدوا، فبعث أبو الفتح مودود إليهم عسكراً فقاتلهم، وانهزموا وظفر عسكر مودود بهم وأثخنوا فيهم.

مسير الهنود لحصار لهاور وامتناعها وفتح حصون أخرى من بلادهم

وفي سنة خمس وثلاثين اجتمع ثلاثة من ملوك الهند على لهاور، فجمع مقدم العساكر الإسلامية هناك عسكره وبعثهم للدفاع عنها.

وبعث إلى السلطان مودود وحاصرها الثلاثة ملوك، ثم أفرج الآخران وعادا إلى بلادهما.

وسارت عساكر الإسلام في اتباع أحدهما وهو دوبالي هربابة فانهزم منهم، وامتنع بقلعة له هو وعساكره، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحاصرهم المسلمون، حتى استأمنوا وسلموا ذلك الحصن وجميع الحصون التي من أعمال الملك، وغنموا أموالهم، وأطلقوا من كان في الحصون من أسرى المسلمين بعد أن أعطوهم خمسة آلاف، ثم ساروا إلى ولاية الملك الآخر واسمه باس الري فقاتلوه وهزموه، وقتل في المعركة هو وخمسة آلاف من قومه، وأسر الباقون، وغنم المسلمون ما معهم، وأذعن ملوك الهند بعدها بالطاعة، وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأجيبوا

وفاة مودود وولاية عمه عبد الرشيد

ثم توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بغزنة لعشر سنين من ولايته في رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وقد كان كاتب فأجابوه وجمع أبو كاليجار صاحب أصفهان العساكر، وسار في المفازة لنصره فمرض في طريقه ورجع.

وسار خاقان إلى ترمذ لنصره، وطائفة أخرى مما وراء النهر إلى خوارزم.

وسار مودود من غزنة فعرض له بعد رحيله من غزنة مرض القولنج، فعاد إلى غزنة، وبعث إلى وزيره أبي الفتح عبد الرزاق بن أحمد المتميدي في العساكر إلى سجستان لانتزاعها من الغز.

ثم اشتد وجعه فمات ونصب ابنه للأمر خمسة أيام.

ثم عدل الناس عنه إلى عمه علي بن مسعود، وكان مسعود لأول ولايته قبض على عمه عبد الرشيد أخي محمود وحبسه بقلعة بطريق بست.

فلما قاربها الوزير أبو الفتح وبلغه وفاة مودود، نزل عبد الرشيد إلى العسكر فبايعوا له ورجعوا به إلى غزنة فهرب علي بن مسعود، واستقر الأمر لعبد الرشيد، ولقب سيف الدولة وقيل جمال الدولة، واستقام أمر السلجوقية بخراسان، واندفعت العوائق عنهم.

مقتل عبد الرشيد وولاية فرخزاد

كان لمودود صاحب اسمه طغرل، وجعله حاجباً ببابه،

وكان السلجوقية قد ملكوا سجستان وصارت في قسم بيقو أخي طغرلبك، وولى عليها أبا الفضل من قبله، فأشار طغرلبك على عبد الرشيد بانتزاعها منهم، وألح عليهم في ذلك، فبعث إليها، طغرل في ألف فارس، فحاصر حصن الطاق أربعين يوماً.

وكتب أبو الفضل من سجستان يستنجده، وسار طغرل، ولما سمع أصوات البوقات والدبادب، وأخبر أنه بيقو، فتحاجزوا، وعلم أنه تورط ولقيهم مستميتاً فهزمهم وسار إلى هراة.

واتبعهم طغرل فرسخين وعاد إلى سجستان فملكها، وكتب إلى عبد الرشيد بالخبر، واستمده لغزو خراسان فأمده بالعساكر.

ثم حدثته نفسه بالملك، فأغذ السير إلى غزنة حتى كان على خمسة فراسخ منها، كتب إلى عبد الرشيد باستيجاش العسكر وطلبهم الزيادة في العطاء، فشاور أصحابه فكشفوا له وجه المكيدة في ذلك وحذروه من طغرل، فصعد إلى قلعة غزنة وتحصن بها.

وجاء طغرل من الغد فنزل في دار الإمارة، وأرسل أهل القلعة في عبد الرشيد فأسلموه إليه فقتله واستولى على ملكهم، وتزوج ابنة السلطان عبد الرشيد وبضهم على الأخذ بثأره فأجابوا.

ودخلوا عليه في مجلسه، وقتلوه وجاء خرخيز الحاجب لخمسة أيام من قتله، وجمع وجوه القواد وأعيان البلد، وبايع فرخاد ابن السلطان مسعود، وقام بتدبير دولته وقتل الساعين في إلى غزنة ولقي الغز وهزمهم.

ودخل غزنة فملكها من أيديهم. ثم سار من غزنة إلى كرمان وسوران فملكها وكرمان هذه بين غزنة والهند، وليست كرمان المعروفة.

ثم سار غياث الدين إلى نهر السند ليعبر إلى لهاور كرسي خسرو شاه بن بهرام شاه، فبادر خسرو شاه ومنعه العبور فرجع وملك ما يليه من جبال الهند وأعمال الأنبار.

وولى على غزنة أخاه شهاب الدين ورجع إلى بيروزكوه.

استيلاء الغورية على لهاور ومقتل خسرو شاه وانقراض دولة بني سبكتكين

ولما ولي شهاب الدين الغوري غزنة أحسن السيرة فيهم، وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحل ملكه، وتطاول إلى ملك لهاور قاعدة الهند من يد خسرو شاه، فسار سنة تسع وسبعين وأربعمائة في عسكر غزنة والغور، وعبر إليها وحاصرها، وبذل الأمان لخسرو شاه وأنكحه ابنته وسوغه ما يريد من الإقطاع على أن يخرج إليه ويخطب لأخيه فأبى من ذلك.

وأقام شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه، وخذله أهل البلد، فبعث القاضي والخطيب يستأمنان له فأمنه ودخل شهاب الدين، وبقي خسرو شاه عنده مكرماً، وبقي شهرين ينتظر المعونة من يد غياث الدين، فأنفذ خسرو شاه إليه فارتاب من ذلك، وأمنه شهاب الدين وحلف له، وبعث به وبأهله وولده مع جيش يحفظونهم.

فلما وصلوا بلد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه، فكان آخر العهد به.

وانقرضت دولة بني سبكتكين بموته، وكان مبدؤها سنة ست وستين وثلاثمائة، فتكون مدة الدولة مائتين وثلاث عشرة سنة.

دولة الترك الخبر عن دولة الترك في كاشغر وأعمال تركستان وما كان لهم من الملك في الملة الإسلامية بتلك البلاد وأولية أمرهم ومصائر أحوالهم

كان هؤلاء الترك ملوك تركستان، ولا أدري أولية أمرهم بها إلا أن أول من أسلم منهم سبق قراخان، وتسمى عبد الملك، وكانت له تركستان وقاعدتها كاشغر، وساغون وخيمو وما يتصل بها إلى أوان المفازة المتصلة بالصين في ناحية الشمال عنهم، أعمال طراز والشاش وهي للترك أيضاً.

إلا أن ملوك تركستان أعظم ملكاً منهم بكثير.

وفي المغرب عنهم بلاد ما وراء النهر التي كان ملكها لبني سامان وكرسيهم بخارى.

ولما أسلم ملكهم عبد الكريم سبق أقام على ملكه بتلك الناحية، وكان يطيع بني سامان هو وعقبه يستنفرونهم في حروبهم إلى أن ملك عهد الأمير نوح بن منصور في عشر التسعين والثلاثمائة على حين اضطراب دولة بني سامان، وانتقاض عمالهم بخراسان.

وانتقض أبو علي بن سيجور فراسل بقراخان وأطمعه في ملك بخارى فطمع بقراخان في البلاد ثم قصد أعمال بني سامان وملكها شيئاً فشيئاً.

وبعث الأمير نوح إليه العساكر مع قائده أنج فلقيهم بقراخان وهزمهم وأوسر أنج وجماعة من القواد.

وسار فائق إلى بقراخان واختص به، وصار في جملته، ورجع الأمير نوح إلى بخارى كما مر من قبل، وهلك بقراخان في طريقه.

وفاة بقراخان وملك أخيه ايلك خان سليمان

ولما ارتحل بقراخان من بخارى وهو على ما به من المرض، أدركه الموت في طريقه، فمات سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.

وكان ديناً عادلاً حسن السيرة، محباً للعلماء وأهل الدين مكرماً لهم، متشيعاً سنياً.

وكان موالياً لآل رسول الله ﷺ، ولما مات ولي بعده أخوه ايلك خان سليمان، ولقبه شهير الدولة، واستوثق ملكه، بتركستان وأعمالها، ووفد عليه فائق بعد حروبه بخراسان مع جيوش الأمير نوح، وسبكتكين وابنه محمود، ولحق به مستصرخاً فأكرمه ووعده، وكتب إلى الأمير نوح يشفع في فائق وأن يوليه سمرقند فولاه عليها وأقام بها.

استيلاء ايلك خان على ما وراء النهر

لما عاد بقراخان على بخارى وعاد إليها الأمير نوح، وقد كان من أبي علي بن سيجور وإجلائه عن خراسان ما كان، استدعى الأمير نوح مولاه سبكتكين بعد ذلك، واختلف ابناه بكثرزون ومنصور كما تقدم ذلك سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ثم هلك سبكتكين كما تقدم ذلك كله قبل.

ثم استوحش بكثرزون من منصور واتفق مع فائق على خلعه، فخلعه وسمله بخراسان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكان فائق خصياً من موالي نوح بن منصور.

وهذه الأخبار كلها مستوفاة في دولة بني سامان.

ثم بلغ الخبر إلى ايلك خان، فطمع في ملك بخارى وأعمالها، وسار في جموع الترك إلى بخارى موريا بالمحاماة عن عبد الملك والنصرة له، وخرج بكثرزون والأمراء والقواد للقائه، فقبض عليهم، وسار فدخل بخارى عاشر ذي القعدة من سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ونزل دار الإمارة، وظفر بعبد الملك فحبسه فانكدر حتى مات، وحبس معه أخاه المخلوع أبا الحارث منصور، وأخويه الآخرين إسماعيل ويوسف ابني نوح، وأعمامه محموداً وداود وغيرهم، وانقرضت دولة بني سامان والبقاء لله.

ثورة إسماعيل إلى بخارى ورجوعه عنها

قد تقدم لنا أن إسماعيل فر من محبسه ولحق بخوارزم، واجتمع إليه قوادهم وبايعوه، ولقبوه المستنصر.

وبعث قائداً من أصحابه إلى بخارى ففر من كان بها من عساكر ايلك خان فهزمهم، وقتل منهم وحبس.

وكان النائب بها جعفر تكين أخي ايلك خان فحبسه، واتبع المنهزمين إلى سمرقند، ولحق إسماعيل بأحياء الغز، وجاء ايلك خان في جيوشه، والتقوا فانهزم ايلك خان وأسروا قواده، وغنموا سواده، ورجعوا إلى بلادهم، وتشاوروا في الأسرى فارتاب بهم إسماعيل، وعبر النهر وانضمت إليه فتيان سمرقند.

واتصل الخبر بايلك خان فجمع والتقى هو وإسماعيل وهزمه بنواحي أسروشنة، وعبر النهر إلى نواحي الجوزجان، ثم إلى مرو، وبعث محمود العساكر في أثره من خراسان، وكذلك قابوس من جرجان فعاد إلى ما وراء النهر وقد ضجر أصحابه، ونزل بحي من العرب فأمهلوه الليل وقتلوه.

واستقرت بخارى في ملك إيلك خان، وولى عليها أخوه علي تكين.

عبور ايلك خان إلى خراسان

قد تقدم لنا ما كان انعقد بين ايلك خان ومحمود من المواصلة، ثم دبت عقارب السعاية بينهما، وأكثر محمود من غزو بلاد الهند.

ولما سار إلى الملتان اغتنم ايلك خان الفرصة في خراسان وبعث سباسي تكين صاحب جيشه وأخاه جعفر تكين إلى بلخ في عدة من الأمراء وأرسلان الحاجب.

فسار أرسلان إلى غزنة وملك سباسي هراة وأقام بها، وبعث إلى نيسابور عسكراً فاستولى عليها وبادر محمود بالرجوع من الهند، وفرق العطايا وأزاح العلل واستنفر الأتراك الخلنجية.

وسار إلى جعفر تكين ببلخ ففارقها إلى ترمذ، وبعث العساكر إلى سباسي بهراة، ففارقها إلى مرو ليعبر النهر، فاعترضه التركمان فأوقع بهم، وسار إلى أبيورد والعساكر في اتباعه.

ثم سار إلى خراسان فاعترضه محمود وهزمه، وأسر أخاه وجماعة من قواده، وعبر النهر إلى ايلك، وأجلى عساكره وأصحابه عن خراسان، فبعث ايلك خان إلى قراخان ملك الختل، فاستنفر الترك الغزية والخلنجية والهنود، وعسكر على فرسخين من بلخ، وتقدم ايلك وقراخان في عساكرهما، ونزلوا قبالته، واقتتلوا يوماً إلى الليل، ومن الغد اشتدت الحرب ونزل الصبر.

ثم حمل محمود في الفيلة على ايلك خان في القلب، فاختل المصاف، وانهزم الترك، واتبعهم عساكر محمود وأثخنوا فيهم القتل والأسر إلى أن عبر النهر، وانقلب ظافراً غانماً وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

وفاة ايلك خان وولاية أخيه طغان خان

ثم هلك ايلك خان سنة ثلاث وأربعمائة وكان موالياً للسلطان محمود ومظاهراً له على أخيه طغان خان.

فلما ولي تجدد ما بينه وبين السلطان من الولاية، وصلحت الأحوال وانمحت آثار الفتنة في خراسان وما وراء النهر.

وفاة طغان خان وولاية أخيه أرسلان خان

ثم توفي طغان خان ملك الترك سنة ثمان وأربعمائة بعد أن كان له جهاد مع أمم من الترك خرجوا من الصين في زهاء ثلاثمائة ألف وقصدوا بلاده في ساغون وهال المسلمين أمرهم فاستنفر طغان طوائف المسلمين وغيرهم، واستقبلهم فهزمهم، وقتل منهم نحو مائة ألف وأسر مثلها، ورجع الباقون منهزمين.

ومات طغان إثر ذلك، وولي بعده أخوه أرسلان وكان من الغريب الدال على قصد إيمان طغان، أنه كان عند خروج الترك إلى بلاد ساغون عليلا، فلما بلغه الخبر تضرع لله أن يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة ويدفعهم عن البلاد، فاستجاب الله دعاءه.

وكان محباً لأهل العلم والدين.

ولما توفي واصل أرسلان خان الولاية مع السلطان محمود، وأصهر إلى ابنه مسعود في بعض كرائمه فاستحكم الاتصال بينهما.

انتقاض قراخان على أرسلان وصلحه

كان أرسلان خان قد ولي على سمرقند قراخان يوسف بن بقراخان هارون الذي ملك بخارى، فانتقض عليه سنة تسع وأربعمائة وكاتب السلطان محمود صاحب خراسان يستظهر به على أرسلان خان فعقد السلطان على جيحون جسراً من السفن محكمة الربط بسلاسل الحديد وعبر إليه.

ثم خام عن لقائه فعاد إلى خراسان، وانقطعت الموالاة بينه وبين أرسلان خان، وتصالح مع قراخان واتفقا على محاربة السلطان محمود، والمسير إلى بلاده، فسار إلى بلخ، وقاتلهما السلطان قتالاً شديداً حتى انهزم الترك، وعبروا النهر إلى بلادهم، وكان من غرق أكثر ممن نجا وعبر السلطان في أثرهم ثم رجع عنهم.

أخبار قراخان

الذي يظهر من كلام ابن الأثير: أن قراخان ولي بلاد الترك بتركستان وساغون، فإنه ذكره عقب هذا الخبر بالعدل وحسن السيرة وكثرة الجهاد.

ثم قال عقب كلامه: فمن فتوحاته ختن بين الصين وتركستان وهي كثيرة العلماء والفضلاء.

ثم قال: وبقي كذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فتوفي فيها.

ولما توفي خلف ثلاثة بنين: أرسلان خان وكنيته أبو شجاع ولقبه شرف الدولة، وبقراخان، ولم يذكر الثالث والظاهر أنه شرف الدولة.

قال: وكان لأرسلان كاشغر وختن وساغون، وخطب له على منابرها، وكان عادلاً مكرماً للعلماء وأهل الدين، محسناً لهم، وقصده كثير منهم فأكرمهم.

قال: وكان لبقراخان طراز وأسفيجاب، ووقعت الفتنة بين بقراخان وأرسلان فغلبه بقراخان وحبسه وملك بلاده.

وقال في موضع آخر: كان يقنع من إخوته وأقاربه بالطاعة فقسم البلاد بينهم، وأعطى أخاه أرسلان تكين كثيراً من بلاد الترك، وأعطى أخاه طراز وأسفيجاب، وأعطى عمه طغان خان فرغانة بأسرها، وأعطى ابنه علي تكين بخارى وسمرقند وغيرهما، وقنع هو ببلاد ساغون وكاشغر.

قال: وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أسلم كثير من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحي ساغون وكاشغر، ويعيثون فيها ويصيفون ببلاد بلغار فأسلموا وافترقوا في البلاد، وبقي من لم يسلم، التتر والخطا في نواحي الصين انتهى.

ورجع إلى بقراخان الأول وقال فيه: حبس أخاه أرسلان خان وملك بلاده، ثم عهد بالملك لولده الأكبر واسمه حسين جعفر تكين، وكان له ولد آخر أصغر من حسين اسمه إبراهيم، فغارت أمه لذلك، وقتلت بقراخان بالسم، وخنقت أخاه أرسلان في محبسه.

ثم استلحمت وجوه أصحابه وأمرائه، وملكت ابنها إبراهيم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وبعثته في العساكر إلى برسخان، مدينة بنواحي تركستان، وكان صاحبها يسمى نيال تكين.

فانهزم إبراهيم وظفر به نيال تكين وقتله واختلف أولاد بقراخان وفسد أمرهم، وقصدهم طقفاج خان صاحب سمرقند وفرغانة، فأخذ من أولاد بقراخان الملك من أيديهم.

الخبر عن طقفاج خان وولده

كان بسمرقند وفرغانة أيام بني بقراخان وإخوته ملك من الترك الخانية اسمه نصر ايلك، ويلقب عماد الدولة ويكنى أبا المظفر.

ثم فلج سنة اثنين وأربعمائة ومات، وقد عهد بملكه لابنه شمس الدولة نصر، فقصده أخوه طغان خان ابن طقفاج وحاصره بسمرقند وبيته شمس الدولة فهزمه وظفر به، وكان ذلك في حياة أبيهما.

ثم جاء بعد مماته إلى محاربة شمس الدولة بقراخان هارون بن قدرخان يوسف وطغرك خان، وكان طقفاج قد استولى على ممالكه وحاصره بسمرقند، ولم يظفروا به ورجعوا عنه، وصارت أعمال الخانية كلها في أيديهما، والأعمال المتاخمة لسبحون لشمس الدولة، والتخم بينهما خجندة.

وكان السلطان ألب أرسلان قد تزوج بابنة قدرخان، وكانت قبله زوجاً لمسعود بن محمود بن سبكتكين.

وتزوج شمس الدولة بابنة ألب أرسلان شمس الملك، وذلك سنة خمس وستين وأربعمائة وملكها ونقل ذخائرها إلى سمرقند.

وخاف أهل بلخ منه فاستأمنوا إليه وخطبوا له فيها، لأن أرباس ألب أرسلان سار إلى الجوزجان، وجاء إليها التكين، وولي عليها وعاد إلى ترمذ فثار أهل بلخ بأصحابه وقتلوهم فرجع إليهم، وأمر بإحراق المدينة ثم عفا عنهم وصادر التجار، وبلغ الخبر إلى ألب أرسلان فعاد من الجوزجان وسار في العساكر إلى ترمذ في منتصف سنة خمس وستين وأربعمائة فلقيه التكين وهزمه وغرق كثير من أصحابه في النهر.

ثم استقامت الأمور للسلطان ملك شاه فسار إلى ترمذ سنة ست وستين وأربعمائة وحاصرها ورماها بالمنجنيق، وطم خندقها حتى استأمن أهلها واعتصم بقلعتها أخو التكين، ثم استأمن وأطلقه السلطان إلى أخيه.

ثم سار ملك شاه إلى سمرقند ففارقها، وبعث أخوه السلطان في الصلح فأجابه ورده إلى سمرقند ورجع السلطان إلى خراسان انتهى.

قال ابن الأثير: ثم مات شمس الدولة وولي بعده أخوه خضرخان.

ثم مات خضرخان فولي بعده ابنه أحمد خان.

وكان أحمد هذا أسره ملك شاه في سمرقند لما فتحها، ووكل به جماعة من الديلم، فلقن عنهم معتقدات الإباحة والزندقة.

فلما ولي أظهر الانحلال، فاعتزم جنده على قتله، وتفاوضوا في ذلك مع نائبه بقلعة قاشان، فأظهر العصيان عليه، فسار في العساكر وحاصر القلعة، وتمكن جنده منه فقبضوا عليه ورجعوا به إلى سمرقند فدفعوه إلى القضاة وقتلوه بالزندقة، وولوا مكانه مسعود خان ابن عمه.

قال ابن الأثير: وكان جده من ملوكهم وكان أصم.

وقصده طغان خان بن قراخان صاحب طراز فقتله واستولى على الملك، وولى على سمرقند أبا المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوي فوليها ثلاث سنين، ثم عصى عليه فحاصره وأخذه فقتله.

ثم خرج طغان خان إلى ترمذ فلقيه السلطان سنجر وظفر به وقتله، وأخذها منه عمرخان وملك سمرقند ثم هرب من جنده إلى خوارزم فظفر به السلطان أحمد.

وولي سمرقند محمد خان، وولي بخارى محمد تكين.

وقال ابن الأثير في ذكر كاشغر وتركستان: إنها كانت لأرسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا.

ثم صارت لمحمود نوراخان صاحب طراز والشاش فملكها سنة وثلاثة أشهر، ثم مات، فولى بعده طغراخان بن يوسف قدرخان، وملك بلاد ساغون وأقام ست عشرة سنة، ثم توفي فملك ابنه طغرل تكين شهرين.

ثم جاء هارون بقراخان بن طقفاج نوراخان وهو أخو يوسف طغرل خان فملك كاشغر، وقبض على هارون واستولى

على ختن، وما يتصل به إلى ساغون، وأقام عشرين سنة، وتوفي سنة ست وتسعين وأربعمائة، فولي بعده أحمد بن أرسلان خان، وبعث إليه المستظهر بالخلع، ولقبه نور الدولة.

مقتل قدرخان صاحب سمرقند

قال ابن الأثير سنة خمس وتسعين وأربعمائة: ولما سار سنجر إلى بغداد مع أخيه السلطان محمد، طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان، فخالف إليها سنجر بعد رجوعه إليها، وقد عظم الخلاف بين بركيارق وأخيه محمد وكان بعض أمراء سنجر اسمه كنذعري يكاتب قدرخان ويغريه ويستحثه إلى البلاد، فسار قدرخان إلى بلخ سنة سبع وتسعين وأربعمائة في مائة ألف.

وبادر سنجر إليها في ستة آلاف، فلما تقاربا لحق كنذعري بقدرخان، فبعثه إلى ترمذ وملكها وجاء الخبر إلى سنجر بأن قدرخان نزل قريباً من بلخ، وأنه خرج متصيداً في ثلاثمائة فارس، فجرد إليه عسكراً مع أميره برغش فهزمهم، وجاء بكنذعري وقدرخان أسيرين.

وقيل: إنه وقع بينهما مصاف، وانهزم قدرخان وأسر فقتله سنجر، وسار إلى ترمذ فحاصرها حتى استأمن إليه كنذعري فأمنه، ولحق بغزنة وكان محمد أرسلان خان بن سليمان بن داود بقراخان نازلاً بمرو فبعث عنه السلطان سنجر، وولاه على سمرقند وهو من نسل الخانية مما وراء النهر، وأمه بنت السلطان سنجر، وولي ملك شاه دفع عن ملك آبائه فقصد مرو، وأقام بها، فلما قتل قدرخان ولاه سنجر أعماله، وبعث معه العساكر الكثيرة فاستولى عليها، واستفحل ملكه، ثم انتقض عليه من أمراء الترك تيمورلنك، وجمع وسار إلى محمد خان بسمرقند وغيرها، فاستنجد محمد خان بالسلطان سنجر فأنجده بالعساكر، وسار إلى تيمورلنك فهزمه، وفض جموعه، ورجعت العساكر إليه.

انتقاض محمد خان عن سنجر

ثم بلغ السلطان سنجر سوء سيره محمد في رعيته وإهماله لأوامر السلطان، فسار إليه سنة سبع وخمسمائة فخاف محمد خان غائلته، وبعث إلى الأمير قماج أعظم أمراء سنجر يعتذر ويسأله الصلح، فشرط عليه الحضور عند السلطان، فاعتذر بالخوف، وأنه يقف من وراء جيحون ويقبل الأرض من هنالك فأجيب إلى ذلك، ووقفوا بعدوة النهر حتى وافى محمد خان بشرطه وسكنت الفتنة.

استيلاء السلطان سنجر على سمرقند

كان السلطان سنجر لما ملك سمرقند ولى عليها أرسلان خان بن سليمان بقراخان داود، فأصابه الفالج، واستناب ابنه نصر خان فوثب به أهل سمرقند وقتلوه.

وتولى كبر ذلك اثنان منهم أحدهما علوي، وكان أبوه محمد المفلوج غائباً فعظم عليه، وبعث عن ابنه الآخر من تركستان فجاء وقتل العلوي وصاحبه.

وكان والد أرسلان خان قد بعث إلى السلطان سنجر يستحثه قبل قدوم ابنه الآخر فسار سنجر لذلك.

فلما قدم إلى أبيه أرسلان وقتل قاتلي أخيه، بعث أرسلان إلى السلطان سنجر يعرفه، ويسأله العود إلى بلده فغضب لذلك، وأقام أياماً ثم جيء إليه بأشخاص واعترفوا بأن محمداً، خان بعثهم لقتله فغضب، وسار إلى سمرقند فملكها عنوة، وتحصن محمد خان ببعض الحصون حتى استنزله سنجر بالأمان بعد مدة وأكرمه، وكانت بنته تحبه، فبعثه إليها وأقام عندها.

وولى على سمرقند حسين تكين، ورجع إلى خراسان.

ومات حسين تكين فولي بعده عليها محمود بن محمد خان أخا زوجته.

استيلاء الخطا على تركستان وبلاد ما وراء النهر وانقراض دولة الخانية

نقل ابن الأثير هذا الخبر عن اضطراب عنده فيه، على أن أخبار هذه الدولة الخانية في كتابه ليست جلية ولا متضحة، وأرجو إن مد الله في العمر أن أحقق أخبارها بالوقوف عليها في مظان الصحة وألخصها مرتبة، فإني لم أوفها حقها من الترتيب، لعدم وضوحها في نقله.

وحاصل ما قرر في هذا الخبر من أحد طرقه أنه قال: إن بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد ساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانية من الترك، وهم من نسل فراسياب ملكهم الأول المنازع للملوك اليكنية من الفرس، وأسلم جدهم الأول سبق قراخان.

ويقال: سبب إسلامه أنه رأى في منامه رجلاً نزل من السماء، فقال له باللسان التركي ما معناه: أسلم تسلم في الدنيا والآخرة فأسلم في منامه، وأصبح مظهراً لإسلامه.

ولما مات قام مقامه ابنه موسى واتصل الملك في عقبه إلى أرسلان خان بن محمد بن سليمان سبق فخرج عليه قدرخان في ملكه سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

واجتمع الترك عليه وكانوا طوائف فكان منهم القارغلية، وبقية الغز الذين عبروا إلى خراسان ونهبوها على ما مر.

وكان لأرسلان ابن اسمه نصرخان، وفي صحابته شريف علوي اسمه الأشرف محمد بن أبي شجاع السمرقندي، فحسن له طلب الملك من أبيه وأطمعه فيه فقتلهما أرسلان.

ثم وقعت بينه وبين القارغلية من الترك وحشة دعتهم إلى الانتقاض والعصيان، واستنجد بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ووصل إلى سمرقند وهرب القارغلية بين يديه.

ثم عثر على رجالة استراب بهم فقبض عليهم، وتهددهم فذكروا أن أرسلان خان وضعهم على قتله فرجع إلى سمرقند، وملك القلعة وبعث أرسلان أميراً إلى بلخ فمات بها.

وقيل: إنه اختراع منه، ووضع هذه الحكاية وسيلة لذلك.

ثم ولى السلطان سنجر على سمرقند فلج طمغاج، وهو أبو المعالي الحسن بن علي المعروف بحسين تكين، كان من أعيان بيت الخانية فلم تطل أيامه، ومات فولي سنجر مكانه محمود ابن أخته، وهو ابن السلطان أرسلان. فأقام ملكاً عليها.

وكان ملك الصين كوخان قد وصل إلى كاشغر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة في جيوش كثيفة.

ومعنى كو بلسان أهل الصين: أعظم، وخان سمة ملوك الترك.

وكان أعور وكان يلبس لبسة ملوك الترك، وهو مانوي المذهب.

ولما خرج من الصين إلى تركستان انضاف إليه طوائف الخطا من الترك، وكانوا قد خرجوا قبله من الصين، وأقاموا في خدمة الخانية أصحاب تركستان فانضافوا إلى كو ملك الصين وكثف جمعه بهم.

وزحف إليه صاحب كاشغر، وهو الخان أحمد بن الحسين بجموعه فهزمه، وأقامت طوائف الخطا معه في تلك البلاد.

وكان سبب خروجهم من الصين ونزولهم ساغون، أن أرسلان محمد كان يستنجد بهم ويجري عليهم الأرزاق والإقطاعات، وينزلهم مسالح في ثغوره.

ثم استوحشوا منه ونفروا وطلبوا الرحلة إلى غير بلده، وارتادوا البلاد واختاروا منها بلد الساغون فساروا إليها وردد عليهم أرسلان الغزو.

ولما جاء كوخان ملك الصين صاروا في جملته حتى إذا رجع زحفوا إلى بلاد تركستان فملكوها بلداً بلداً.

وكانوا إذا ملكوا المدينة يأخذون ديناراً من كل بيت ولا يزيدون عليه، ويكلفون من يطيعهم من الملوك أن يعلق في منطقته لوحاً من فضة علامة على الطاعة.

ثم ساروا إلى بلاد ما رواء النهر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

ولقيهم محمود خان بن أرسلان خان فهزموه إلى سمرقند وبخارى، واستنجد بالسلطان سنجر ودعاه لنصر المسلمين، فجمع العساكر واستنجد صاحب سجستان ابن خلف والغوري صاحب غزنة، وملوك ما وراء النهر وغيرهم.

وسار للقائهم وعبر النهر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

وشكا إليه محمود من القارغلية، فأراد أخذهم فهربوا إلى كوخان، وسألوه أن يشفع لهم عند السلطان سنجر، وكتب إليه يشفع لهم فلم يشفعه.

وكتب إليه يدعوه إلى الإسلام ويتهدده. ولما بلغ الكتاب إلى كوخان عاقب الرسول، وسار للقاء سنجر في أمم الترك والخطا والقارغلية، فلقيه السلطان سنجر أول صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وعلى ميمنته قماج وعلى ميسرته صاحب سجستان، وأبلى ذلك اليوم وساء أثر القارغلية في تلك الحرب، وانهزم السلطان سنجر والمسلمون، واستمر القتل فيهم.

وأسر صاحب سجستان والأمير قماج وزوجة السلطان ابنة أرسلان خان محمد، وأطلقهم الكفار.

ولم يكن في الإسلام وقعة أعظم من هذه ولا أفحش قتلاً.

واستقرت الدولة فيما وراء النهر للخطا والترك، وهم يومئذ على دين الكفر، وانقرضت دولة الخانية المسلمين الذين كانوا فيها.

ثم هلك كوخان منتصف سبع وثلاثين وكان جميلاً حسن الصوت، ويلبس الحرير الصيني، وكان له هيبة على أصحابه ولا

يقطع أحداً منهم خوفاً على الرعية من العسف، ولا يقدم أميراً على فوق مائة فارس خشية أن تحدثه نفسه بالعصيان، وينهى عن الظلم وعن السكر ويعاقب عليه، ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه.

ولما مات ملكت بعده ابنته وماتت قريباً فملكت بعدها أمها زوجة كوخان، وبقي ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه صاحب دولة الخوارزمية سنة اثنتي عشرة وستمائة على ما يأتي في أخبار دولتهم.

إجلاء القارغلية من وراء النهر

لما ملك ما وراء النهر سمرقند وبخارى جقري خان بن حسين تكين من بيت الخانية، وأمره سنة تسع وخمسين وخمسمائة بإجلاء الترك القارغلية من أعمال بخارى وسمرقند إلى كاشغر، وإلزامهم الفلاحة ومجانبة حمل السلاح فامتنعوا من ذلك.

وألح عليهم جقري خان فامتنعوا واجتمعوا لحربه.

وسار إلى بخارى فبعث إليهم بالوعظ في ذلك والوعد الجميل بخلال ما جمع بقراخان، وكبسهم على بخارى فانهزموا، وأثخن فيهم وقطع دابرهم وأجلاهم عن نواحي سمرقند، وصلحت تلك النواحي والله أعلم.

الخبر عن دولة الغورية القائمين بالدولة العباسية بعد بني سبكتكين وما كان لهم من السلطان والدولة وابتداء أمرهم ومصائر أحوالهم

كان بنو الحسين أيام سبكتكين ملوكاً على بلاد الغور لبني سبكتكين وكانت لهم شدة وشوكة.

وكان منهم لآخر دولة بني سبكتكين أربعة أمراء قد اشتهروا واستفحل ملكهم: وهم محمد وشوري والحسين شاه وسام بنو الحسين، ولا أدري إلى من ينسب الحسين وأظنهم إلى بهرام شاه آخر ملوك بني سبكتكين، والتحم به فعظم شأنه.

ثم كانت الفتنة بين بهرام وأخيه أرسلان فمال محمد إلى أرسلان، وارتاب به بهرام لذلك.

ثم انقضى أمر أرسلان، وسار محمد بن الحسين في جموعه إلى غزنة سنة ثلاث وأربعين وخمسماية، موريا بالزيارة وهو يريد الغدر به، وشعر بذلك بهرام فحبسه ثم قتله، واستوحش الغورية لذلك.

مقتل محمد بن الحسين الغوري وولاية أخيه الحسين شاه ثم أخيه شوري

ولما قتل محمد ولي من بعده أخوه شاه بن الحسين، ثم كانت الوقعة.

وملك بعده أخوه شوري بن الحسين، وأجمع الأخذ بثأر أخيه من بهرام شاه فجمع له، وسار إلى غزنة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فملكها، وفارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند فجمع عسكره التي هناك، ورجع إلى غزنة وعلى مقدمته السلار بن الحسين، وأمير هندوخان إبراهيم العلوي.

وسار شوري للقائه فانفض عنه عسكر غزنة إلى بهرام شاه فانهزم وأسره بهرام، ودخل غزنة في محرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وصلب شوري على باب غزنة واستقر في ملكه.

مقتل شوري بن الحسين وولاية أخيه علاء الدين ابن الحسين واستيلاؤه على غزنة وانتزاعها منه

لما هلك شوري بن الحسين ملك الغور من بعده أخوه الحسين، ويلقب علاء الدولة واستولى على جبال الغور ومدينة بيروزكوه المجاورة لأعمال غزنة من بلاد الهند، وهي تقارب في اتساعها بلاد خراسان فاستفحل ملكه، وطمع في ملك خراسان وسار إلى هراة باستدعاء أهلها، فحاصرها ثلاثاً ثم ملكها بالأمان وخطب فيها للسلطان سنجر.

وسار إلى بلخ وبها الأمير قماج من قبل السلطان سنجر، فغدر به أصحابه، فملك علاء الدولة بلخ، وسار إلى السلطان سنجر وقاتله وظفر به فأسره ثم خلع عليه ورده إلى بيروزكوه.

ثم سار علاء الدين يريد غزنة سنة سبع وأربعين وخمسمائة ففارقها صاحبها بهرام شاه، وملكها علاء الدولة، وأحسن السيرة واستخلف عليهم أخاه سيف الدولة، وعاد إلى بلاد الغور، فلما جاء فصل الشتاء وسد الثلج المسالك، كتب أهل غزنة إلى بهرام شاه واستدعوه، فلما وصل وثبوا بسيف الدولة وصلبوه، وبايعوا لبهرام شاه وملكوه عليهم كما كان.

انتقاض شهاب الدين وغياث الدين على عمهما علاء الدولة

لما استفحل أمر علاء الدولة واستفحل ملكه استعمل على البلاد العمال وكان فيمن ولاه بلاد الغور ابنا أخيه سالم بن الحسين، وهما غياث الدين وشهاب الدين، فأحسنا السيرة في عملهما، ومال إليهما الناس، وكثرت السعاية فيهما عند عمهما بأنهما يريدان الوثوب فبعث عنهما فامتنعا، فجهز إليهما العساكر فهزماها وأظهرا عصيانه، وقطعا خطبته فسار إليهما فقاتلاه قتالاً شديداً حتى انهزم فاستأمن إليهما فأجلساه على التخت، وقاما بخدمته.

وزوج غياث الدين أحدهما بنتاً له، وبقي مستبداً على عمه علاء الدولة، ثم عهد إليه بالأمر من بعده ومات.

وفاة علاء الدولة وولاية غياث الدين ابن أخيه من بعده وتغلب الغز على غزنة

ثم توفي علاء الدولة ملك الغورية سنة ست وخمسين، وقام بالأمر من بعده بيروزكوه غياث الدين أبو الفتح ابن أخيه سالم، وطمع الغز بموته في ملك غزنة فملكوها من يده، وبقي غياث الدين في كرسيه بيروزكوه وأعمالها، وابنه سيف الدين محمد في بلاد الغور.

ثم أساء السيرة الغز في غزنة بعد مقامهم فيها خمس عشرة سنة، واستفحل أمر غياث الدين فسار إلى غزنة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة في عساكر الغورية والخلج والخراسانية ولقي الغز فهزمهم وملك غزنة من أيديهم، وسار إلى كرمان وشنوران فملكهما، وكرمان هذه بين غزنة والهند، ليست كرمان المعروفة.

ثم سار غياث، الدين إلى لهاور ليملكها من يد خسروشاه بن بهرام، فبادر خسروشاه إلى نهر المد ومنعه العبور منه، فرجع وملك ما يليه من جبال الهند وأعماله الأثغار، وولى غزنة أخاه شهاب الدين ورجع إلى بيروزكوه.

استيلاء شهاب الدين الغوري على لهاور ومقتل خسروشاه صاحبها

ولما ولي شهاب الدين الغوري غزنة أحسن السيرة فيهم، وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحل ملكه، وتطاول إلى ملك لهاور قاعدة الهند من يد خسروشاه، فسار سنة تسع وسبعين وخمسمائة في عساكر خراسان والغور وعبر إليها وحاصرها، وبذل الأمان لخسروشاه وأنكحه ابنته وسوغه ما يريد من الأقطاع على أن يخرج إليه ويخطب لأخيه فأبى من ذلك، وبقي شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه بالحصار وخذله أهل البلد، فبعث بالقاضي والخطيب يستأمنان له فأمنه ودخل شهاب الدين البلد، وبقي خسروشاه عنده مكرماً، وبعد شهرين وصل الأمر من غياث الدين بإنفاذ خسروشاه إليه، فارتاب من ذلك فأمنه شهاب الدين، وحلف له وبعث به وبأهله وولده مع جيش يحفظونهم، فلما وصلوا بلاد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه، فكان آخر العهد به وبابنه.

استيلاء غياث الدين على هوارة وغيرها من خراسان

ولما استقر ملك غياث الدين بلهاور كتب إلى أخيه شهاب الدين الذي تولى فتحها أن يقيم الخطبة له، ويلقبه بالقاب السلطان، فلقبه غياث الدنيا والدين معين الإسلام والمسلمين، قسيم أمير المؤمنين، ولقب أخاه شهاب الدين بعز الدين.

ثم لما فرغ شهاب الدين من أمور لهاور وسار إلى أخيه غياث الدين ببيروزكوه واتفق رأيهما على المسير إلى هراة من خراسان سار في العساكر فحاصرها، وبها عسكر السلطان سنجر وأمراؤه فاستأمنوا إليهما، وملكا هراة.

وسار إلى بوشنج فملكها، ثم إلى باذغيس كذلك.

وولى غياث الدين على ذلك وعاد إلى بيروزكوه وشهاب الدين إلى غزنة ظافرين غانمين.

فتح أجرة على يد شهاب الدين

لما عاد شهاب الدين إلى غزنة راح بها أياماً حتى استراحت عساكره.

ثم سار غازياً إلى بلاد الهند سنة سبع وأربعين وخمسمائة وحاصر مدينة أجرة وبها ملك من ملوكهم فلم يظفر منه بطائل، فراسل امرأة الملك في أنه يتزوجها إذا ملك البلد، فأجابت بالعذر، ورغبت في ابنتها فأجاب فقتلت زوجها بالسم وملكته البلد، فأخذ الصبية وأسلمت، وحملها إلى غزنة ووسع عليها الجراية، ووكل بها

من يعلمها القرآن حتى توفيت والدتها، وتوفيت هي من بعدها لعشر سنين، ولما ملك البلد سار في نواحي الهند فدوخها، وفتح الكثير منها، وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله.

حروب شهاب الدين مع الهنود وفتح دهلي وولاية قطب الدين أيبك عليها

ولما اشتدت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند، تراسل ملوكهم وتلاوموا بينهم وتظاهروا على المسلمين، وحشدوا عساكرهم من كل جهة، وجاؤوا بقضهم وقضيضهم في حكم امرأة ملكت عليهم، وسار هو في عساكره من الغورية والخلخ والخلنجية والخراسانية وغيرهم، والتقوا فمحض الله المسلمين وأثخن فيهم الكفرة بالقتل.

وضرب شهاب الدين في يده اليسرى فشلت، وعلى رأسه فسقط عن فرسه، وحجز بينهم الليل وحمله جماعة من غلمانه إلى منجاته ببلده.

وسمع الناس بنجاته فتباشروا ووفدوا عليه من كل جهة، وبعث إليه أخوه غياث الدين بالعساكر، وعذله في عجلته.

ثم ثارت الملكة ثانياً إلى بلاد شهاب الدين بالعساكر، وبعثت إلى شهاب الدين بالخروج عن أرض الهند إلى غزنة، فأجاب إلى ذلك بعد أن يستأذن أخاه غياث الدين وينظر جوابه.

وأقاموا على ذلك وقد حفظ الهنود مخاضات النهر بينهم وهو يحاول العبور فلا يجد، وبينما هو كذلك جاءه بعض الهنود، فدله على مخاضة فاستراب به حتى عرفه قوم من أهل أجرة والملتان.

وبعث الأمير الحسن بن حرميد الغوري في عسكر كثيف، وعبر تلك المخاضة ووضع السيف في الهنود فأجفل الموكلون بالمخاضات.

وعبر شهاب الدين وباقي العساكر وأحاطوا بالهنود، ونادوا بشعار الإسلام فلم ينج منهم إلا الأقل، وقتلت ملكتهم وأسروا منهم أمماً.

وتمكن شهاب الدين بعدها من بلاد الهند وحملوا له الأموال وضربت عليهم الجزية فصالحوه وأعطوه الرهن عليها.

وأقطع قطب الدين أيبك مدينة دهلي، وهي كرسي الممالك التي فتحها، وأرسل عسكراً من الخلخ مختارين ففتحوا من بلاد الهند ما لم يفتحه أحد، حتى قاربوا حدود الصين من جهة الشرق، وذلك كله سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

مقتل ملك الغور محمد بن علاء الدين

قد تقدم لنا أن محمد بن علاء الدين ملك الغور بعد أبيه، وأقام مملكاً عليها.

ثم سار سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بعد أن احتفل في الاحتشاد وجمع العساكر، وقصد بلخ وهي يومئذ للغز فزحفوا إليه.

وجاءهم بعض العيون بأنه خرج من معسكره لبعض الوجوه في خف من الجند، فركبوا لاعتراضه، ولقوه فقتلوه في نفر من أصحابه، وأسروا منهم آخرين، ونجا الباقون إلى المعسكر فارتحلوا هاربين إلى بلادهم، وتركوا معسكرهم بما فيه فغنمه الغز وانقلبوا إلى بلخ ومروا ظافرين غانمين.

الفتنة بين الغورية وبين خوارزم شاه على ما ملكوه من بلاد خراسان

قد تقدم لنا أن غياث الدين وشهاب الدين ابني أبي الفتح سام بن الحسين الغوري رجعا إلى خراسان سنة سبع وأربعين وخمسمائة فملكا هراة وبوشنج وباذغيس وغيرها، وذلك عند انهزام سنجر أمام الغز، وافترق ملكه بين أمرائه ومواليه فصاروا طوائف، وأظهرهم خوارزم شاه بن أنس بن محمد بن أنوشرتكين صاحب خوارزم.

فلما كان سنة خمس وسبعين وخمسمائة قام بأمره ابنه سلطان شاه، ونازعه أخوه علاء الدين تكش فغلبه على خوارزم، وخرج سلطان شاه إلى مرو فملكها من يد الغز، ثم أخرجوه منها فاستجاش بالخطا وأخرجهم من مرو وسرخس ونسا وأبيورد، وملكها جميعاً، وصرف الخطا إلى بلادهم.

وكتب إلى غياث الدين أن ينزل له عن هراة وبوشنج وباذغيس وما ملكه من خراسان وهدده على ذلك فراجعه بإقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من خراسان، فامتعض لذلك سلطان شاه وسار إلى بوشنج فحاصرها وعاث في نواحيها.

وجهز غياث الدين عساكره مع صاحب سجستان وابن أخته بهاء الدين سام بن بامیان لغيبة أخيه شهاب الدين في الهند، فساروا إلى خراسان، وكان سلطان شاه يحاصر هراة فخام عن

لقائهم ورجع إلى مرو، وعاث في البلاد في طريقه، وأعاد الكتاب إلى غياث الدين بالتهديد فاستقدم أخاه شهاب الدين من الهند، فرجع مسرعاً، وساروا إلى خراسان.

وجمع سلطان شاه جموعاً ونزل الطالقان، وترددت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح إلى الصلح بالنزول له عن بوشنج وبادغيس، وشهاب الدين يجنح إلى الحرب، وغياث الدين يكفهم.

وجاء رسول سلطان شاه لإتمام العقد، فقام شهاب الدين العلوي وقال: لا يكون هذا أبداً، ولا تصالحوه، وقام شهاب الدين ونادى في عسكره بالحرب، والتقدم إلى مرو الروذ.

وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه ودخل إلى مرو في عشرين فارساً، وبلغ الخبر إلى أخيه فسار لتعرضه عن جيحون وسمع سلطان شاه بتعرض أخيه له فرجع عن جيحون، وقصد غياث الدين فأكرمه وأكرم أصحابه، وكتب أخوه علاء الدين في رده إليه، وكتب إلى نائب هراة يتهدده، فامتعض غياث الدين لذلك، وكتب إلى خوارزم شاه بأنه مجير وشفيع له، ويطلب بلاده وميراثه من أبيه، ويضمن له الصلح مع أخيه سلطان شاه.

وطلب منه مع ذلك أن يخطب له بخوارزم، ويزوج أخته من شهاب الدين فامتعض علاء الدين لذلك، وكتب بالتهديد فسرح غياث الدين جميع عساكره مع سلطان شاه إلى خوارزم شاه، وكتب إلى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده، فجمع عساكره وقام في انتظارهم، وسمع بذلك علاء الدين تكش، وهو زاحف للقاء أخيه سلطان شاه، وعساكر الغورية، فخشي أن يخالفوه إلى خوارزم وكر إليها راجعاً.

واحتمل أمواله وعبر إلى الخطا وقدم فقهاء خوارزم في الصلح والصهر، ووعظه الفقهاء وشكوا إليه بأن علاء الدين يستجيش بالخطا، فإما أن تتخذ مرو كرسياً لك فتمنعنا منهم، أو تصالحه، فأجاب إلى الصلح، وترك معاوضة البلاد ورجع إلى كرسيه.

غزوة شهاب الدين إلى الهند وهزيمة المسلمين بعد الفتح ثم غزوته الثانية وهزيمة الهنود وقتل ملكهم وفتح أجمير

كان شهاب الدين قد سار سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة إلى الهند، وقصد بلاد أجمير وتعرف بولاية السواك، واسم ملكهم كوكه، فملك عليهم مدينة تبرندة ومدينة أسرستي وكوه رام، فامتعض الملك وسار للقاء المسلمين ومعه أربعة عشر فيلاً ولقيهم شهاب الدين في عساكر المسلمين، فانهزمت ميمنته وميسرته، وحمل على الفيلة فطعن منها واحداً، ورمي بحربة في ساعده فسقط عن فرسه، وقاتل أصحابه عليه، فخلصوه وانهزموا، ووقف الهنود بمكانهم ولما أبعد شهاب الدين عن المعركة نزف من جرحه الدم فأصابه الغشي، وحمله القوم على أكتافهم في محفة اتخذوها من اللبود ووصلوا به إلى لهاور، ثم سار منها إلى غزنة فأقام إلى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وخرج من غزنة غازياً لطلب الثأر من ملك الهند، ووصل إلى برساور وكان وجوه عسكره في سخطة منه منذ انهزموا عنه في النوبة الأولى، فحضروا عنده واعتذروا ووعدوا من أنفسهم الثبات، وتضرعوا في الصفح فقبل منهم، وصفح عنهم، وسار حتى انتهى إلى موضع المصاف الأول وتجاوزه بأربع مراحل، وفتح في طريقه بلاداً وجمع ملك الهند وسار للقائه فكر راجعاً إلى أن قارب بلاد الإسلام بثلاث مراحل، ولحقه الهنود قريباً من بربر فبعث شهاب الدين سبعين ألفاً من عسكره ليأتوا العدو، من ورائهم، وواعدهم هو الصباح، وأسرى هو ليلة فصابحهم فذهلوا، وركب الملك فرسه للهروب فتمسك به أصحابه، فركب الفيل واستماتت قومه عنده، وكثر فيهم القتل، وخلص إليه المسلمون فأخذوه أسيراً، وأحضروه عند شهاب الدين.

فوقف بين يديه وجذبوا بلحيته حتى قبل الأرض، ثم أمر به فقتل ولم ينج من الهنود إلا الأقل، وغنم المسلمون جميع ما معهم وكان في جملة الغنائم الفيول.

ثم سار شهاب الدين إلى حصنهم الأعظم وهو أجمير ففتحه عنوة، وملك جميع البلاد التي تقاربه، وأقطعها كلها لمملوكه أيبك نائبه في دلهي وعاد إلى غزنة.

غزوة بناوس ومقتل ملك الهند ثم فتح بهنكر

كان شهاب الدين ملك غزنة قد أمر مملوكه قطب الدين أيبك خليفته على دلهي أن يغزو بلاد الهند من ناحيته، فسار فيها ودوخها وعاث في نواحيها.

وسمع ملك بناوس وهو أكبر ملوك الهند، وولايته من تخوم الصين إلى بلاد ملاوا طولاً، ومن البحر الأخضر إلى عشرة

أيام من لهاور عرضاً وأهل تلك البلاد من أيام السلطان محمود مقيمون على إسلامهم، فاستنفر معه مسلمون كانوا في تلك البلاد، فسار إلى شهاب الدين سنة تسعين وخمسمائة والتقوا على ماحون نهر كبير يقارب دجلة فاقتتلوا، ونزل الصبر.

ثم نصر اللّه المسلمين واستلحم الهنود، وقتل ملكهم، وكثر السبي في جواريهم والأسرى من أبنائهم، وغنموا منهم تسعين فيلاً، وهرب بقية الفيول وقتل بعضها.

ودخل شهاب الدين بلاد بناوس، وحمل من خزائنها ألفاً وأربعمائة حمل، وعاد إلى غزنة.

ثم سار سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة إلى بلاد الهند وحاصر قلعة بهنكر حتى تسلمها على الأمان، ورتب فيها الحامية.

وسار إلى قلعة كواكير، وبينهما خمس مراحل يعترضها نهر كبير فحاصرها شهراً حتى صالحوه على مال يحملونه، فحملوا إليه حمل فيل من الذهب، فرحل عنهم إلى بلاد أبي رسود فأغار ونهب وسبى وأسر، وعاد إلى غزنة ظافراً.

استيلاء الغورية على بلخ وفتنتهم مع الخطا بخراسان

كان الخطا قد غلبوا على مدينة بلخ وكان صاحبها تركياً اسمه ازبة يحمل إليهم الخراج كل سنة وراء النهر، فتوفي أزبة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكان بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود صاحب باميان من قبل خاله غياث الدين فسار إلى بلخ، وقطع الحمل للخطا، وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الإسلام بعد أن كانت في طاعة الكفار، فامتعض الخطا لذلك، واعتزموا على فتنة الغورية.

واتفق أن علاء الدين تكش صاحب خوارزم بعث إليهم يغريهم ببلاد غياث الدين.

وكان سبب ذلك أنه ملك الري وهمذان وأصفهان وما بينهما، وتعرض لعساكر الخليفة، وطلب الخطبة والسلطنة ببغداد مكان ملوك السلجوقية، فبعث الخليفة يشكوه إلى غياث الدين يقبح فعله وينهاه عن قصد العراق، ويتهدده بسلطان شاه وأخذ بلاده، فأنف من ذلك وبعث إلى الخطا يغريهم ببلاده، فجهز ملك الخطا جيشاً كثيفاً مع مقدم عساكره وعبروا النهر إلى بلاد الغور.

وسار علاء الدين تكش إلى طوس لحصارها، لأن غياث الدين عاجز عن الحركة بعلة النقرس، فعاثوا في بلاده ما شاء اللّه وحاصر الخطا بهاء الدين فاشتدت الحرب وثبت المسلمون.

وجاء المدد من عند غياث الدين، ثم حملوا جميعاً على الخطا فهزموهم إلى جيحون وألقى الكثير منهم أنفسهم في الماء، فهلك منهم نحو اثني عشر ألفاً، وعظم الأمر على ملك الخطا، وبعث إلى علاء الدين تكش صاحب خوارزم يطوقه الذنب ويطالبه بدية القتلى من أصحابه، وألزمه الحضور عنده، فبعث علاء الدين تكش يشكو ذلك إلى غياث الدين فرد جوابه باللوم على عصيان الخليفة، ودعا ذلك علاء الدين إلى الفتنة مع الخطا وانتزاعه بخارى من أيديهم كما يأتي في أخبارهم.

استيلاء الغورية على ملك خوارزم شاه بخراسان

ثم توفي علاء الدين تكش صاحب خوارزم وكان قد ملك بعض خراسان وبلاد الري والبلاد الجبالية، فولي بعده ابنه قطب الدين، ولقب علاء الدين بلقب أبيه، وولي علاء الدين أخاه علي شاه خراسان، وأقطعه نيسابور.

وكان هندوخان ابن أخيهما ملك شاه فخاف عمه فلحق بمرو، وجمع الجموع وبعث إليه عمه محمد العسكر مع جنقر التركي فهرب هندوخان، ولحق بغياث الدين مستنجداً به على عمه فأكرمه ووعده.

ودخل جنقر إلى مرو، وحمل منها ولدخان وأمه مكرمين إلى خوارزم وأرسل غياث الدين إلى صاحب الطالقان محمد بن خربك بأن يتهدد جنقر، فسار من الطالقان واستولى على مرو الروذ وبعث إلى جنقر يأمره بالخطبة بمرو لغياث الدين أو يفارقها، فأساء الجواب ظاهراً، واستأمن إلى غياث الدين سراً، ولما علم غياث الدين بذلك قوي طمعه في البلاد، وكتب إلى أخيه شهاب الدين بالمسير إلى خراسان، فسار من غزنة في عساكره في منتصف سنة ست وتسعين وخمسمائة ولما انتهى إلى الطالقان استحثه جنقر صاحب مرو للبلد، وأخبره بطاعته حتى إذا وصل إليه خرج في العساكر فقاتله، وهزمه شهاب الدين، وزحف بالفيلة إلى السور فاستأمن من جنقر وخرج إليه، وملك شهاب الدين مرو وبعث بالفتح إلى غياث الدين فجاء إلى مرو، وبعث جنقر إلى هراة مكرماً، وسلم مرو إلى هندوخان ابن ملك شاه المستنجد به، وأوصاه بالإحسان إلى أهلها.

وسار إلى سرخس فحاصرها ثلاثاً وملكها على الأمان،

وأرسل إلى علي شاه نائب علاء الدين محمد بن بنيسابور، وينذره الحرب إن امتنع من الطاعة فاستعد للحصار، وخربوا العمائر بظاهرها وقطعوا الأشجار، وحمل محمود بن غياث الدين فضايق البلد، وملك جانبها ورفع راية أبيه على السور.

وحمل شهاب الدين من الناحية الأخرى، فسقط السور بين يديه وملك البلد ونهب الجند عامتها.

ثم نادوا بالأمان ورفع النهب، واعتصم الخوارزميون بالجامع فأخرجهم أهل البلد إلى غياث الدين.

ثم سار إلى قهستان، فذكر له عن قرية في نواحيها أن أهلها إسماعيلية فدخلها وقتل المقاتلة وسبى الذرية، وخرب القرية، ثم سار إلى مدينة أخرى، ذكر له عنها مثل ذلك، وأرسل صاحب قهستان إلى غياث الدين يستغيثون من شهاب الدين ويذكرونه العهد، فأرسل غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين بالرجوع عنهم طوعاً أو كرهاً، ووصل الرسول بذلك فامتنع، فقطع طنب خيمته ورحل العسكر فرحل شهاب الدين كرهاً ورجع إلى غزنة.

فتح نهر واكد من الهند

لما رجع شهاب الدين من خراسان غاضباً من فعل أخيه، لم يعرج على غزنة، ودخل بلاد الهند غازياً سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وبعث في مقدمته مملوكه قطب الدين أيبك، ولقيه عساكر الهند دون نهر واكد فهزمهم أيبك، واستباحهم وتقدم إلى نهر واكد فملكها عنوة، وفارقها ملكها وجمع، ورأى شهاب الدين أنه لا يقوم بحمايتها إلا مقامه فيها؛ فصالح ملكها على مال يؤديه إليه عنها، ورجع إلى غزنة.

إعادة علاء الدين محمد صاحب خوارزم ما أخذه الغورية من خراسان

لما فصل الغورية عن خراسان وملكوا ما ملكوه منها، وسار شهاب الدين إلى الهند غازياً، بعث علاء الدين محمد صاحب خوارزم إلى غياث الدين يعاتبه على ما فعل في خراسان، ويطلب إعادة بلده، ويهدده باستدعاء عساكر الخطا، فصانعه في الخطا حتى قدم شهاب الدين فطمع بالمصانعة.

وبعث إلى نائبهم بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور، ويتهدده، فكتب إلى غياث الدين بذلك، ويميل أهل، نيسابور إلى عدوهم، فوعده النصر.

وسار إليه علاء الدين صاحب خوارزم آخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

فلما انتهى إلى نسا وأبيورد هرب هندوخان ابن أخيه، ولحق بغياث الدين في فيروزكوه وملك علاء الدين مدينة مرو وسار إلى نيسابور وحاصرها شهرين، فلما أبطأ عن نائبها المدد من غياث الدين استأمن لصاحب خورازم، وخرج إليه هو وأصحابه فأحسن إليهم، وطلب علاء الدين أن يسعى في الصلح بينه وبين غياث الدين وأخيه، فوعده بذلك، وسار إلى هراة فأقام بها ولم يمض إلى غياث الدين سخطه لتأخر المدد عنه.

واختص صاحب خوارزم الحسن بن حرميل من أعيان الغورية، واستحلفه أن يكون معه عند غياث الدين.

ثم سار إلى سرخس وبها الأمير زنكي، فحاصره أربعين يوماً، وتعددت بينهما حروب.

ثم بعث ابنه زنكي بأن يتأخر عن البلد قليلاً حتى يخرج هو وأصحابه، فتأخر بأصحابه، وخرج زنكي فشحن البلد بالأقوات والحطب، وأخرج من ضاق به الحصار، وتحصن فندم صاحب خوارزم على تأخره، وجهز عسكراً لحصاره ورجع.

فلما بعد سار محمد بن خربك من الطالقان، وأرسل إلى زنكي بأن يكبس العسكر الذي عليه.

ونذر بذلك أهل العسكر، فأفرجوا عن سرخس وخرج زنكي ولقي محمد بن خربك في مرو، وجبوا خراج تلك الناحية، وبعث إليهم صاحب خوارزم عسكراً من الثلاثة آلاف فارس فلقيهم محمد بن خربك في تسعمائة فهزمهم، وغنم معسكرهم، وعاد صاحب خوارزم إلى بلده وأرسل إلى غياث الدين في الصلح.

فأجابه مع أمير من أكابر الغورية اسمه الحسن بن محمد المرغني فقبض عليه صاحب خوارزم وحبسه.

ومرغن من قرى الغور.

حصار هراة

لما بعث صاحب خوارزم إلى غياث الدين في الصلح وجاء عند الحسن المرغني تبين عنه المغالطة فحبسه، وسار إلى هراة وحاصرها، وكان بها أخوان من خدمة السلطان شاه تكش، فكتبا إلى صاحب خوارزم ووعداه بالثورة له في البلد، وكانا يليان مفاتح الأبواب وأمور الحصار من داخل، فأطلع الأمير الحسن المرغني

المحبوس عند صاحب خوارزم على أمرهما، فبعث بذلك إلى أخيه بذلك عمر صاحب هراة فاعتقلهما.

وبعث غياث الدين العساكر مدداً لهراة مع ابن أخته ألب غازي فنزل على خمسة فراسخ منها، ومنع الميرة عن عسكر صاحب خوارزم فبعث صاحب خوارزم عسكراً إلى الطالقان للغارة عليها، فقاتلهم الحسن بن خربك فظفر بهم، ولم يفلت منهم أحد.

ثم سار غياث الدين في عساكره ونزل قريباً من هراة، فاعتزم صاحب خوارزم على الرحيل بعد حصار أربعين يوماً لهزيمة أصحابه بالطالقان، ومسير العساكر مع ألب غازي، ثم مسير غياث الدين، ثم توقعه عود شهاب الدين من الهند.

وكان قد وصل إلى غزنة منتصف ثمان وتسعين وخمسمائة فراسل أمير هراة وصالحه على مال حمله إليه، وارتحل عن البلد وبلغ الخبر شهاب الدين، وجاء إلى طوس وشتى بها عازماً على حصار خوارزم، فجاء الخبر بوفاة أخيه غياث الدين، فأثنى عزمه وسار إلى هراة.

وفاة غياث الدين وانفراد شهاب الدين بالملك

ثم توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام صاحب غزنة وبعض خراسان وفيروزكوه ولهاور ودهلي من الهند وكان أخوه شهاب الدين بطوس كما ذكرنا فسار إلى هراة، وأظهر وفاة أخيه، وجلس للعزاء، وخلف غياث الدين ابناً اسمه محمود، فلقب غياث الدين.

ولما سار شهاب الدين عن طوس استخلف بمرو الأمير محمد بن خربك، وبعث إليه صاحب خوارزم العساكر، فبيتهم ولم ينج منهم إلا القليل، وانفذ بالأساري والرؤوس إلى هراة وأعاد إليه صاحب خوارزم الجيوش مع منصور التركي، فلقيهم على عشرة فراسخ من مرو فهزموه وحاصروه خمسة عشر يوماً حتى استأمن إليهم وخرج فقتلوه.

وترددت الرسل بين شهاب الدين وصاحب خوارزم في الصلح فلم يتفق بينهما أمر.

ولما اعتزم شهاب الدين على العود إلى غزنة ولى على هراة ابن أخته ألب غازي وقلد علاء الدين محمد الغوري مدينة فيروزكوه وبلد الغور، وجعل إليه حرب خراسان وأمور المملكة وجاءه محمود ابن أخيه غياث الدين فولاه على بست وأسفرايين وتلك الناحية وأبعده عن الملك جملة.

وكانت لغياث الدين زوجة مغنية شغف بها وتزوجها، فقبض عليها شهاب الدين وضربها ضرباً مبرحاً وضرب ولدها غياث الدين وزوج أختها واستصفاهم وغربهم إلى بلاد الهند، وكانت بنت مدرسة ودفنت فيها أباها، فخربها ونبش قبورهم ورمى بعظامهم.

وكان غياث الدين ملكاً عظيماً مظفراً على قلة حروبه، فإنه كان قليل المباشرة للحروب، وكان ذا هيبة جواداً حسن العقيدة، كثير الصدقة، بنى بخراسان وغيرها المساجد والمدارس للشافعية، وبنى الخوانك في الطرق، وبنى على ذلك الأوقاف الكثيرة، وأسقط المكوس، وكان لا يتعرض إلى مال أحد، ومن مات ووارثه غائب دفعه إلى أمناء التجار من أهل بلده ليوصلوه إلى ورثته، فإن لم يجد تاجراً ختم عليه القاضي إلى أن يصل مستحقه، وإن كان لا وارث له تصدق عنه بماله.

وكان يحسن إلى أهل البلد إذا ملكها، ويفرض الأعطيات للفقهاء كل سنة من خزائنه، ويفرق الأموال على الفقراء، ويصل العلوية والشعراء.

وكان أديباً بليغاً بارع الخط ينسخ المصاحف ويفرقها في المدارس التي بناها.

وكان شافعي المذهب من غير تعصب لهم، ويقول: التعصب في المذاهب هلاك.

فتنة الغورية مع محمد بن تكش صاحب خوارزم وحصار هراة ثم حصارهم خوارزم وحروب شهاب الدين مع الخطا

لما هلك غياث الدين ملك أخوه شهاب الدين بعده، فطمع محمد بن تكش صاحب خوارزم في ارتجاع هراة.

وكان قد راسل شهاب الدين في الصلح فلم يتم وسار شهاب الدين عن غزنة إلى لهاور غازياً، فسار حينئذ محمد بن تكش إلى هراة منتصف سنة ستمائة، وحاصرها وكان بها ألب غازي ابن أخت شهاب الدين.

وطال حصارها إلى سلخ شعبان، وقتل بين الفريقين خلق: منهم رئيس خراسان المقيم يومئذ بمشهد طوس.

وكان الحسين بن حرميل من أعيان الغورية بجوربان وهو، فمكر بصاحب خوارزم، وأظهر له الموالاة وأشار بأن يبعث إليه فوارس يعطيهم بعض الفيلة.

وقعد لهم هو والحسين بن محمد المرغني بالمراصد، فاستلحموهم.

ثم مات ألب غازي وضجر صاحب خوارزم محمد من الحصار فارتحل إلى سرخس وحاصرها، وبلغت هذه الأخبار شهاب الدين ببلاد الهند، فكر راجعاً وقصد مدينة خوارزم، فأغذ محمد بن تكش السير من سرخس، ونزل أثقاله وسبقه إليها وقاتله الخوارزمية قتالاً شديداً وفتكوا فيه.

وهلك من الغورية جماعة: منهم الحسين بن محمد المرغني وأسر جماعة من الخوارزمية فأمر شهاب الدين بقتلهم.

ثم بعث خوارزم شاه إلى الخطا يستنجدهم أن يخالفوا شهاب الدين إلى بلاد الغورية فساروا إليها.

ولما سمع شهاب الدين كر راجعاً إلى البلاد، فلقي مقدمة عسكرهم بصحراء أيدخوي في صفر سنة إحدى وستمائة، فأوقع بهم وأثخن فيهم، وجاءت ساقتهم على أثر ذلك، فلم يكن لشهاب الدين بهم قبلٌ فانهزم، ونهبت أثقاله، وقتل الكثير من أصحابه، ونجا في الفل إلى أيدخوي وحاصروه حتى أعطاهم بعض الفيلة وخلص وكثر الإرجاف في بلاد الغور بهلكه، ووصل إلى الطالقان في سبعة نفر، وقد لحق بها نائبها الحسين بن حرميل ناجياً من الوقعة، فاستكثر له من الزاد والعلوفة وكفاه مهمه.

وكان مستوحشاً مع من استوحش من الأمراء بسبب انهزامهم عن شهاب الدين، فحمله شهاب الدين إلى غزنة تانيساً له، واستحجبه، ولما وقع الإرجاف بموت شهاب الدين جمع مولاه تاج الدين العسكر وجاء إلى غزنة طامعاً في ملكها، فمنعه مستحفظها فرجع إلى إقطاعه، وأعلن بالفساد، وأغرى بالخلج من الترك فكثر عيثهم.

وكان له مولى آخر اسمه أيبك فلحق بالهند عند نجاته من المعركة، وأرجف بموت السلطان واستولى على المتان، وأساء فيها السيرة.

فلما وصل خبر شهاب الدين جمع تاج الدين الذر - وهو مملوك اشتراه شهاب الدين - الناس من سائر النواحي ثم جمع شهاب الدين لغزو الخطا والثأر منهم.

حروب شهاب الدين مع بني كوكر والتزاهية

كان بنو كوكر هؤلاء موطّنين في الجبال بين لهاور والملتان معتصمين بها لمنعتها، وكانوا في طاعة شهاب الدين، يحملون إليه الخراج، فلما وقع الإرجاف بموته، انتقضوا وداخلوا صاحب جبل الجودي وغيره من أهل الجبال في ذلك وجاهروا بالعيث والفساد وقطع السابلة ما بين غزنة ولهاور وغيرها.

وبعث شهاب الدين إلى محمد بن أبي علي بلهاور والملتان يأمره بحمل المال بعد أن قتل مملوكه أيبك.

قال: ومهد البلاد فاعتذر بنو كوكر فبعث شهاب الدين مملوكه أيبك إلى بني كوكر يتهددهم على الطاعة، فقال كبيرهم: لو كان شهاب الدين حياً لكان هو المرسل إلينا، واستخفوا أمر أيبك، فعاد الرسول بذلك، فأمر شهاب الدين بتجهيز العساكر في قرى سابور.

ثم عاد إلى غزنة في شعبان سنة إحدى وستمائة ونادى بالمسير إلى الخطا.

ورجع بنو كوكر إلى حالهم من إخافة السابلة ودخل معهم كثير من الهنود في ذلك وخشي على انتقاض البلاد فأثنى عزمه عن الخطا وسار إلى غزنة، وزحف إلى جبال بني كوكر في ربيع الأول سنة اثنتين وستمائة ولما انتهى إلى قرى سابور أغذ السير وكبس بني كوكر في محالهم، وقد نزلوا من الجبال إلى البسيط يرومون اللقاء، فقاتلوه يوماً إلى الليل، وإذا بقطب الدين أيبك في عساكره منادين بشعار الإسلام فحملوا عليهم، وانهزموا وقتلوا بكل مكان.

واستنجوا بأجمة فأضرمت عليهم ناراً، وغنم المسلمون أهاليهم وأموالهم حتى بيع المماليك خمسة بدينار.

وقتل كبير بني كوكر الذي كان مملكاً عليهم، وقصد دانيال صاحب الجند الجودي، وسار إليها فأقام بها منتصف رجب، وهو يستنفر الناس.

ثم عاد نحو غزنة وأرسل بهاء الدين سام صاحب باميان بالنفير إلى سمرقند، وأن يتخذ الجسر لعبور العساكر.

وكان أيضاً ممن دعاه هذا الإرجاف إلى الانتقاض التزاهية وهم قوم من أهل الهند بنواحي قرى سابور، دينهم المجوسية ويقتلون بناتهم بعد النداء عليهن للتزويج، فإذا لم يتزوجها أحد

قتلوها، وتزوج المرأة عندهم بعدة أزواج.

وكانوا يفسدون في نواحي قرى سابور، ويكثرون الغارة عليها، وأسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغوري.

ثم انتقضوا عند هذا الإرجاف وخرجوا إلى حدود سوران ومكران، وشنوا الغارة على المسلمين فسار إليهم الخلخي نائب تاج الدين الذي بتلك الجهة، فأوقع بهم وأثخن فيهم وبعث برؤوس الأعيان منهم فعلقت ببلاد الإسلام وصلح أمر البلاد.

مقتل شهاب الدين الغوري وافتراق المملكة بعده

لما قضى شهاب الدين شأنه من بلاد الغور وأصلح ما كان بها من الفساد، ارتحل من لهاور عائداً إلى غزنة عازماً على قصد الخطا بعد أن استنفر أهل الهند وأهل خراسان، فلما نزل بدميل قريباً من لهاور طرق خيمته جماعة من الدعار فقتلوا بعض الحرس، وثار بهم الناس وذهل باقي الحرس بالهيعة فدخل منهم البعض على شهاب الدين وضربوه في مصلاه وقتلوه ساجداً، وقتلوا عن آخرهم أول شعبان سنة اثنتين وستمائة.

فيقال إن هذه الجماعة من الكوكرية الذين أحفظهم ما فعل بهم، ويقال من الإسماعيلية لأنهم كانوا غلوا منه، وكانت عساكره تحاصر قلاعهم.

ولما قتل اجتمع الأمراء عند وزيره مؤيد الدين خواجا سحتا، واتفقوا على حفظ المال إلى أن يقوم بالأمر من يتولاه من أهله، وتقدم الوزير إلى أمير العسكر بضبط العسكر، وحملت جنازة شهاب الدين في المحفة، وحملوا خزائنه، وكانت ألفين ومائتي حمل.

وتطاول الموالي مثل صونج صهر الذر وغيره إلى نهب المال، فمنعهم الأمراء الكبار، وصرفوا الجند الذين أقطاعهم عند قطب الدين أيبك ببلاد الهند أن يعودوا إليه، وساروا إلى غزنة متوقعين البيعة على الملك بين غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وبين بهاء الدين سام صاحب باميان ابن أخت شهاب الدين فيملك الخزانة والأتراك يريدون طريق سوران ليقربوا من فارس.

وكان هوى الوزير مؤيد الملك مع الأتراك، فلم يزل بالغورية حتى إذا وصلوا طريق كرمان ساروا عليها، ولقوا بها مشقة من غارات التتراهية واقعان وغيرهم.

ولما وصلوا إلى كرمان استقبلهم تاج الدين الذر ونزل عن فرسه، وقبل الأرض بين يدي المحفة.

ثم كشف عن وجهه فمزق ثيابه وأجد بالبكاء حتى رحمه الناس.

وكان شهاب الدين شجاعاً قرماً عادلاً كثير الجهاد، وكان القاضي بغزنة يحضر داره أربعة أيام في كل أسبوع، فيحكم بين الناس وأمراء الدولة ينفذون أحكامه، وإن رافع أحد خصمه إلى السلطان سمع كلامه ورده إلى القاضي، وكان شافعي المذهب.

قيام الذر بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين

كان تاج الدين الذر من موالي شهاب الدين وأخصهم به، فلما قتل طمع في ملك غزنة وأظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وأنه كتب إليه بالنيابة عنه بغزنة لشغله بأمر خوان.

وتسلم الخزائن من الوزير وسار إلى غزنة فدفن شهاب الدين بتربته في المدرسة التي أنشأها، وذلك في شعبان من سنة اثنتين وستمائة وأقام بغزنة.

مسير بهاء الدين سام إلى غزنة وموته وملك بهاء الدين ابنه بعده غزنة

كان بهاء الدين قد أقطع باميان ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود عندما ملكها، وأنكحه أخته فولدت ابناً هو سام، وكان له ابن آخر من امرأة تركية اسمه عباس، فلما مات ملك ابنه الأكبر عباس، فغضب غياث الدين وشهاب الدين لابن أختهما، وعزلوا عباساً وولوه مكانه على باميان، فعظم شأنه، وجمع الأموال، وترشح للملك بعد أخواله ليل أمراء الغز إليه بعد أخواله.

فلما قتل شهاب الدين كان في قلعة غزنة نائب اسمه أميردان فبعث ابنه إلى بهاء الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وابن حرميل عامل هراة بحفظ أعمالها، وإقامة الخطبة له بها والغورية والأتراك على ما ذكرناه من الاختلاف فسار في عساكره إلى غزنة ومعه ابنا علاء الدين وأمرهما جميعاً بالمسير إلى غزنة، وبلاد الهند.

فلما مات ثار ابناه في غزنة وخرج أمراء الغورية لغياث

الدين وتلقوهما والأتراك معهم مغلبين فملكوا البلد، ونزلوا دار السلطنة مستهل رمضان، من سنة اثنتين وستمائة، واعتزم الأتراك على منعهم، وعاد لهم الأمير مؤيد الملك لاشتغال غياث الدين منهم بابن حرميل عامل هراة فلم يرجعوا، ونبذوا إلى علاء الدين وأخيه العهد وآذنوهما بالحرب إن لم يرجعا، فبعثا إلى تاج الدين الذر، وهو بإقطاعه يستدعيانه ويرغبانه بالأموال والمراتب السلطانية والترغيب في الدولة.

استيلاء الذر على غزنة

كان الذر بكرمان لما بلغه مقتل شهاب الدين، تسلم الأموال والخزائن من الوزير، وأظهر دعوة غياث الدين ابن مولاه السلطان غياث الدين، وسار بهاء الدين سام من باميان كما ذكرنا، ومات في طريقه، وملك ابنه علاء الدين غزنة كما ذكرنا، واستعطف الأتراك وبعث إلى الذر يرغبه ويسترضيه فأبى من طاعته، وأساء الرد عليه.

وسار عن كرمان في عساكر كثيفة من الترك والخلخ والغز وغيرهم، وبعث إلى علاء الدين وأخيه بالنذير، فأرسل علاء الدين وزيره ووزير ابنه صلة إلى باميان وبلخ وترمذ ليحتشد العساكر، وبعث الذر إلى الأتراك الذين بغزنة بأن مولاهم غياث الدين.

واجتمعت جماعة الغورية والأتراك فالتقوا في رمضان، ونزع الأتراك إلى الذر فانهزم محمد بن حدورون وأسر.

ودخل عسكر الذر المدينة فنهبوا بيوت الغورية والباميانية.

واعتصم علاء الدين بالقلعة، وخرج جلال الدين في عشرين فارساً إلى باميان، وحاصر الذر القلعة حتى استأمن علاء الدين في المسير من غزنة إلى باميان ولما نزل من القلعة تعرض له بعض الأتراك فأرجلوه عن فرسه وسلبوه، فبعث إليه الذر بالمال والمركب والثياب، فوصل إلى باميان، فشرع في الاحتشاد.

وأقام الذر بغزنة يظهر طاعة غياث الدين، ويترحم على شهاب الدين، ولم يخطب له ولا لأحد.

وقبض على داود والي القلعة بغزنة، وأحضر القضاة والفقهاء، وكان رسول الخليفة مجد الدين أبو علي بن الربيع الشافعي مدرس النظامية ببغداد وفد على شهاب الدين رسولاً من قبل الخليفة، وأحضره الذر ذلك اليوم، وشاورهم بالجلوس على التخت والمخاطبة بالألقاب السلطانية، وأمضى ذلك.

واستوحش الترك حتى بكى الكثير منهم، وكان هناك جماعة من ولد ملوك الغور وسمرقند فأنفوا من خدمته، وانصرفوا إلى علاء الدين وأخيه في باميان، وأرسل غياث الدين محمود أن يصهر إليه في بنته بابنه فأبى من ذلك.

ثم جاء في عسكر من الغوريين من باميان، وأرسل غياث الدين وفرق في أهلها الأموال، واستوزر مؤيد الملك فوزر له على كره.

أخبار غياث الدين بعد مقتل عمه

لما قتل السلطان شهاب الدين، كان غياث الدين محمود ابن أخيه السلطان غياث الدين في أقطاعه ببست.

وكان شهاب الدين قد ولى على بلاد الغور علاء الدين محمد بن أبي علي من أكابر بيوت الغورية، وكان إمامياً غالياً، فسار إلى بيروزكوه يسابق إليها غياث الدين.

وكان الأمراء الغورية أميل إلى غياث الدين، وكذا أهل بيروزكوه، فلما دخل خوارزم دعا محمد المرغني ومحمد بن عثمان من أكابر الغورية، واستحلفهم على قتال محمد بن تكش صاحب خوارزم.

وأقام غياث الدين بمدينة بست ينتظر مآل الأمر لصاحب باميان لأنهما كان بينهما العهد من أيام شهاب الدين أن تكون خراسان لغياث الدين، وغزنة والهند لبهاء الدين صاحب باميان بعد موت شهاب الدين، فلما بلغه موت شهاب الدين دعا لنفسه، وجلس على الكرسي في رمضان سنة ثلاث وستمائة، واستخلف الأمراء الذين في أثره فأدركوه وجاؤوا به، وملك بيروزكوه وقبض على جماعة من أصحاب علاء الدين، ولما دخل بيروزكوه جاء إلى الجامع فصلى فيه.

ثم ركب إلى دار أبيه فسكنها وأعاد الرسوم، وقدم عليه عبد الجبار محمد بن العشير إلى وزير أبيه فاستوزره، واقتفى بأبيه في العدل والإحسان.

ثم كاتب ابن حرميل بهراة ولاطفه في الطاعة، وكان ابن حرميل لما بلغه مقتل السلطان بهراة خشي عادية خوارزم شاه، فجمع أعيان البلد وغيرهم، واستحلفهم على الإنجاد والمساعدة.

وقال القاضي وابن زياد: يحلف كل الناس إلا ابن غياث الدين، وينتظر عسكر خوارزم شاه، وشعر غياث الدين بذلك من بعض عيونه، فاعتزم على المسير إلى هراة.

واستشار ابن حرميل القاضي وابن زياد، فأشارا عليه بطاعة

غياث الدين على مكر ابن حرميل، وميله إلى خوارزم شاه، وحثه على قصد هراة ليكون ذلك حجة عليه ففعل، وبعث به مع ابن زياد.

ثم كاتب غياث الدين صاحب الطالقان وصاحب مرو يستدعيهما فتوقفوا عن إجابته.

فقال أهل مرو لصاحبها: إن لم تسلم البلد إلى غياث الدين وتتوجه وإلا سلمناك وقيدناك وأرسلناك إليه فاضطر إلى المجيء إلى فيروزكوه.

فخلع عليه غياث الدين ووفر له الإقطاع، وأقطع الطالقان لسونج مولى أبيه المعروف بأمير شكار.

استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان

كان الحسن بن حرميل نائب الغورية بهراة منتقضاً عليهم كما ذكرنا، ومداخلاً لخوارزم شاه في الباطن، واستدعى العساكر من عنده، وبعث ابن زياد يستوثق له من غياث الدين، وأقام يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.

ووصل ابن زياد بالولاية والخلع، فلم يثنه ذلك عما هو فيه من المكاذبة لهم.

ثم وصل عسكر خوارزم شاه فتلقاهم وأكرمهم.

وبلغه أن خوارزم شاه في أثرهم على أربع فراسخ من بلخ، فندم في أمره ورد إليه عسكره، وبلغ غياث الدين عسكر خوارزم شاه ووصولهم إلى هراة، فاستدعى ابن حرميل فقبض على أملاكه، ونكب أصحابه، ورد أقطاعه فاعتزم أهل هراة على القبض عليه، وكتب القاضي وابن زياد بذلك إلى غياث الدين.

ونمي الخبر إلى ابن حرميل فخشي على نفسه منهم، وأوهمهم أنه يكاتب غياث الدين وطلبهم في الكتاب مع رسوله، وأوصى الرسول أن يعدل إلى طريق خوارزم شاه.

ولحق بهم فردهم وأصبحوا على البلد لرابعة يوم من سفر الرسول فأدخلهم ابن حرميل البلد، وأمكنهم من أبوابها.

وقبض على ابن زياد وسمله، وأخرج القاضي فلحق بغياث الدين في بيروزكوه، ونمي الخبر بذلك إلى غياث الدين فاعتزم على المسير بنفسه، فبلغه سير علاء الدين صاحب باميان إلى غزنة فاقتصر عن ذلك وأقام ينتظر شأنه مع الذر.

وأما بلخ فإن خوارزم شاه لما بلغه مقتل شهاب الدين أطلق أسرى الغوريين الذين كانوا عنده، وخلع عليهم واستألفهم، وبعث أخاه علي شاه في العساكر إلى بلخ فقاتله عمر بن الحسين الغوري نائبها، ونزل منها على أربعة فراسخ.

وجاءه خوارزم شاه مدداً بنفسه آخر سنة اثنتين وستمائة فحاصرها، فاستمد عمر بن الحسين علاء الدين وجلال الدين من باميان، وشغلوا عنه بغزنة، فأقام خوارزم شاه محاصراً له أربعين يوماً، وكان عنده محمد بن علي بن بشير، وأطلقه في أسرى الغورية وأقطعه، فبعثه إلى عمر بن الحسين صاحب بلخ في الطاعة فأبى من ذلك، واعتزم خوارزم شاه على المسير إلى هراة، ثم بلغه ما وقع بين الذر وبين علاء الدين وجلال الدين، وأن الذر أسرهما، وأن عمر بن الحسين صاحب بلخ أبى ذلك، فأعاد عليه ابن بشير، فلم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى أطاع صاحب خوارزم، وخطب له، وخرج إليه فخلع عليه وأعاده إلى بلده في سلخ ربيع سنة ثلاث وستمائة ثم سار إلى جورقان ليحاصرها، وبها علي بن أبي علي فوقعت المراوضة بينهما.

ثم انصرف عن جورقان وتركها لابن حرميل، واستدعى عمر بن الحسين الغوري وصاحب بلخ فقبض عليه، وبعثه إلى خوارزم، ومضى إلى بلخ فملكها، وولى عليها جعفراً التركي ورجع إلى خوارزم.

استيلاء علاء الدين ثانياً على غزنة ثم انتزاع الذر إياها من يده

قد تقدم لنا استيلاء الذر على غزنة وإخراجه علاء الدين وجلال الدين منها إلى باميان، فأقاما بها شهرين، ولحق كثير من الجند بعلاء الدين صاحبهم، وأقام الذر بغزنة متوقفاً عن الخطبة لغياث الدين يروم الاستبداد، وهو يعلل الأتراك برجوع رسوله من عند غياث الدين مخافة أن ينفضوا عنه.

فلما ظفر بعلاء الدين وملك القلعة أظهر الاستبداد وجلس على الكرسي وجمع علاء الدين وجلال الدين العساكر وساروا من باميان إلى غزنة، وسرح الذر عساكره للقائهما فهزماها وأثخناها.

وهرب الذر إلى بلد كرمان واتبعه بعض العسكر فقاتلهم ودفعهم.

وسار علاء الدين وأخوه إلى غزنة وملكوها، وأخذوا خزانة

شهاب الدين التي كان الذر أخذها من يد الوزير مؤيد الدين عند مقدمه بجنازة شهاب الدين إلى كرمان كما مر.

ثم اعتزم علاء الدين وأخوه على العود إلى غزنة وأهلها متوقعون النهب من عسكرهم والفيء. وكان بينهم رسول الخليفة مجد الدين بن الربيع مدرس النظامية، جاء إلى شهاب الدين فقتل وهو عنده.

وأقام بغزنة فقصده أهل غزنة أن يشفع فيهم، فشفع وسكن الناس وعاد علاء الدين وأخوه إلى غزنة.

ثم وقع بينهما تشاجر على اقتسام الخزانة، وعلى وزارة مؤيد الملك فندم الناس على طاعتهما.

وسار جلال الدين ومعه عباس إلى باميان، وبقي علاء الدولة بغزنة، وأساء وزيره السيرة في الجند والرعية، ونهب الأموال حتى باعوا أمهات أولادهم.

ويشكون فلا يشكيهم أحد، فسار الذر في جموع الأتراك والغز والغورية، فكبسهم إيدكن الشرفي مولى شهاب الدين في ألفين وملك كرمان.

وجاء الذر إثر ذلك وأنكر على إيدكن وملك كرمان، وأحسن إلى أهلها.

وبلغ الخبر إلى علاء الدين بغزنة، فبعث وزيره إلى أخيه جلال الدين في باميان، وكانت عساكر الغورية قد فارقوه ولحقوا بغياث الدين، ووصل الذر آخر سنة اثنتين وستمائة إلى غزنة فملكها، وامتنع علاء الدين بالقلعة، فسكن الذر الناس وأمنهم، وحاصروا القلعة.

وجاء الخبر إلى الذر بأن جلال الدين قادم عليك بعساكره، ولحق سليمان بن بشير بغياث الدين ببيروزكوه فأكرمه، وجعله أمير داره، وذلك في صفر سنة ثلاث وستمائة وسار الذر فلقي جلال الدين وهزمه، وسيق أسيراً إليه، ورجع إلى غزنة وتهدد علاء الدين بقتل الأسرى إن لم يسلم القلعة.

وقتل منهم أربعمائة أسير فبعث علاء الدين يستأمنه، فأمنه.

ولما خرج قبض على وزيره عماد الملك وقتله، وبعث إلى غياث الدين بالفتح.

انتقاض عباس في باميان ثم رجوعه إلى الطاعة

لما أسر علاء الدين وجلال الدين كما قلناه في غزنة وصل الخبر إلى عمهما عباس في باميان ومعه وزير أبيهما.

وسار الوزير إلى خوارزم شاه يستنجده على الذر ليخلص صاحبيه، فاغتنم عباس غيبته وملك القلعة، وكان مطاعاً، وأخرج أصحاب علاء الدين وجلال الدين، فرجع الوزير من طريقه فحاصره بالقلعة، وكان مطاعاً في تلك الممالك من لدن بهاء الدين ومن بعده.

فلما خلص جلال الدين من أسر الذر، وصل إلى مدينة باميان واجتمع مع الوزير، وبعثوا إلى عباس ولاطفوه حتى نزل عما كان استولى عليه من القلاع، وقال: إنما أردت حفظها من خوارزم شاه.

استيلاء خوارزم شاه على ترمذ ثم الطالقان من يد الغورية

كان خوارزم شاه لما ملك بلخ من يد عمر بن الحسين الغوري سار منها إلى ترمذ وبها ابنه.

وقدم إليه محمد بن بشير بما كان من نزول أبيه عن بلخ، وأنه انتظم في أهل دولته.

وبعثه إلى خوارزم مكرماً، ورغبه بالإقطاع والمواعيد، وكان قد ضاق ذرعه من الخطا ووهن من أسر الذر أصحابه بغزنة، فأطاع واستأمن وملك خوارزم شاه ترمذ ورأى أن يسلمها للخطا ليتمكن بذلك من خراسان، ثم يعود عليهم فينتزعها منهم.

ولما فرغ من ذلك سار إلى الطالقان وبها سونج نائباً عن غياث الدين محمود، وأرسل من يستميله، فلج وسار لحربه حتى إذا التقيا نزل عن فرسه وسأل العفو فذمه بذلك، وأخذ ما كان بالطالقان بعض أصحابه، وسار إلى قلاع كاكوين وسوار، فخرج إليه حسام الدين علي بن أبي علي صاحب كاكوين وقاتله، وطالبه في تسليم البلاد فأبى، وسار خوارزم شاه إلى هراة ونزل بظاهرها وابن حرميل في طاعته، فكف عساكره عن أهل هراة، ولقيه هنالك رسول غياث الدين بالهدايا.

ثم سار ابن حرميل إلى أسفرايين في صفر، وقد كان صاحبها سار إلى غياث الدين فحاصرها حتى استأمن إليه وملك

البلد.

ثم أرسل إلى صاحب سجستان بطاعة خوارزم والخطبة له، فأجاب إلى ذلك بعد أن طلبه في ذلك غياث الدين فامتنع.

وعند مقام خوارزم شاه على هراة عاد إليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن حرميل أخرجه منها فلحق بشهاب الدين، ثم رجع من عنده إلى خوارزم شاه فسعى به ابن حرميل عنده حتى سجنه بقلعة زوزن، وولى على القضاء بهراة الصفي أبا بكر محمد بن السرخسي.

خبر غياث الدين مع الذر وأيبك مولى أبيه

لما ملك الذر غزنة وأسر علاء الدين وأخاه جلال الدين كتب إليه غياث الدين يأمره بالخطبة، وطاول في ذلك فبعث إليه يستحثه بأمر الخطيب بالترحم على شهاب الدين والخطبة لنفسه، فاستراب الأتراك به، وبعث هو يشترط على غياث الدين العتق فأجابه إلى ذلك بعد توقف.

وكان عزمه على أن يصالح خوارزم شاه ويستمده على الذر، فلما طلب العتق أعتقه، وأعتق قطب الدين أيبك مملوك عمه شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند.

وأرسل إلى كل منهما هدية ورد الخبر واستمر الذر على مراوغته وأيبك على طاعته، فاستمد غياث الدين خوارزم شاه على الذر فأمده على أن يرد ابن حرميل صاحب هراة إلى طاعته، وأن يقسم الغنيمة أثلاثاً بينهما وبين العسكر.

وبلغ الخبر إلى الذر فسار إلى بكتاباد فملكها، ثم إلى بست وأعمالها كذلك، وقطع خطبة غياث الدين منها، وأرسل إلى صاحب سجستان بقطع خطبة خوارزم شاه، وإلى ابن حرميل كذلك ويتهددهما، وأطلق جلال الدين صاحب باميان وزوجه بنته، وبعث معه خمسة آلاف فارس مع إيدكين مملوك شهاب الدين ليعيدوا جلال الدين إلى ملكه بباميان، وينزلوا ابن عمه.

فلما سار معه إيدكين أغراه بالعود إلى غزنة وأعلمه أن الأتراك مجمعون على خلاف الذر، فلم يجبه جلال الدين إلى ذلك فرجع عنه إيدكين إلى إقطاعه بكابل، ولقيه رسول من قطب الدين أيبك إلى الذر يتهدده على عصيانه على غياث الدين، ويأمره بالخطبة له، ووصل معه الهدايا والألطاف إلى غياث الدين.

وأشار عليه أيبك بإجابة خوارزم إلى جميع ما طلب حتى يفرغ من أمر غزنة.

وكتب إلى أيبك يستأذنه في المسير إلى غزنة ومحاربة الذر فأذن له بمحاربته، ووصل إيدكين في رجب سنة ثلاث وستمائة وخطب لغياث الدين بغزنة، وامتنعت عليه القلعة فنهب البلد، ووصل الخبر إلى الذر بشأن ايدكين في غزنة ومراسلة أيبك له ففت ذلك في عضده، وخطب لغياث الدين في بكتاباد وأسقط اسمه ورحل إلى غزنة فرحل ايدكين عنها إلى بلد الغور، وأقام في تموز، وكتب إلى غياث الدين بالخبر وأنفذ إليه أموالاً، فبعث إليه غياث الدين بالخلع وأعتقه وخاطبه بملك الأمراء.

وسار غياث الدين إلى بست وأعمالها فاستردها وأحسن إلى أهلها وأقام الذر بغزنة.

مقتل ابن حرميل واستيلاء خوارزم شاه على هراة

كان ابن حرميل كما قدمناه استدعى عسكر خوارزم شاه إلى هراة وأنزلهم معه بهراة، فساء أمرهم في الناس وكثر عيثهم فحبسهم، وبعث إلى خوارزم شاه بصنيعهم وبعده، وكان مشتغلاً بقتال الخطا، فكتب إليه يحسن فعله ويستدعي الجند الذين حبسهم.

وبعث إلى عز الدين خلدك أن يحتال في القبض على ابن حرميل، فسار في ألفي فارس، وكان خلدك أيام السلطان سنجر والياً على هراة، فلما قدم خرج ابن حرميل لتلقيه، فنزل كل واحد منهما إلى صاحبه، وأمر خلدك أصحابه بالقبض على ابن حرميل فقبضوا عليه، وانفض عنه أصحابه إلى المدينة، فأمر الوزير خواجه الصاحب بغلق الأبواب والاستعداد للحصار، ونادى بشعار غياث الدين محمود فحاصره خلدك وبذل له الأمان وتهدده بقتل ابن حرميل، وخاطبه بذلك ابن حرميل ففعل، وكتب بالخبر إلى خوارزم شاه فبعث ولاته بخراسان يأمرهم بحصار هراة، فساروا في عشرة آلاف وامتنعت هراة عليهم.

وكان ابن حرميل قد حصنها بأربعة أسوار محكمة وخندق، وشحنها بالميرة، وصار يعدهم إلى حضور خوارزم شاه، وأسروه أياماً حتى فادى نفسه ورجع إلى خوارزم كما يذكر في أخبار دولته، وأرجف بموته في خراسان فطمع أخوه علي في طبرستان، وكزل خان في نيسابور إلى الاستبداد بالملك، فلما وصل خوارزم شاه هرب أخوه علي شاه ولحق بشهاب الدين في بيروزكوه، فتلقاه وأكرمه، وسار خوارزم شاه إلى نيسابور وأصلح أمرها واستعمل عليها، وسار إلى هراة وعسكره على حصارها، وقيل للوزير قد

وصل خوارزم شاه لما وعدته.

وتحدث في ذلك جماعة من أهل البلد فقبض عليهم، ووقعت بذلك هيعة وشعر بها خوارزم شاه فزحف إلى السور وخرب برجين منه، ودخل البلد فملكه وقتل الوزير وولى على هراة من قبله، وذلك سنة خمس وستمائة ورجع إلى قتال الخطا.

مقتل غياث الدين محمود

لما ملك خوارزم شاه مدينة هراة وولى عليها خاله أمير ملك، وأمره أن يسير إلى بيروزكوه ويقبض على صاحبها غياث الدين محمود بن غياث الدين الغوري، وعلى أخيه علي شاه بن خوارزم شاه، فسار أمير ملك واستأمن له محمود فامنه وخرج إليه هو وعلي شاه فقبض عليهما أمير ملك وقتلهما، ودخل بيروزكوه سنة خمس وستمائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه.

استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها

ولما استولى خوارزم شاه على عامة خراسان وملك باميان وغيرها أرسل إلى تاج الدين الذر صاحب غزنة في الخطبة والسكة وأن يقرر الصلح على غزنة بذلك فشاور أهل دولته، وفيهم قطلوتكين من موالي شهاب الدين، وهو النائب عن الذر بغزنة، فأشار عليه بطاعته، وأعاد الرسول بالإجابة، وخطب له وسار عن غزنة متصدياً، وبعث قطلوتكين إلى خوارزم شاه سراً أن يبعث إليه من يسلمه غزنة، فجاء بنفسه وملك غزنة، وهرب الذر إلى لهاور.

ثم أحضر خوارزم شاه قطلوتكين وقتله بعد أن استصفاه وحصل منه على أموال جمة، وولى على غزنة ابنه جلال الدين، وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة ورجع إلى بلده.

استيلاء الذر على لهاور ومقتله

لما هرب الذر من غزنة أمام خوارزم شاه لحق بلهاور، وكان صاحبها ناصر الدين قباجة من موالي شهاب الدين وله معها ملتان وآمد والدبيل إلى ساحل البحر، وله من العسكر خمسة عشر ألف فارس، وجاءه الذر في ألف وخمسمائة فقاتله على التعبئة ومعه الفيلة، فانهزم الذر أولا، وأخذت فيوله.

ثم كانت له الكرة وحمل فيل له على علم قباجة بإغراء الفيال، وصدق هو الحملة فانهزم قباجة وعسكره، وملك الذر مدينة لهاور، ثم سار إلى الهند ليملك مدينة دهلي وغيرها من بلاد المسلمين، وكان قطب الدين أيبك صاحبها قد مات، ووليها بعده مولاه شمس الدين فسار إليه، والتقيا عند مدينة سمانا. واقتتلا، فانهزم الذر وعسكره وأسر فقتل.

وكان محمود السيرة في ولايته كثير العدل والإحسان إلى الرعية لاسيما التجار والغرباء.

وكان بملكه انقراض دولة الغورية والبقاء لله وحده.

الخبر عن دولة الديلم وما كان لهم من الملك والسلطان في ملة الإسلام ودولة بني بويه منهم المتغلبين على الخلفاء على العباسيين ببغداد وأولية ذلك ومصائره

قد تقدم لنا نسب الديلم في أنساب الأمم وأنهم من نسل ماذاي بن يافث، وماذاي معدود في التوراة من ولد يافث.

وذكر ابن سعيد ولا أدري عمن نقله: أنهم من ولد سام بن باسل بن آشور بن سام، وآشور مذكور في التوراة من ولد سام.

وقال: إن الموصل من جرموق بن آشور، والفرس والكرد والخزر من إيران بن آشور، والنبط والسوريان من نبيط بن آشور. وهكذا ذكر ابن سعيد والله أعلم.

والجيل عند كافة النسابين إخوانهم على كل قول من هذه الأقوال، وهم أهل جيلان جميعاً عصبية واحدة من سائر أحوالهم.

ومواطن هؤلاء الديلم والجيل بجبال طبرستان وجرجان إلى جبال الري وكيلان وحفافي البحيرة المعروفة ببحيرة طبرستان من لدن أيام الفرس وما قبلها، ولم يكن لهم ملك فيما قبل الإسلام.

ولما جاء الله بالإسلام وانقرضت دولة الأكاسرة واستفحلت دولة العرب وافتتحوا الأقاليم بالمشرق والمغرب والجنوب والشمال كما مر في الفتوحات، وكان من لم يدخل من الأمم في دينهم دان لهم بالجزية، وكان هؤلاء الديلم والجيل على دين المجوسية، ولم تفتح أرضهم أيام الفتوحات، وإنما كانوا يؤدون الجزية.

وكان سعيد بن العاص قد صالحهم على مائة ألف في السنة، وكانوا يعطونها وربما يمنعونها، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، وكانوا يمنعون الطريق من العراق إلى خراسان على قومس.

ولما ولي يزيد بن المهلب خراسان سنة ست وثمانين

للهجرة، ولم يفتح طبرستان ولا جرجان، وكان يزيد بن المهلب يعيره بذلك إذا قصت عليه أخباره في فتوحات بلاد الترك ويقول: ليست هذه الفتوح بشيء، والشأن في جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور، فلما ولاه سليمان بن عبد الملك خراسان سنة تسع وتسعين، أجمع على غزوها ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومحاصر، يقوم الرجل على باب منها فيمنعه، وكانت طبرستان مدينة وصاحبها الأصبهبذ.

ثم سار إلى جرجان مولاه فراسة، وسار الهادي إليهما وحاصرهما حتى استقاما على الطاعة.

ثم بعث المهدي سنة ثمان وتسعين يحيى الحرشي في أربعين ألفاً من العساكر فنزل طبرستان وأذعن الديلم.

ثم لحق بهم أيام الرشيد يحيى بن عبد الله بن حسن المثنى فأجاروه، وسرح الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي لحربهم، فسار إليهم سنة خمس وتسعين ومائة فأجابوه إلى التمكين منه على مال شرطوه وعلى أن يجيء بخط الرشيد وشهادة أهل الدولة من كبار الشيعة وغيرهم، فبذل لهم المال، وكتب الكتاب.

وجاء الفضل بيحيى فحبسه عند أخيه جعفر حسبما هو مذكور في أخباره.

وفي سنة تسع وثمانين ومائة كتب الرشيد وهو بالري كتاب الأمان لسروين بن أبي قارن ورنداهرمز بارخشان صاحب الديلم، وبعث بالكتاب مع حسن الخادم إلى طبرستان فقدم بارخشان ورنداهرمز وأكرمهما الرشيد وأحسن إليهما، وضمن رنداهرمز الطاعة والخراج عن سروين بن أبي قارن.

ثم مات سروين وقام مكانه ابنه شهريار، ثم زحف سنة إحدى وثمانين ومائة عبد الله بن أبي خرداذبه وهو عامل طبرستان إلى البلاد والسيزر من بلاد الديلم، فافتتحها وافتتح سائر بلاد طبرستان، وأنزل شهريار بن سروين عنها.

وأشخص مازيار بن قارن ورنداهرمز إلى المأمون وأسر أبا ليلى ثم مات شهريار بن سروين سنة عشر ومائتين وقام مكانه ابنه سابور، فحاربه مازيار بن قارن بن رنداهرمز وأسره، ثم قتله.

ثم انتقض مازيار على المعتصم وحمل الديلم وأهل تلك الأعمال على بيعته كرهاً، وأخذ رهنهم وجبى خراجهم، وخرب أسوار آمل وسارية، ونقل أهلها إلى الجبال وبنى على حدود جرجان سوراً من طميس إلى البحر مسافة ثلاثة أميال وحصنه بخندق، وكانت الأكاسرة بنته سداً على طبرستان من الترك.

وقد نقل أهل جرجان إلى نيسابور وأملى له في انتقاضه الأفشين مولى المعتصم وكبير دولته، طمعه في ولاية خراسان بما كان يضطغن ابن طاهر صاحب خراسان، فدس إليه بذلك كتاباً ورسالة حتى امتعض.

وجهز عبد الله بن طاهر العساكر لحربه مع عمه الحسن ومولاه حيان بن جبلة.

وسرح المعتصم العساكر يردف بعضها بعضاً حتى أحاطوا بجباله من كل ناحية، وكان قارن بن شهريار أخو مازيار على سارية فدس إلى قواد ابن طاهر بالرجوع من كل ناحية، وكان قارن قد أتى إلى الطاعة والنزول لهم عن سارية على أن يملكوه جبال آبائه، وأسجل له ابن طاهر بذلك، فقبض على عمه قارن في جماعة من قواد مازيار، وبعث بهم فدخل قواد ابن طاهر جبال قارن وملكوا سارية.

ثم استأمن إليهم قوهيار أخو مازيار ووعدهم بالقبض على أخيه على أن يولوه مكانه، فأسجل له ابن طاهر بذلك، فقبض على أخيه مازيار، وبعث به إلى المعتصم ببغداد فصلبه، واطلع منه على دسيسة الأفشين مولاه فنكبه وقتله.

ووثب مماليك مازيار بقوهيار فثاروا منه بأخيه وفروا إلى الديلم، فاعترضتهم العساكر وأخذوا جميعاً، ويقال: إن الذي كان غدر بمازيار هو ابن عمه، كان يضطغن عليه عزله عن بعض جبال طبرستان، وكان مولاه ورأيه عن رأيه.

ثم تلاشت الدعوة العباسية بعد المتوكل وتقلص ظلها.

واستبد أهل الأطراف بأعمالهم وظهرت دعاة العلوية في النواحي إلى أن ظهر بطبرستان أيام المستعين الحسن بن زيد الداعي العلوي من الزيدية، وقد مر ذكره.

وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، وقد ولى على طبرستان عمه سليمان بن عبد الله بن طاهر فكان محمد بن أوس ينوب عنه مستبداً عليه فأساء السيرة، وانتقض لذلك بعض عمال أهل الأعمال ودعوا جيرانهم الديلم إلى الانتقاض.

وكان محمد بن أوس قد دخل بلادهم أيام السلم وأثخن فيها بالقتل والسبي، فلما استنجدهم أولئك الثوار لحرب سليمان ونائبه محمد بن أوس نزعوا لإجابتهم واستدعوا الحسن بن زيد من مكانه، وبايعوه جميعاً وزحفوا به إلى آمل فملكوها.

ثم ساروا إلى سارية فهزموا عليها سليمان وملكوها.

ثم استولى الحسن الداعي على طبرستان وكانت له ولأخيه

بعده الدولة المعروفة، كما هو معروف في أخبارهم، أقامت قريباً من أربعين سنة، ثم انقرضت بقتل محمد بن زيد.

ودخل الديلم الحسن الأطروش من ولد عمر بن زين العابدين وكان زيدي المذهب فنزل فيما وراء السعيد دوى إلى آمل، ولبث في الديلم ثلاث عشرة سنة وملكهم يومئذ حسان بن وهشوذان وكان يدعوهم إلى الإسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملكهم ما استطاع، فأسلم على يديه منهم خلق كثير، وبنى لهم المساجد، وزحف بهم إلى قزوين فملكها، وسالوس من ثغور المسلمين فأطاعوه، وملك آمل ودعاهم إلى غزو طبرستان وهي في طاعة ابن سامان فأجابوه وساروا إليها سنة إحدى وثلاثمائة.

وبرز إليها عاملها ابن صعلوك فهزمه الأطروش واستلحم سائر أصحابه، ولحق ابن صعلوك بالري، ثم سار إلى بغداد، واستولى الأطروش على طبرستان وأعمالها، وقد ذكرنا دولته وأخبارها في دول العلوية، وكان استظهاره على أمره بالديلم وقواده في حروبه وولاته على أعماله منهم.

ثم قتله جيوش السعيد بن سامان سنة أربع وثلاثمائة، ودال الأمر بين عقبه قواد الديلم كما هو مذكور في أخبارهم.

الخبر عن دولة الديلم وتغلبهم على أعمال الخلفاء بفارس والعراقين

كان للديلم جماعة من القواد بهم استظهر الأطروش وبنوه على أمرهم: منهم سرخاب بن وهشوذان أخو حسان، وهو معدود في ملوكهم، وكان صاحب جيش أبي الحسين بن الأطروش.

ثم أخوه علي، ولاه المقتدر على أصفهان.

ثم ليلى بن النعمان من ملوكهم أيضاً وكان قائداً للأطروش وولاه بعده صهره الحسن المعروف بالداعي الصغير على جرجان.

ثم ماكان بن كالي، وهو ابن عم سرخاب وحسان ابني وهشوذان، وولاه أبو الحسين بن الأطروش مدينة أستراباذ وأعمالها.

ثم كان دون هؤلاء جماعة أخرى من القواد فمنهم من أصحاب ماكان بن كالي أسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار بن بادر وأخوه وشمكير ولشكري.

ومن أصحاب مرداويج بنو بويه الملوك الأعاظم ببغداد والعراقين وفارس.

ولما تلاشت دولة العلوية واستفحل هؤلاء القواد بالاستبداد على أعقابهم في طبرستان وجرجان، وكانت خراسان عند تقلص الدولة العباسية على الأطراف قد غلب عليها الصفار وملكها من يد بني طاهر.

ثم نازعه فيها بنو سامان والداعي العلوي فأصبحت مشاعاً بينهم، ثم انفرد بها ابن سامان كل منهم يعطي طاعة معروفة للخلفاء، ومركز ابن سامان وراء النهر وخراسان في أطراف مملكتهم.

وزاد تقلص الخلافة عما وراءها، فتطاول ملوك الديلم هؤلاء قواد الدولة العلوية بطبرستان إلى ممالك البلاد، وتجافوا عن أعمال ابن سامان لقوة سورته واستفحال ملكه.

وساروا في الأرض يرومون الملك وانتشروا في النواحي، وتغلب كل منهم على ما دفع إليه من البلاد.

وربما تنازعوا بعضها فكانت لهم دون طبرستان وجرجان بلاد الري، وظفر بنو بويه منهم بملك فارس والعراقين، وحجر الخلفاء ببغداد فذهبوا بفضل القديم والحديث، وكانت لهم الدولة العظيمة التي باهى الإسلام بها سائر الأمم حسبما نذكر ذلك كله في أخبار دولتهم.

أخبار ليلى بن النعمان ومقتله

كان ليلى بن النعمان من قواد الديلم وكان أولاد الأطروش ينعتونه في كتابهم إليه المؤيد لدين اللّه المتصر لأولاد رسول اللّه ﷺ.

وكان كريماً شجاعاً قد ولاه الحسن بن القاسم الداعي الصغير على جرجان بعد الأطروش سنة ثمان وثلاثمائة، فسار من جرجان إلى الدامغان وهي في طاعة ابن سامان، وعليها مولاه قراتكين، فبرزوا إليه وقاتلوه فهزمهم وأثخن فيهم، وعاد إلى جرجان، فابتنى أهل الدامغان حصناً يمتنعون به.

وسار قراتكين إلى ليلى فبرز إليه من جرجان وقاتله على عشرة فراسخ فانهزم قراتكين وأثخن في عسكره، وسار إليه فارس مولى قراتكين فأكرمه وزوجه أخته وكثرت أجناده، وضاقت أمواله فأغراه أبو حفص القاسم بن حفص بنيسابور، وأمره الحسن الداعي بالمسير إليها فسار وملكها آخر ثمان وثلاثمائة وخطب بها للداعي.

وأنفذ السعيد نصر بن سامان عساكره من بخارى مع قواده حمويه بن علي ومحمد بن عبد الله البلغمي وأبو حفص بنيسابور وأبو الحسن صعلوك وسيجور الدواني، فقاتلوا ليلى بن النعمان عن طوس وهزموه، فلحق بآمل واختفى فيها، وجاءه بقراخان وأخرجه من الاختفاء وأنفذ بالخبر إلى حمويه، فأمره بقتله وتأمين أصحابه، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد، وذلك في ربيع سنة تسع وثلاثمائة، وبقي فارس غلام قراتكين بجرجان، وعاد قراتكين إلى جرجان فاستأمن إليه مولاه فارس فقتله قراتكين وانصرف عن جرجان.

أخبار سرخاب بن وهشوذان ومهلكه وقيام ماكان بن كالي بمكانه

كان سرخاب بن وهشوذان الديلمي من قواد الأطروش وبنيه، وبايع لأبي الحسن بن الأطروش الناصر بعد مهلك أبيه بطبرستان وأستراباذ وكان صاحب جيشه، ولما انصرف قراتكين عن جرجان بعد مهلك ليلى بن النعمان، سار إليها أبو الحسن بن الأطروش وسرخاب فملكوها، وأنفذ السعيد نصر بن سامان سنة عشر سيجور الدواني في أربعة آلاف فارس لقتاله، ونزل على فرسخين من جرجان وحاصرها أشهراً، ثم برزوا إليه، وأكمن لهم سيجور كميناً فتباطأ الكمين وانهزم سيجور واتبعه سرخاب.

ثم خرج الكمين بعد حين وانهزم أبو الحسن إلى أستراباذ وترك جرجان، واتبعه سرخاب في الفل بمخلفه ومخلف أصحابه ورجع سيجور إلى جرجان فملكها.

ثم مات سرخاب ولحق ابن الأطروش بسارية فأقام بها واستخلف ماكان بن كالي وهو ابن عم سرخاب، فسار محمد بن عبيد الله البلغمي وسيجور لحصاره وأقاموا عليه طويلاً.

ثم بذلوا له مالاً على أن يخرج لهم عنها فتقوم لهم بذلك حجة عند ابن سامان ثم يعود ففعل ذلك، وخرج إلى سارية ثم نزل إلى الشمانية عن أستراباذ، وولوا عليها بقراخان فعاد إليها ماكان وملكها ولحق بقراخان بأصحابه في نيسابور.

بداية أسفار بن شيرويه وتغلبه على جرجان ثم طبرستان

كان أسفار هذا من الديلم من أصحاب ماكان بن كالي، وكان سيّئ الخلق صعب العشرة وأخرجه ماكان من عسكره فاتصل ببكر بن محمد بن اليسع في نيسابور وهو عامل عليها من قبل ابن سامان فأكرمه واختصه في العساكر سنة خمس عشرة وثلاثمائة لفتح جرجان وكان ما كان بن كالي يومئذ بطبرستان، وولى على جرجان أبا الحسن بن كالي، واستراب بأبي علي بن الأطروش فحبسه بجرجان فجعله عنده في البيت، وقام ليلة إليه ليقتله فأظفر الله العلوي به وقتله، وتسرب من الدار وأرسل من الغد إلى جماعة من القواد فجاؤوا إليه وبايعوه وألبسوه القلنسوة، وولى على جيشه علي بن خرشية وكاتبوا أسفار بن شيرويه بذلك وهو في طريقه إليهم، واستدعوه فاستأذن بكر بن محمد وسار إليهم، وسار علي بن خرشية في القيام بأمر جرجان بدعوة العلوي الذي معهم وضبط ناحيتها.

وسار إليهم ما كان بن كالي في العساكر من طبرستان وقاتلوه فهزموه واتبعوه إلى طبرستان فملكوها من يده وقاموا بها.

ثم هلك أبو علي الأطروش وعلي بن خرشية صاحب الجيش وانفرد أسفار بطبرستان وسار بكر بن محمد بن اليسع إلى جرجان فملكها وأقام فيها دعوة نصر بن سامان.

ثم رجع ماكان إلى طبرستان وبها أسفار فحاربه وغلبه، وملك طبرستان من يده ولحق أسفار بجرجان فأقام بها عند بكر بن اليسع إلى أن توفي بكر، فولاه السعيد على جرجان سنة خمس عشرة وثلاثمائة ثم ملك نصر بن سامان الري بولاية المقتدر وولى عليها محمد بن علي بن صعلوك فطرقه المرض في شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة.

وكاتب الحسن الداعي أسفار ملك جرجان بولاية نصر بن سامان، فاستدعى مرداويج بن زيار من ملوك الجبل وجعله أمير جيشه وسار إلى طبرستان فملكها.

استيلاء أسفار على الري واستفحال أمره

لما استولى أسفار على طبرستان ومرداويج معه، وكان يومئذ على الري وملكها من يد صعلوك كما ذكرناه.

واستولى على قزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ ومعه الحسن بن القاسم الداعي الصغير وهو قائم بدعوته.

فلما خالفه أسفار إلى طبرستان وملكها واستضافها إلى جرجان سار إليه ماكان والداعي والتقوا بسارية واقتتلوا، وانهزم ماكان وقتل الداعي، وكانت هزيمته بتخاذل الديلم عنه فإن الحسن

كان يشتد عليهم في النهي عن المنكر فنكروه، واستقدموا خال مرداويج من الجبل واسمه هزرسندان وكان مع أحمد الطويل بالدامغان، فمكروا بالداعي واستقدامه للاستظهار به، وهم يضمرون تقديمه عوض ماكان، ونصب أبي الحسن بن الأطروش عوض الحسن الداعي، ودس إليه بذلك أحمد الطويل صاحب الدامغان بعد موت صعلوك، فحذرهم حتى إذا قدم هزرسندان أدخله مع قواد الديلم إلى قصره بجرجان، ثم قبض عليهم وقتلهم جميعاً، وأمر أصحابه بنهب أموالهم، فامتعض لذلك سائر الديلم وأقاموا على مضض حتى إذا كان يوم لقائه أسفار خذلوه فقتل.

وفر ماكان واستولى أسفار على ما كان لهم من الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ واستضافها إلى طبرستان وجرجان، وأقام فيها دعوة السعيد بن سامان.

ونزل سارية واستعمل على الري هارون بن بهرام صاحب جناح، وكان يخطب فيها لأبي جعفر العلوي، فاستدعاه إليه وزوجه من آمل.

وجاء أبو جعفر لوليمته مع جماعة من العلويين فكبسهم أسفار وبعث بهم إلى بخارى فحبسهم بها إلى أن خلصوا مع يحيى أخي السعيد، وكانوا في فتية حسبما ذكرناه.

ولما فرغ أسفار من الري تطاول إلى قلعة الموت ليحصن بها عياله وذخيرته، وكانت لسياه جشم بن مالك الديلمي ومعناه الأسود العين، فاستقدمه أسفار وولاه قزوين، وساله في ذلك فأجابه فنقل عياله إليها وسرب الرجال إليهم لخدمتم حتى كملوا مائة.

ثم استدعاه فقبض عليه، وثار أولئك بالقلعة فملكوها، وكان في طريقه إلى الري استأمن إليه صاحب جبلي نهاوند وقم ابن أمير كان فملكها، ومر بسمنان فامتنع منه صاحبها محمد بن جعفر، وبعث إليه من الري بعض أصحابه فاستأمن إليه وخدعه حتى قتله وتدلى من ظهر القلعة.

ثم استفحل أمر أسفار وانتقض على السعيد بن سامان، وأراد أن يتوج ويجلس على سرير الذهب، واعتزم على حرب ابن سامان والخليفة، فبعث المقتدر العساكر إلى قزوين مع هارون بن غريب الحال فقاتله أسفار وهزمه.

ثم سار بن سامان إلى نيسابور لحربه، فأشار على أسفار وزيره مطرف بن محمد الجرجاني بمسالمته وطاعته، وبذل الأموال له فقبل إشارته.

وبعث بذلك إلى ابن سامان وتلطف أصحابه في رجوعه إلى ذلك فرجع وشرط عليه الخطبة والطاعة فقبل، وانتظم الحال بينهما ورجع إلى السطوة بأهل الري.

ولما كانوا عابوا عليه عسكر القتال ففرض عليهم الأموال وعسف بهم، وخص أهل قزوين بالنهب لما تولوا من ذلك، وسلط عليهم الديلم فضاقت بهم الأرض.

مقتل أسفار وملك مرداويج

كان مرداويج بن زيار من قواد أسفار وكان قد سئم عسفه وطغيانه كما سئمه الناس، وبعثه أسفار إلى صاحب سميران الطبر الذي ملك أذربيجان بعد ذلك يدعوه إلى طاعته، ففاوضه في أمر أسفار وسوء سيرته في الناس، واتفقا على الوثوب عليه به فأجابوه وفيهم مطرف بن محمد وزيره فسار هو وسلار إليه، وبلغه الخبر فثار به الجند فهرب إلى الري، وكتب إلى ماكان بن كالي بطبرستان يستألفه على أسفار فسار إليه ماكان فهرب أسفار من بيهق إلى بست، ثم دخل مفازة الري قاصداً قلعة الموت التي حصن بها أهله وذخيرته.

وتخلف عنه بعض أصحابه في المفازة، وجاء إلى مرداويج يخبره، فسار إليه وتقدم بين يديه بعض القواد فلقي أسفار وساله عن قواده، فأخبره أن مرداويج قتلهم فسر بذلك.

ثم حمله القائد إلى مرداويج فأراد أن يحبسه بالري فحذره بعض أصحابه غائلته، فأمر بقتله ورجع إلى الري ولما قتل أسفار تنقل مرداويج في البلاد يملكها، فملك قزوين، ثم الري، ثم همذان، ثم كنكور، ثم الدينور، ثم دجرد، ثم قم، ثم قاشان، ثم أصفهان، ثم جرباد، واستفحل ملكه وعتا وتكبر، وجلس على سرير الذهب، وأجلس أكابر قواده على سرير الفضة، وتقدم لعسكره بالوقوف على البعد منه، ونودي بالخطاب بينهم وبين حاجبه.

استيلاء مرداويج على طبرستان وجرجان

قد ذكرنا أن الألفة الواقعة بين مرداويج وماكان وتظاهرهما على أسفار حتى قتل وثبت مرداويج في الملك، واستفحل أمره فتطاول إلى ملك طبرستان وجرجان.

وسار إليهما سنة ست عشرة وثلاثمائة فانهزم ماكان أمامه واستولى مرداويج على طبرستان، وولى عليها اسفهسلان، وأمر على عسكره أبا القاسم، وكان حازماً شجاعاً.

ثم سار إلى جرجان فهرب عامل ماكان عنها وملكها مرداويج، وولى عليها صهره أبا القاسم المذكور خليفة عنه، ورجع إلى أصفهان ولحق أبو القاسم وهزمه، فرجع السائر إلى الديلم ولحق ماكان بنيسابور، واستمد أبا علي بن المظفر صاحب جيوش ابن سامان، فسار معه في عساكره إلى جرجان فهزمهما أبو القاسم ورجعا إلى نيسابور.

ثم سار ماكان إلى الدامغان فدفعه عنها أبو القاسم فعاد إلى خراسان.

استيلاء مرداويج على همذان والجبل وحروبه مع عساكر المقتدر

لما ملك مرداويج بلاد الري أقبلت الديلم إليه، فأفاض فيهم العطاء، وعظمت عساكره فلم تكفه جباية أعماله، وامتدت عينه إلى الأعمال التي تجاوره، فبعث إلى همذان سنة تسع عشرة جيشاً كثيفاً مع ابن أخته،، وبها محمد بن خلف وعسكر المقتدر، فاقتتلوا وأعان على همذان عسكر الخليفة فظفروا بعسكر مرداويج، وقتلوا ابن أخته، فسار إليهم مرداويج من الري وهرب عسكر الخليفة من همذان ودخلها عنوة، فأثخن فيهم واستلحمهم وسباهم، ثم أمنهم، وزحفت إليه عساكر المقتدر مع هارون بن غريب الحال فهزمهم بنواحي همذان، وملك بلاد الجبل وما وراء همذان، وبعث قائداً من أصحابه إلى الدينور ففتحها عنوة، وبلغت عساكره نحو حلوان، وامتلأت أيديهم من الذهب والسبي ورجعوا.

خبر لشكري في أصفهان

كان لشكري من الديلم ومن أصحاب أسفار، واستأمن بعد قتله إلى المقتدر، وصار في جند هارون بن غريب الحال.

ولما انهزم هارون أمام مرداويج سنة تسع عشرة وثلاثمائة، أقام في قرقلنين ينتظر مدد المقتدر، وبعث لشكري هذا إلى نهاوند يجبيه بمال منها، فتغلب عليها وجمع بها جنداً، ثم مضى إلى أصفهان في منتصف السنة وبها أحمد بن كيغلغ فحاربه وهزمه، وملك أصفهان، ودخل إليها عسكره، وأقام هو بظاهرها، فرأى لشكري فقصده يظنه من بعض جنده أي أحمد، فلما تراءى دافع أحمد بن كيغلغ عن نفسه فقتل وهرب أصحابه ورجع ابن كيغلغ إلى أصفهان.

استيلاء مرداويج على أصفهان

ثم بعث مرداويج عسكراً آخر إلى أصفهان سنة تسع عشرة فملكوها وجددوا له مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فنزلها وعكسره يومئذ أربعون أو خمسون ألفاً، ثم بعث عسكراً إلى الأهواز وخوزستان فملكوها وجبوا أعمالها، وبعث إلى المقتدر وضمن هذه البلاد بمائتي ألف دينار في كل سنة فقررت عليه، وأقطعه المقتدر همذان ورماه الكوفة.

قدوم وشمكير على أخيه مرداويج

وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة بعث مرداويج رسوله من الجند ليأتيه بأخيه وشمكير، فبعث إليه وأبلغه رسالة أخيه وأعلمه بمقامه في الملك، فاستبعد ذلك، ثم استغربه ونكر على أخيه مشايعته للمسودة، لأن الديلم والجيل كانوا شيعة للعلوية بطبرستان، فلم يزل الرسول به حتى سار به إلى أخيه، فخرج به إلى قزوين وألبسه السواد بعد مراوضة.

وقدم على أخيه بدوياً حافياً مستوحشاً فلم يكن إلا أن رهف الملك أعطافه فأصبح أرق الناس حاشية وأكثر الناس معرفة بالسياسة.

خبر مرداويج مع ابن سامان على جرجان

كان أبو بكر المظفر صاحب جيوش ابن سامان بخراسان قد غلب على جرجان وانتزعها من ملكه مرداويج، فلما فرغ مرداويج من أمر خوزستان والأهواز رجع إلى الري وسار منها إلى جرجان، فخرج ابن المظفر عن جرجان إلى نيسابور وبها يومئذ السعيد نصر بن سامان، فسار لمدافعة مرداويج عن جرجان، وكاتب محمد بن عبد الله البلغمي من قواد ابن سامان مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله.

وشعر بذلك فقتل وزيره وبعث إليه البلغمي يعذله في قصد جرجان، ويطوق ذلك بالوزير مطرف، ويذكره حقوق السعيد بن سامان قبله وقصور قدرته عنه، ويشير عليه بالنزول له عن جرجان وتقرير المال عليه بالري، فقبل مرداويج إشارته وعاد عن جرجان وانتظم الحال بينهما.

بداية أمر بني بويه

وكانوا إخوة ثلاثة أكبرهم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة الحسن، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد.

لقبهم بهذه الألقاب الخلفاء عندما ملكوا الأعمال، وقلدوهم إياها على ما نذكر بعد، وهم الذين تولوا حجر الخلفاء بعد ذلك ببغداد كما يأتي.

وأبوهم أبو شجاع بويه بن فناخس وللناس في نسبهم خلاف: فأبو نصر بن ماكولا ينسبهم إلى كوهي بن شيرزيك الأصغر ابن شيركوه بن شيرزيك الأكبر ابن سران شاه بن سيرقند بن سيسانشاه بن سير بن فيروز بن شروزيل بن سنساد بن هراهم جور، وبقية النسب مذكور في ملوك الفرس.

وابن مسكويه قال: يزعمون أنهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس.

والحق أن هذا النسب مصنوع تقرب إليهم به من لا يعرف طبائع الأنساب في الوجود، ولو كان نسبهم ذا خلل في الديلم لم تكن لهم تلك الرياسة عليهم، وإن كانت الأنساب قد تتغير وتخفى وتنتقل من شعب إلى شعب ومن قوم إلى قوم فإنما هو بطول الأعصار وتناقل الأجيال واندراس الأزمان والأحقاب.

وأما هؤلاء فلم يكن بينهم وبين يزدجرد وانقطاع الملك من الفرس إلا ثلاثمائة سنة، فيها سبعة أجيال أو ثمانية أجيال ميزت فيها أنسابهم وأحصيت أعقابهم فكيف يدرك مثل هذه الأنساب الخفاء في مثل هذه الأعصار.

وإن قلنا كان نسبهم إلى الفرس ظاهراً منع ذلك من رياستهم على الديلم فلا شك في هذه التقادير في ضعة هذا النسب والله أعلم.

وأما بدايتهم فإنهم كانوا من أوسط الديلم نسباً وحالا.

وفي أخبارهم أن أباهم أبا شجاع كان فقيراً، وأنه رأى في منامه أنه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة فاستضاءت الدنيا بها، فاستطالت وارتفعت إلى السماء، ثم افترقت ثلاث شعب ومن كل شعب عدة شعب فاستضاءت الدنيا بها والناس خاضعون لتلك النيران.

وإن عابراً عبر له الرؤيا بأنه يكون له ثلاثة أولاد يملكون الأرض، ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت النار، ويولد لهم ملوك بقدر الشعب.

وأن أبا شجاع استبعد ذلك واستنكره لما كانوا عليه من توسط الحال في المعيشة، فرجع المعبر إلى السؤال عن وقت مواليدهم فأخبروه بها، وكان منجماً فعدل طوالعهم وقضى لهم جميعاً فوعدوه وانصرف.

ولما خرج قواد الديلم لملك البلاد وانتشروا في الأعمال مثل ليلى وماكان وأسفار ومرداويج خرج مع كل واحد منهم جموع من الديلم رؤوس وأتباع، وخرج بنو أبي شجاع هؤلاء في جملة قواد ماكان، فلما اضطرب أمره وغلبه مرداويج عن طبرستان وجرجان مرة بعد مرة لحق آخراً بنيسابور مهزوماً فاعتزم بنو بويه على فراقه واستأذنوه في ذلك، وقالوا إنما نفارقك تخفيفاً عليك فإذا صلح أمرك عدنا إليك.

وساروا إلى مرداويج، وتبعتهم جماعة من قواد ماكان فقبلهم مرداويج، وقلد كل واحد منهم ناحية من نواحي الجبل، وقلد علي بن بويه كرمس وكتب لهم العهود بذلك.

وساروا إلى الري وبها يومئذ أخوه وشمكير ومعه وزيره الحسين بن محمد العميد والد أبي الفضل.

ثم بدا لمرداويج في ولاية هؤلاء القواد المستأمنة فكتب إلى أخيه وشمكير ووزيره العميد بردهم عن تلك الأعمال.

وكان علي بن بويه قد أسلف عند العميد يداً في بغلة فارهة عرضها للبيع، واستأمنها العميد فوهبها له فرعى له العميد هذه الوسيلة.

فلما قرأ كتاب مرداويج دس إلى ابن بويه بأن يغذ السير إلى عمله فسار من حينه.

وغدا وشمكير على بقية القواد، فاستعاد العهود من أيديهم، وأمر ابن بويه فأشار عليه أصحابه بترك ذلك لما فيه من الفتنة فتركه.

ولاية عماد الدولة بن بويه على كرج وأصفهان

ولما وصل عماد الدولة إلى كرج ضبط أمورها وأحسن السياسة في أهلها وأعمالها، وقتل جماعة من الخرمية كانوا فيها وفتح قلاعهم، وأصاب فيها ذخائر كثيرة فأنفقها في جنده فشاع ذكره وحمدت سيرته، وكتب أهل الناحية إلى مرداويج بالنبأ فغص، وجاء من طبرستان إلى الري وأطلق مالاً لجماعة من قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة وأحسن إليهم، فأقاموا عنده.

واستراب مرداويج فكتب إلى عماد الدولة في استدعائهم، فدافعه وحذرهم منه فحذروا.

ثم استأمن إليه سيراذ من أعيان قواد مرداويج، فكشف به جمعه وسار إلى أصفهان وبها المظفر بن ياقوت من قبل القاهر، في عشرة آلاف مقاتل، وعلى خراجها أبو علي بن رستم، فاستأذنهما في الانحياز إليهما، والدخول في طاعة الخليفة، فأعرضا عنه، ومات خلال ذلك ابن رستم وبرز ابن ياقوت من أصفهان لمدافعته، واستأمن إليه من كان مع ابن ياقوت من الجيل والديلم، ثم لقيه عماد الدولة في تسعمائة فهزمه وملك أصفهان.

استيلاء ابن بويه على أرجان وأخواتها ثم على شيراز وبلاد فارس

ولما بلغ خبر أصفهان إلى مرداويج اضطرب، وكتب إلى عماد الدولة بن بويه يعاتبه ويستميله، ويطلب منه إظهار طاعته، ويمده بالعساكر في البلاد والأعمال، ويخطب له فيها.

وجهز له أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبسه وهو مطمئن إلى تلك الرسالة، وشعر ابن بويه بالمكيدة فرحل عن أصفهان بعد أن جباها شهرين، وسار إلى أرجان وكان أبو بكر بن ياقوت من أصفهان والياً عليها، ففصل عنها.

ولما ملك ابن بويه أرجان كاتبه أهل شيراز يستدعونه إليهم، وعليهم يومئذ ياقوت عامل الخليفة، وثقلت وطأته عليهم وكثر ظلمه، فاستدعوا ابن بويه وخام عن المسير إليهم، فأعادوا إليه الكتاب بالحث على ذلك، وأن مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الأمر قبل أن يجتمعا، فسار إلى النوبندجان في ربيع سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وسبقته إليها مقدمة ياقوت في ألفين من شجعان قومه.

فلما وافاهم ابن بويه انهزموا إلى كرمان وجاءهم ياقوت هنالك في جميع أصحابه.

وأقام عماد الدولة بالنوبندجان، وبعث أخاه ركن الدولة الحسن إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس، فلقي هنالك عسكراً لياقوت فهزمهم وجبى تلك الأعمال ورجع إلى أخيه بالأموال.

ثم وقعت المراسلة بين مرداويج وياقوت في الصلح وسار وشمكير إليه عن أخيه فخشيهما عماد الدولة وسار من نوبندجان إلى اصطخر، ثم إلى البيضاء وياقوت في اتباعه.

وسبقه ياقوت إلى قنطرة على طريق كرمان فصده عن عبوره، واضطره للحرب، فتحاربوا واستأمن جماعة من أصحاب ابن بويه إلى ياقوت فقتلهم، فخشيه الباقون واستماتوا.

وقدم ياقوت أمام عسكره رجاله بقوار النفط، فلما أشعلوها وقذفت أعادتها الريح عليهم فعلقت بهم فاضطربوا، وخالطهم أصحاب ابن بويه في موقفهم وكانت الدبرة على ياقوت.

ثم صعد إلى ربوة ونادى في أصحابه بالرجوع، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس، وأراد الحملة عليهم لاشتغالهم بالنهب فقطنوا له، وتركوا النهب وقصدوه فانهزم واتبعوهم فأثخنوا فيهم.

وكان معز الدولة أحمد بن بويه من أشد الناس بلاء في هذه الحرب، ابن تسع عشرة سنة لم يطر شاربه.

ثم رجعوا إلى السواد فنهبوه وأسروا جماعة منهم، فأطلقهم ابن بويه وخيرهم، فاختاروا المقام عنده فأحسن إليهم، ثم سار إلى شيراز فأمنها ونادى بالمنع من الظلم، واستولى على سائر البلاد وعرفوه بذخائر في دار الإمارة وغيرها من ودائع ياقوت وذخائر بني الصفار، فنادى في الجند بالعطاء وأزاح عللهم، وامتلأت خزائنه، وكتب إلى الراضي وقد أفضت إليه الخلافة، وإلى وزيره أبي علي بن مقلة تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم فأجيب إلى ذلك، وبعثوا إليه بالخلع واللواء، وكان محمد بن ياقوت قد فارق أصفهان عند خلع القاهر وولاية الراضي، وبقيت عشرين يوماً دون أمير، فجاء إليها وشمكير وملكها، فلما وصل الخبر إلى مرداويج باستيلاء ابن بويه على فارس سار إلى أصفهان للتدبير عليه، وبعث أخاه وشمكير إلى الري.

استيلاء ماكان بن كالي على الري

قد ذكرنا في دولة بني سامان أن أبا علي محمد بن الياس كان سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بكرمان منتقضاً على السعيد، فبعث إليه في هذه السنة جيشاً كثيفاً فاستولى على كرمان، وأقام فيها الدعوة لابن سامان، وكان أصل محمد بن الياس من أصحاب السعيد فسخطه وحبسه ثم أطلقه بشفاعة البلغمي.

وبعث مع صاحب خراسان محمد بن المظفر إلى جرجان حتى إذا خرج أخوه السعيد من محبسهم، وبايعوا ليحيى منهم، كان محمد بن الياس معهم حتى تلاشى أمرهم، ففارقه ابن الياس من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية فأزاله عنها ماكان ولحق بالدينور وأقام ماكان والياً بكرمان بدعوة بني سامان.

مقتل مرداويج وملك أخيه وشمكير من بعده

لما استفحل أمر مرداويج كما قلنا عتا وتجبر وتتوج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى، وجلس على كرسي الذهب وأجلس أكابر قواده على كراسي الفضة، واعتزم على قصد العراق، وبنى المدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه.

وكان له جند من الأتراك، كان كثير الإساءة إليهم، ويسميهم الشياطين والمردة فثقلت وطأته على الناس، وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، إلى جبال أصفهان وكانوا يسمونها ليلة الوقود لما يضرم فيها من النيران.

فأمر بجمع الحطب على الجبل من أوله إلى آخره أمثال الجبال والتلال، وجمع ألفي طائر من الغربان والحدآت، وجعل النفط في أرجلها ليضرم الجبل ناراً حتى يضيء الليل.

واستكثر من أمثال هذا اللعب، ثم عمل سماطاً للأكل بين يديه فيه مائة فرس ومائتا بقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير، وما لا يحصى من أنواع الحلوى، وهيأ ذلك كله ليأكل الناس، ثم يقوموا إلى مجلس الشرب والندمان فتشعل النيران.

ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه، فاحتقره وسخط من تولى ترتيبه، ودخل خيمته مغضباً ونام، فأرجف القواد بموته فدخل إليه وزيره العميد وأيقظه، وعرفه بما الناس فيه، فخرج وجلس على السماط وتناول لقمتين ثم ذهب، وعاد إلى مكانه، فقام في معسكره بظاهر أصفهان ثلاثاً لا يظهر للناس.

ثم قام في اليوم الرابع ليعود إلى قصره بأصفهان فاجتمعت العساكر ببابه، وكثر صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثرة الضجيج، فازداد غضبه وسأل عن أصحاب الدواب، فقيل إنها للأتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدي الغلمان، فأمر أن تحل عنها السروج، وتجعل على ظهور الأتراك ويقودونهم إلى اصطبلات الخيل، ومن امتنع من ذلك ضرب، فأمسكوا ذلك على أقبح الهيئات، واصطنعوا ا ذلك عليه، واتفقوا على الفتك به في الحمام.

وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحمامه، فسخطه ذلك اليوم وطرده، فلم يتقدم إلى الحرس لمراعاته وداخلوا الخادم الذي يتولى خدمته في الحمام في أن يفقده سلاحه، وكان يحمل خنجراً فكسر حديد الخنجر وترك النصاب لمرداويج، فلم يجد له حداً فأغلق باب الحمام ودعمه من ورائه بسرير الخشب الذي كان صاعداً عليه، فصعدوا إلى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فانحجر في زوايا الحمام وكسروا الباب عليه وقتلوه.

وكان الذي تولى كبر ذلك جماعة من الأتراك، وهم تورون الذي صار بعد ذلك أمير الأمراء ببغداد، ويارق بن بقراخان ومحمود بن نيال الترجمان ويحكم الذي ولي إمارة الأمراء قبل تورون.

ولما قتلوه خرجوا إلى أصحابهم فركبوا ونهبوا قصر مرداويج وهربوا.

وكان الديلم والجيل بالمدينة فركبوا في أثرهم فلم يدركوا منهم إلا من وقفت دابته فقتلوهم، وعادوا لنهب الخزائن، فوجدوا العميد قد أضرمها ناراً.

ثم اجتمع الديلم والجيل وبايعوا أخاه وشمكير بن زيار وهم بالري، وحملوا معهم جنازة مرداويج، فخرج وشمكير وأصحابه لتلقيهما على أربع فراسخ حفاة، ورجع العسكر الذي كان بالأهواز إلى وشمكير واجتمعوا عليه، وتركوا الأهواز لياقوت فملكها، وقام وشمكير بملك أخيه مرداويج في الديلم والجيل، وأقام بالري، وجرجان في ملكه.

وكتب السعيد بن سامان إلى محمد بن المظفر صاحب خراسان، وإلى ماكان بن كالي صاحب كرمان بالمسير إلى جرجان والري، فسار ابن المظفر إلى قومس ثم إلى بسطام، وسار ماكان على المفازة إلى الدامغان واعترضه الديلم من أصحاب وشمكير في جيش كثيف فهزموهم ولحق بنيسابور آخر ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وجعلت ولايتها لماكان بن كالي فأقام بها.

وسار أبو علي بن الياس إلى كرمان بعد انصراف ماكان عنها فملكها وصفت له بعد حروب شديدة طويلة مع جيوش السعيد بن سامان، وكان له الظفر آخراً.

وأما الأتراك الذين قتلوا مرداويج فافترقوا في هزيمتهم فرقتين، فسارت فرقة إلى عماد الدولة بن بويه وهم الأقل، وفرقة إلى الجيل مع يحكم وهم الأكثر فجبوا خراج الدينور وغيره.

ثم ساروا إلى النهروان وكاتبوا الراضي في المسير إلى بغداد فأذن لهم واستراب الحجرية بهم، فردهم الوزير ابن مقلة إلى بلد الجيل وأطلق لهم مالاً فلم يرضوا به، فكاتبهم ابن رائق وهو يومئذ صاحب واسط والبصرة فلحقوا به، وقدم عليهم يحكم، فكاتب الأتراك من أصحاب مرداويج فقدم عليه منهم عدة وافرة، واختص يحكم وتولاه ونعته بالرائقي نسبة إليه، وأمره أن يرسمها

في كتابه.

مسير معز الدولة بن بويه إلى كرمان وهزيمته

لما ملك عماد الدولة بن بويه وأخوه ركن الدولة بلاد فارس والجيل، بعثا أخاهما الأصغر معز الدولة إلى كرمان خالصة له، فسار في العسكر إليها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة واستولى على السيرجان وكان إبراهيم بن سيجور الدواني قائد ابن سامان يحاصر محمد بن الياس بن اليسع في قلعته هنالك.

فلما بلغه خبر معز الدولة سار من كرمان إلى خراسان، وخرج محمد بن الياس من القلعة التي كان محاصراً بها إلى مدينة قم على طرف المفازة بين كرمان وسجستان فسار إلى جيرفت وهي قصبة كرمان. وجاء رسول علي بن أبي الزنجي المعروف بعلي بن كلونة أمير القفص والبلوص، كان هو وسلفه متغلبين على تلك الناحية ويعطون طاعتهم للأمراء والخلفاء على البعد ويحملون إليهم المال.

فلما جاء رسوله بالمال امتنع معز الدولة من قبوله إلا بعد دخول جيرفت، فلما دخل جيرفت صالحه وأخذ رهنه على الخطبة له.

وكان علي بن كلونة قد نزل بمكان صعب المسلك على عشرة فراسخ من جيرفت، فأشار على معز الدولة بعض أصحابه أن يغدر به ويكبسه ففعل ذلك، وأتى لعلي بن كلونة عيونه بالخبر، فأرصد جماعة لمعز الدولة بمضيق في طريقه، فلما مر بهم سارياً ثاروا به من جوانبه وقتلوا من أصحابه وأسروا وأصابته جراح كثيرة، وقطعت يده اليسرى من نصف الذراع، وأصابع يده اليمنى وسقط بين القتلى، وبلغ الخبر إلى جيرفت فهرب أصحابه منها، وجاء علي بن كلونة فحمله من بين القتلى إلى جيرفت وأحضر الأطباء لعلاجه، وكتب إلى أخيه عماد الدولة يعتذر ويبذل الطاعة فأجابه وأصلحه، وسار محمد بن الياس من سجستان إلى بلد خبابة فتوجه إليه معز الدولة وهزمه وعاد ظافراً، ومر بابن كلونة فقاتله وهزمه وأثخن في أصحابه، وكتب إلى أخيه عماد الدولة يخبره مع ابن الياس وابن كلونة، فبعث قائداً من قواده واستقدمه إليه بفارس فأقام عنده بإصطخر إلى أن قدم عليهم أبو عبد الله البريدي منهزماً من ابن رائق ويحكم المتغلبين على الخلافة ببغداد، فبعث عماد الدولة أخاه معز الدولة وجعل له ملك العراق عوضاً عن ملك كرمان كما يذكر بعد.

استيلاء ماكان على جرجان وانتقاضه على ابن سامان

قد ذكرنا انهزام ماكان على جرجان أيام بانجين الديلمي ورجوعه إلى نيسابور، فأقام بها ثم بلغ الخبر بهلك بانجين بجرجان فاستأذن ماكان محمد بن المظفر في الخروج لاتباع بعض أصحابه هرب عنه وطالبه به عارض الجيش فأذن له، وسار إلى أسفرايين وبعث معه جماعة من عسكره إلى جرجان فاستولى عليها.

ثم أظهر لوقته الانتقاض على ابن المظفر وسار إليه بنيسابور، فتخاذل أصحابه وهرب عنها إلى سرخس، وعاد عنها ماكان خوفاً من اجتماع العساكر عليه.

وذلك في رمضان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

الخبر عن دولة بني بويه من الديلم المتغلبين على العراقين وفارس والمستبدين على الخلفاء ببغداد من خلافة المستكفي إلى أن صاروا في كفالتهم وتحت حجرهم إلى انقراض دولتهم وأولية ذلك ومصائره

قد تقدم لنا التعريف ببني بويه وذكر نسبهم وهم من قواد الديلم الذين تطاولوا للاستيلاء على أعمال الخلفاء العباسيين، ولما لم يروا عنها مدافعاً ولا لها حامية فتنقلوا في نواحيها، وملك كل واحد منهم أعمالاً منها.

واستولى بنو بويه على أصفهان والري، ثم انعطفوا على بلاد فارس فملكوا أرجان وما إليها.

ثم استولوا على شيراز وأعمالها وأحاطوا بأعمال الخلافة بنواحي بغداد من شرقها وشمالها، وكانت الخلافة قد طرقها الإعلال، وغلب عليها الموالي والصنائع، وقد كان أبو بكر محمد بن رائق عاملاً بواسط، واضطرب حال الراضي ببغداد فاستقدمه وقلده إمارة الجيوش، ونعته أمير الأمراء.

وكان بنو البريدي في خوزستان والأهواز فغصبوا به، ووقعت الوحشة بينه وبينهم فبعث ابن رائق بدراً الخرشني ويحكم الذي نزع إليه أتراك مرداويج، فساروا في العسكر لقتال ابن البريدي، واستولوا على الأهواز سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ولحق ابن البريدي بعماد الدولة بن بويه لما ملك العراق، وسهل

عليه أمره.

وذلك عند رجوع أخيه معز الدولة من كرمان وامتناعها عليه كما ذكرناه فبعث معه العساكر.

استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز

لما لحق أبو عبد اللّه البريدي بعماد الدولة ناجياً من الأهواز، مستنجداً له، بعث أخاه معز الدولة في العساكر بعد أن أخذ منه ابنيه أبا الحسن محمداً وأبا جعفر الفياض رهناً.

وسار معز الدولة سنة ست وعشرين وثلاثمائة فانتهى إلى أرجان ويحكم جاء للقائهم، وانهزم أمامهم إلى الأهواز فأقام بها، وأنزل بها بعض عسكره في عسكر مكرم، فقاتلوا معز الدولة ثلاثة عشر يوماً ثم انهزموا إلى تستر، فرحل معز الدولة إلى عسكر مكرم، وأنفذ ابن البريدي خليفته إلى الأهواز.

ثم بعث إلى معز الدولة بأن ينتقل إلى السوس، ويبعد عنه فيؤمن له الأهواز فعزله وزيره أبو جعفر الصيمري، وغيره من أصحابه، وأروه أن البريدي يخادعه، فامتنع معز الدولة من ذلك، وبلغ اختلافهم إلى يحكم، فبعث عسكراً من قبله فاستولى على الناس وجند نيسابور وبقية الأهواز بيد ابن البريدي وعسكر مكرم بيد معز الدولة.

وضاق حال جنده وتحدثوا في الرجوع إلى فارس فواعدهم لشهر، وكتب إلى أخيه عماد الدولة بالخبر، فبعث إليه مدداً من العسكر، فعادوا واستولوا على الأهواز.

وسار يحكم من واسط فاستولى على بغداد وقلده الراضي إمارة الأمراء، وهرب ابن رائق فاختفى ببغداد.

انتزاع وشمكير أصفهان من يد ركن الدولة ومسيره إلى واسط ثم استرجاعه أصفهان

قد ذكرنا أن وشمكير المستولي بعد أخيه مرداويج على الري، وكان عماد الدولة استولى على أصفهان ودفعها إلى أخيه ركن الدولة فبعث إليها وشمكير سنة سبع وعشرين وثلاثمائة جيشاً كثيفاً من الري فملكوها من يده وخطبوا فيها لوشمكير.

ثم سار وشمكير إلى قلعة الموت فملكها، ورجع فلحق ركن الدولة بإصطخر، وجاءه هنالك رسول أخيه معز الدولة من الأهواز بأن ابن البريدي أنفذ جيشاً إلى السوس وقتل قائدها من الديلم، وأن الوزير أبا جعفر الصيمري كان على خراجها محتصراً بقلعة السوس، فسار ركن الدولة إلى السوس وهرب عساكر ابن البريدي بين يديه.

ثم سار إلى واسط ليستولي عليها لأنه قد خرج عن أصفهان وليس له ملك يستقل به، فنزل بالجانب الشرقي وسار الراضي ويحكم من بغداد لحربه، فاضطرب أصحابه، واستأمن جماعة منهم لابن البريدي فخام ركن الدولة عن اللقاء، ورجع إلى الأهواز فسار إلى أصفهان، وهزم عسكر وشمكير بها وملكها.

وكان هو وأخوه عماد الدولة بعثا لابن محتاج صاحب خراسان يحرضانه على ماكان ووشمكير، واتصلت بينهم مودة.

مسير معز الدولة إلى واسط والبصرة

كان ابن البريدي بالبصرة وواسط قد صالح يحكم أمير الأمراء ببغداد، وحرضه على المسير إلى الجبل ليرجعها من يد ركن الدولة بن بويه، ويسير هو إلى الأهواز فيرتجعها من يد معز الدولة.

واستمد يحكم فأمده بخمسمائة رجل، وسار إلى حلوان في انتظاره.

وأقام ابن البريدي يتربص به، وينتظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها، وعلم يحكم بذلك فرجع إلى بغداد، ثم سار إلى واسط فانتزعها من يد ابن البريدي، وذلك لسنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وولي الخلافة المتقي، وكان ظل الدولة العباسية قد تقلص حتى قارب التلاشي والاضمحلال وتحكم على الدولة بعد مولاه ابن رائق وابن البريدي الذي كان يزاحمه في التغلب على الدولة، فبعث عساكره من البصرة إلى واسط، فسرح إليه يحكم العساكر مع مولاه تورون فهزمهم، وجاء يحكم على أثره، ولقيه خبر هزيمتهم، فاستقام أمره، وطفق يتصدى في تلك النواحي إلى أن عرض له بعض الأكراد ممن له عنده ثأر وهو منفرد عن عسكره فقتله، وافترق أصحابه فلحق جماعة من الأتراك بالشام، ومقدمهم تورون.

وولي الباقون عليهم يكسك مولى يحكم.

وكان الديلم عند مقتله قد ولوا عليهم باسوار بن ملك بن مسافر بن سلار وسلار جده صاحب شميران الطرم الذي داخل مرداويج في قتل أسفار وملك ابنه محمد بن مسافر بن سلار أذربيجان، فكانت له ولولده بها دولة.

ووقعت الفتنة بين الديلم والأتراك فقتله الأتراك، وولى الديلم مكانه كورتكين، ولحقوا بابن البريدي فزحف بهم إلى بغداد.

ثم تنكروا واتفقوا مع الأتراك على طرده فلحقوا بواسط، واستفحل الديلم وغلبوا الأتراك وقتل كورتكين كثيراً من الديلم، واستبد بإمرة الأمراء ببغداد.

ثم جاء تورون من الشام بابن رائق وهزم كورتكين الديلم وقتل أكثرهم، وانفرد ابن رائق بإمرة الأمراء ببغداد سنة اثنتين وثلاثمائة.

وكان ابن البريدي في هذه الفترة بعد يحكم قد استولى على واسط، فبعث إليه ابن رائق واستوزره ففعل على أن يقيم بمكانه ويستخلف ابن شيرزاد ببغداد، ثم سار إليهم إلى واسط فهرب ابن رائق والمقتفي إلى الموصل، وتخلف عنهم تورون، وعاث أصحاب ابن البريدي في بغداد، فشكا له الناس.

ولما وصل المقتفي ولى ابن حمدان إمرة الأمراء بمكانه، وقصدوا بغداد فهرب، وخالفه تورون إلى المقتفي وابن حمدان وملكوا بغداد.

وسار سيف الدولة أمام ابن البريدي وخرج ناصر الدولة في اتباعه، فنزل المدائن وانكشف سيف الدولة أمام ابن البريدي حتى انتهوا إلى أخيه ناصر الدولة بالمدائن، فأمده ورجع فهزم ابن البريدي وغلبه على واسط فملكها، ولحق ابن البريدي بالبصرة وأقام سيف الدولة بواسط ينتظر المدد ليسير إلى البصرة. وجاءه أبو عبد الله الكوفي بالأموال، فشغب عليه الأتراك في طلب المال وثاروا به، ومقدمهم تورون، فهرب إلى بغداد وهم في اتباعه، وكان أخوه قد انصرف إلى بغداد، ثم إلى الموصل فلحق به، ودخل تورون بغداد وولي الأمر بها.

ثم استوحش من المقتفي وتربص مسيره إلى واسط لقتال ابن البريدي، وسار إلى الموصل سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ومعز الدولة بن بويه في أثناء هذا كله مقيم بالأهواز، مطل على بغداد وأعمال الخليفة يروم التغلب عليها، وأخوه عماد الدولة بفارس، وركن الدولة بأصفهان والري، فلما سار المقتفي من الرقة إلى تورون خلعه وسمله ونصب المكتفي.

وقد قدمنا هذه الأخبار كلها مستوعبة في أخبار الدولة العباسية وإنما أعدناها توطئة لاستيلاء بني بويه على بغداد واستبدادهم على الجلالقة.

ثم عاد معز الدولة إلى واسط سنة ثلاث وثلاثين فسار تورون والمستكفي لدفاعه، ففارقها وعاد إلى الأهواز.

استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانه

ثم إن تورون في فاتح سنة أربع وثلاثين عقد الأتراك الرياسة عليهم لابن شيرزاد، وولاه المستكفي إمرة الأمراء في الأرزاق، فضاقت الجبايات على العمال والكتاب والتجار، وامتدت الأيدي إلى أموال الرعايا، وفشا الظلم وظهرت اللصوص، وكبسوا المنازل وأخذ الناس في الجلاء عن بغداد.

ثم استعمل ابن شيرزاد على واصل نيال كوشه، وعلى تكريت الفتح اليشكري فانتقضا، وسار الفتح لابن حمدان فولاه على تكريت من قبله وبدعوته، وبعث نيال كوشه إلى معز الدولة وقام بدعوته.

واستدعاه لملك بغداد فزحف إليها في عساكر الديلم، ولقيه ابن شيرزاد والأكراد فهزمهم، ولحقوا بالموصل وأخفى المستكفي وقدم معز الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبي إلى بغداد فدخلها، وظهر الخليفة من الاختفاء، وحضر عند المهلبي فبايع له عن معز الدولة أحمد بن بويه، وعن أخويه عماد الدولة وركن الدولة الحسن وولاهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الألقاب ورسمها على سكته.

ثم جاء معز الدولة إلى بغداد فملكها وصرف الخليفة في حكمه، واختص باسم السلطان، وبعث إليه أبو القاسم البريدي صاحب البصرة فضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها.

خلع المستكفي وبيعة المطيع وما حدث في الجباية والإقطاع

وبعد أشهر قلائل من استيلاء معز الدولة على بغداد نمي إليه أن المستكفي يريد الإدالة منه فتنكر له، وأجلسه في يوم مشهود للقاء وافد من أصحاب خراسان، وحضر معز الدولة في قومه وعشيرته، وأمر رجلين من نقباء الديلم بالفتك بالخليفة، فتقدما ووصلاه ليقبلا يد المستكفي، ثم جذباه عن سريره وقاداه ماشياً واعتقلاه بداره، وذلك في منتصف أربع وثلاثين وثلاثمائة فاضطرب الناس وعظم النهب، ونهبت دار الخلافة.

وبايع معز الدولة للفضل بن المقتدر ولقبه المطيع لله،

وأحضر المستكفي فأشهد على نفسه بالخلع، وسلم على المطيع بالخلافة، وسلب الخليفة من معاني الأمر والنهي وصيرت الوزارة إلى معز الدولة يولى فيها من يرى.

وصار وزير الخليفة مقصور النظر على إقطاعه ومقتات داره، وتسلم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وأراضيه ولايةً وإقطاعاً حتى كان الخليفة يتناول الإقطاع بمراسم معز الدولة، وإنما ينفرد بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك، والجلوس للوفد وإجلال التحية والخطاب.

ويقومون مع ذلك بأوضاع القائم على الدولة وترتيبه.

وكان القائم منهم على الدولة تفرد في دولة بني بويه والسلجوقية بلقب السلطان ولا يشاركه فيه غيره، ومعاني الملك من القدرة والأبهة والعز وتصريف الأمر والنهي حاصل للسلطان دون الخليفة.

وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظاً مسلوبة عنه معنى.

ثم طلب الجند أرزاقهم بأكثر من العادة لتجدد الدولة فاضطر إلى ضرب المكوس، ومد الأيدي إلى أموال الناس، وأقطعت جميع القرى والضياع للجند، فارتفعت أيدي العمال وبطلت الدواوين لأن ما كان منها بأيدي الرؤساء لا يقدرون على النظر فيها، وما كان بأيدي الأتباع خرب بالظلم والمصادرات والحيف في الجباية وإهمال النظر في إصلاح القناطر وتعديل المشارب، وما خرب منها عوض صاحبه عنه بآخر، فيخربه كما يخرب الآخر.

ثم إن معز الدولة أفرد جمعها من المكوس والظلامات وعجز السلطان عن ذخيرة يعدها لنوائبه، ثم استكثر من الموالي ليعتز بهم على قومه، وفرض لهم الأرزاق والأقطاع فحدثت غيرة قومه من ذلك، وآل الأمر إلى المنافرة كما هو الشأن في الدول.

مسير ابن حمدان إلى بغداد وانهزامه أمام معز الدولة

ولما بلغ استيلاء معز الدولة على بغداد، وخلعه المستكفي إلى ناصر الدولة بن حمدان امتعض لذلك وسار من الموصل إلى بغداد في شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فقدم معز الدولة عساكره فأوقع بها ابن حمدان بعكبرا.

ثم سار معز الدولة ومعه المطيع إلى مدافعته ولحق به ابن شيرزاد فاستحثه إلى بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وخالفه معز الدولة إلى تكريت ونهبها، وتسابقوا جميعاً إلى بغداد، فنزل معز الدولة والمطيع بالجانب الشرقي وابن حمدان بالجانب الغربي، فقطع الميرة عن معسكر معز الدولة فغلت الأسعار وعزت الأقوات، ونهب عسكره مراراً فضاق به الأمر واعتزم على العود إلى الاهواز فأمر وزيره أبا جعفر الصيمري بالعبور في العساكر لقتال ابن حمدان فظفر به الصيمري وغنم الديلم أموالهم وظهرهم.

ثم أمن معز الدولة الناس وأعاد المطيع إلى داره في محرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ورجع ابن حمدان إلى عكبرا، وأرسل في الصلح سراً فنكر عليه الأتراك التورونية وهموا بقتله، وفر إلى الموصل ومعه ابن شيرزاد، ثم صالحه معز الدولة كما طلب.

ولما فر عن الأتراك التورونية أعلمهم تكين الشيرازي فقبضوا على من تخلف من أصحابه، وساروا في اتباعه وقبض هو في طريقه على ابن شيرزاد، وتجاوز الموصل إلى نصيبين فملكها تكين، وسار في اتباعه إلى السند، فلحقه هنالك عسكر من معز الدولة كما طلب، وأمده به مع وزيره أبي جعفر الصيمري، وقاتل الأتراك فهزمهم، وسار إلى الموصل هو والصيمري فدفع ابن شيرزاد إلى الصيمري وحمله إلى معز الدولة، وذلك سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

استيلاء معز الدولة على البصرة والموصل وصلحه مع ابن حمدان

وفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة انتقض أبو القاسم بن البريدي بالبصرة، فجهز معز الدولة الجيش إلى واسط ولقيهم جيش ابن البريدي في الماء وعلى الظهر، فانهزموا إلى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة.

ثم سار معز الدولة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة إلى البصرة ومعه المطيع كارهاً من قتال أبي القاسم البريدي، وسلكوا إليها البرية وبعث القرامطة يعذلون في ذلك معز الدولة، فكتب يتهددهم، ولما قارب البصرة استأمنت، إليه عساكر أبي القاسم، وهرب هو إلى القرامطة فأجاروه وملك معز الدولة البصرة ثم سار هو منها إلى الأهواز ليلقى أخاه عماد الدولة، وترك المطيع وأبا جعفر الصيمري بالبصرة، وانتقض على معز الدولة كوكير من أكابر الديلم، فقاتله الصيمري وهزمه وأسره، وحبسه معز الدولة بقلعة رامهرمز.

ثم لقي أخاه معز الدولة بأرجان في شعبان من السنة، وسلك في تعظيمه وإجلاله من وراء الغاية، وكان عماد الدولة يأمره بالجلوس في مجلسه فلا يفعل.

ثم عاد معز الدولة والمطيع إلى بغداد، ونودي بالمسير إلى الموصل فترددت الرسل من ابن حمدان في الصلح وحمل المال.

ثم سار إليه سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في شهر رمضان واستولى على الموصل، وأراد الإثخان في بلاد ابن حمدان فجاءه الخبر عن أخيه ركن الدولة بأن عساكر خراسان قصدت جرجان، واضطر إلى الصلح، واستقر الصلح بينهما على أن يعطي ابن حمدان عن الموصل، والجزيرة والشام ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة، ويخطب لعماد الدولة ومعز الدولة في بلاده، وعاد إلى بغداد.

استيلاء ركن الدولة على الري ثم طبرستان وجرجان ومسير عساكر ابن سامان إليها

قد تقدم لنا استيلاء ركن الدولة على أصفهان من يد وشمكير حين بعث عساكره مدداً لماكان بن كالي، وكان ركن الدولة وأخوه عماد الدولة بعثا إلى أبي علي بن محتاج قائد بني سامان يحرضانه على ماكان ووشمكير، ويعدانه المظاهرة عليهما، فسار أبو علي إلى وشمكير بالري ولقيه ركن الدولة بنفسه.

واستمد وشمكير ماكان فجاءه في عساكره والتقوا فانهزم وشمكير ولحق بطبرستان، ثم سار بعساكره إلى بلد الجبل فاقتحمها واستولى على زنجان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور إلى حدود حلوان، ورتب فيها العمال وجبى أموالها.

ثم وقع خلاف بين وشمكير والحسن بن الفيرزان ابن عم ماكان، واستنجد الحسن بأبي علي بن محتاج فأنجده حتى وقع بينهما صلح، وعاد أبو علي إلى خراسان وصحبه الحسن بن الفيرزان، ولقيه في طريقه رسل السعيد بن سامان، وأمر أبا علي بن محتاج سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بغدر الحسن بأبي علي ونهب سواده وعاد إلى جرجان فملكها وملك معها الدامغان وسمنان، وسار وشمكير من طبرستان إلى الري فاستولى عليها أجمع، وكان في قل من العسكر لفناء رجاله في حروبه مع أبي علي بن محتاج والحسن بن الفيرزان، فتطاول حينئذ ركن الدولة إلى الاستيلاء على الري، وسار إلى الري وقاتل وشمكير فهزمه، فلحق بطبرستان واستولى ركن الدولة على الري، وأجمع مخالصة الحسن بن الفيرزان وزوجّه ابنته، وتمسك بمواصلته ومودته واستفحل بذلك ملك بني بويه وامتنع وصارت لهم أعمال الري والجبل وفارس والأهواز والعراق، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار بكر، ثم سار ركن الدولة بن بويه إلى بلاد وشمكير سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومعه الحسن بن الفيرزان مدداً، ولقيهما وشمكير فانهزم أمامهما، ولحق بخراسان مستنجداً بابن سامان، وملك ركن الدولة طبرستان وسار منها إلى جرجان فأطاعه الحسن بن الفيرزان وولاه ركن الدولة عليها، واستأمن إليه قواد وشمكير ورجع إلى أصفهان.

بداية بني شاهين ملوك البطيحة أيام بني بويه

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة وكان يتصرف في الجباية، وحصل منها بيده مال فصرفه وهرب إلى البطيحة ممتنعاً من الدولة.

وأقام هنالك بين القصب والآجام يقتات بسمك الماء وطيره، ويأخذ الرفاق التي تمر به، واجتمع إليه لصوص الصيادين فقوي وامتنع على السلطان وتمسك بطاعة أبي القاسم بن البريدي بالبصرة فقلده حماية الجامدة وحماية البطائح ونواحيها، فعز جانبه وكثر جمعه وسلاحه، واتخذ معاقل على التلال بالبطيحة وغلب على تلك النواحي.

وأهم معز الدولة أمره وبعث وزيره أبا جعفر الصيمري في العساكر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وحصره، وأيقن بالهلاك وما نفس عن مخنقه إلا وصول الخبر بوفاة عماد الدولة بن بويه، ومبادرة الوزير الصيمري إلى شيراز، فعاد عمران إلى حاله وقوي أمره كما يأتي في أخبار دولته.

وفاة عماد الدولة بن بويه وولاية عضد الدولة ابن أخيه على بلاد فارس مكانه

ثم توفي عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز كرسي مملكة فارس في منتصف سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد أن كان طلب من أخيه ركن الدولة أن ينفذ إليه ابنه عضد الدولة، فتأخر ليوليه عهده إذ لم يكن له ولد ذكر، فأنفذه إليه ركن الدولة في جماعة من أصحابه لسنة بقيت من حياته.

وركب عماد الدولة للقائه ودخل به إلى داره في يوم مشهود، وأجلسه على السرير وأمر الناس أن يحيوه بتحية الملك.

وكان في قواد عماد الدولة جماعة أكابر لا يستكينون لعماد الدولة فضلاً عن عضد الدولة مكانه بفارس، واختلف عليه أصحابه، فجاء إليه ركن الدولة أبوه من الري بعد أن استخلف عليها علي بن كتامة، وكتب معز الدولة إلى وزيره الصيمري بأن يترك محاربة ابن شاهين ويسير إلى شيراز مدداً لعضد الدولة.

وأقام ركن الدولة في شيراز تسعة أشهر، وبعث إلى أخيه معز الدولة بهدية من الأموال والسلاح، وكان عماد الدولة هو أمير الأمراء وإنما كان معز الدولة نائباً عنه في كفالة الأموال وولاية أعمال العراق، فلما مات عماد الدولة انقلبت إمرة الأمراء إلى ركن الدولة، وبقي معز الدولة نائباً عنه كما كان عن عماد الدولة لأنه كان أصغر منهما.

وفاة الصيمري ووزارة المهلبي

كان أبو جعفر أحمد الصيمري وزير معز الدولة قد عاد من فارس إلى أعمال الجامدة، وأقام يحاصر عمران بن شاهين إلى أن هلك منتصف تسع وثلاثين وثلاثمائة وكان يستخلف بحضرة معز الدولة في وزارته أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي، فباشره معز الدولة وعرف كفايته واضطلاعه، فاستوزره مكان الصيمري فحسن أثره في جمع الأموال وكشف الظلامات وتقريب أهل العلم والأدب والإحسان إليهم.

مسير عساكر ابن سامان إلى الري ورجوعها

لما سار ركن الدولة إلى بلاد فارس بعث الأمير نوح بن سامان إلى منصور بن قراتكين صاحب جيوشه بخراسان أن يسير إلى الري، فسار إليها سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وكان بها علي بن كتامة خليفة ركن الدولة ففارقها إلى أصفهان وملك منصور الري، وبث العساكر في البلاد فملكوا الجبل إلى قرميس، واستولوا على همذان، وبعث ركن الدولة من فارس إلى أخيه معز الدولة بإنفاذ العساكر إلى مدافعتهم، فبعث سبكتكين الحاجب في جيش كثيف من الديلم وغيرهم، فكبسهم وأسر مقدمهم فأعادوا إلى همذان.

ثم سار إليهم ففارقوها، وملكها وورد عليه ركن الدولة بهمذان، فعدل منصور بن قراتكين إلى أصفهان فملكها، وسار إليها ركن الدولة وسبكتكين في مقدمته، وشغب عليه بعض الأتراك فأوقع بهم وترددوا في تلك الناحية.

وكتب معز الدولة إلى ابن أبي الشوك الكردي يتبعهم فقتل منهم وأسر، ونجا بعض إلى الموصل.

وترك ركن الدولة قريباً من أصفهان، وجرت بينه وبين منصور حروب، وضاقت الميرة على الفريقين إلا أن الديلم كانوا أصبر على الجوع وشظف العيش من أهل خراسان لقرب عهدهم بالبداوة.

ومع ذلك فهم ركن الدولة بالفرار لولا وزيره ابن العميد كان يثبته ويريه أنه لا يغني عنه، وأن الاستمانة أولى به فصبر، وشغب على منصور بن قراتكين جنده وانفضوا جميعاً إلى الري وتركوا مخلفهم بأصفهان، فاحتوى عليه ركن الدولة، وذلك فاتح سنة أربعين وثلاثمائة ومات منصور بن قراتكين بالري في ربيع الأول من السنة، ورجعت العساكر إلى نيسابور.

استيلاء ركن الدولة ثانياً على طبرستان وجرجان

قد كنا قدمنا استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان سنة ست وثلاثين، وثلاثمائة وأنه استخلف على جرجان الحسن بن الفيرزان.

وسار وشمكير إلى خراسان مستنجداً بابن سامان، فسار معه صاحب جيوش خراسان منصور بن قراتكين، وحاصر جرجان، فصالحه الحسن بن الفيرزان بغير رضاً من وشمكير لانحرافه عنه وعن الأمير نوح.

ورجع إلى نيسابور وأقام وشمكير بجرجان والحسن بزوزن.

ثم سار ركن الدولة سنة أربعين وثلاثمائة من الري إلى طبرستان وجرجان ففارقها وشمكير إلى نيسابور، واستولى ركن الدولة عليها، واستخلف بجرجان الحسن بن الفيرزان وعلي بن كتامة، وعاد إلى الري فقصدهما وشمكير وانهزما منه، واسترد البلاد من ركن الدولة، وكتب الأمير نوح يستنجده على ركن الدولة، فأمر أبا علي بن محتاج بالمسير معه في جيوش خراسان، فسار في ربيع سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وامتنع ركن الدولة ببعض معاقله، وحاربه أبو علي بن محتاج في جيوش خراسان حتى ضجرت عساكره وأظلهم فصل الشتاء، فراسل ركن الدولة في

الصلح على أن يعطيهم ركن الدولة مائتي ألف دينار في كل سنة، وعاد إلى خراسان وكتب وشمكير إلى الأمير نوح بأن ابن محتاج لم ينصح في أمر ركن الدولة، وأنه مخالع، فسخطه من أجل ذلك وعزله عن خراسان.

ولما عاد ابن محتاج عن ركن الدولة سار هو إلى وشمكير فانهزم وشمكير إلى أسفرايين، واستولى ركن الدولة على طبرستان.

إقامة الدعوة لبني بويه بخراسان

ولما عزل الأمير نوح أبا علي بن محتاج عن خراسان استعمل مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني، فانتقض حينئذ وخطب لنفسه بنيسابور، وتحيز عنه ابن الفيرزان مع وشمكير إلى الأمير نوح، فخام ابن محتاج عن عداوتهم، واستأذن ركن الدولة في المسير إليه.

ثم سار سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة فتلقاه بأنواع الكرامات وسأل منه ابن محتاج أن يقتضي له عهد الخليفة، بولاية خراسان، فبعث ركن الدولة في ذلك إلى أخيه معز الدولة ببغداد، وجاءه العهد والمدد، فسار إلى خراسان فخطب بها للخليفة وركن الدولة.

ثم مات نوح خلال ذلك وولي ابنه عبد الملك فبعث بكر بن مالك من بخارى إلى خراسان لإخراج ابن محتاج منها، فسار إليه وهرب ابن محتاج إلى الري فآواه ركن الدولة وأقام عنده، واستولى بكر بن مالك على خراسان.

ثم سار ركن الدولة إلى جرجان ومعه ابن محتاج فتركها وملكها، ولحق وشمكير بخراسان.

مسير عساكر ابن سامان إلى الري وأصفهان

ولما فرغ بكر بن مالك من أمر خراسان وأخرج منها ابن محتاج، وسار منها سنة أربع وأربعين وثلاثمائة في أتباعه إلى الري وأصفهان، وكان ركن الدولة غائباً بجرجان فملكها ورجع إلى الري في المحرم من السنة، وكتب إلى أخيه معز الدولة يستمده فأمده بالعساكر مع ابن سبكتكين، وجاء مقدمة العساكر من خراسان إلى أصفهان من طريق المفازة وبها الأمير منصور بن بويه بن ركن الدولة، ومقدم العساكر محمد بن ماكان فملك أصفهان وخرج في طلب ابن بويه، واتفق وصول الوزير أبي الفضل بن العميد فلقيه محمد بن ماكان فهزمه، وعاد أولاد ركن الدولة وحرمه إلى أصفهان.

وراسل ركن الدولة بكر بن مالك صاحب العساكر بخراسان في الصلح على مال يحمله إليه، وتكون الري وبلد الجبل في ضمانه، فأجابه بكر بن مالك إلى ذلك وصالحه عليه، وكتب ركن الدولة إلى أخيه معز الدولة بأن يبعث إلى بكر بن مالك خلعاً ولواء بولاية خراسان فبعث بها في ذي القعدة من السنة.

خروج روزبهان على معز الدولة وميل الديلم إليه

كان روزبهان ونداد خرشيد من كبار قواد الديلم، وكان معز الدولة قد رفعه ونوه بذكره، فخرج سنة خمس وأربعين بالأهواز ومعه أخوه أسفار، وخرج أخوه بلكا بشيراز.

ولما خرج روزبهان زحف إليه الوزير المهلبي لقتاله فنزع الكثير من أصحابه إلى روزبهان فانحاز عنه، وبعث بالخبر إلى معز الدولة فسار إليهم واختلف عليه الديلم ومالوا مع روزبهان وفصل معز الدولة من بغداد خامس شعبان من السنة قاصداً لحربه، وبلغ الخبر إلى ناصر الدولة بن حمدان، فبعث ابنه أبا الرجال في العساكر للاستيلاء على بغداد، فخرج الخليفة عنها منحدراً، وأعاد معز الدولة سبكتكين الحاجب وغيره لمدافعة ابن حمدان عن بغداد.

وسار إلى أن قارب الأهواز والديلم في شغب عليه وعلى عزم اللحاق بروزبهان إلا نفراً يسيراً من الديلم كانوا خالصة، فكان يعتمد عليهم وعلى الأتراك، وكان يفيض العطاء في الديلم فيمسكون عما يهمون به.

ثم ناجز روزبهان الحرب سلخ رمضان فانهزم وأخذ أسيراً، وعاد إلى بغداد إلى أبي الرجال بن حمدان، وكان بعكبرا فلم يجده لأنه بلغه خبر روزبهان فأسرع العود إلى الموصل ودخل معز الدولة بغداد وغرق روزبهان وكان أخوه بلكا الخارج بشيراز أزعج عنها عضد الدولة، وسار إليه أبو الفضل بن العميد وقاتله فظفر به، وعاد عضد الدولة إلى ملكه وانمحى أثر روزبهان وإخوته، وقبض معز الدولة على جماعة منهم ممن ارتاب بهم، واصطنع الأتراك وقدمهم وأقطع لهم فاعتزوا وامتدت أيديهم.

استيلاء معز الدولة على الموصل ثم عودها

كان ناصر الدولة بن حمدان قد صالح معز الدولة على ألفي ألف درهم كل سنة، ثم لم يحمل، فسار إليه معز الدولة سبع وأربعين وثلاثمائة ففارق الموصل إلى نصيبين، وحمل معه سائر أهل دولته من الوكلاء والكتاب ومن يعرف وجوه المال، وأنزلهم في قلاعه: كقلعة كواشي والزعفران وغيرهما.

وقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الأقوات، فسار معز الدولة إلى نصيبين للميرة، وبلغه أن أبا الرجاء وهبة اللّه في عسكر سنجار، فبعث إليهم بعض عساكره وكبسوهم فهربوا، واستولى العسكر على مخلفهم، ونزلوا في خيامهم، وكر عليهم أولاد ناصر الدولة وهم غارون فأثخنوا فيهم وأقاموا بسنجار.

وسار معز الدولة إلى نصيبين فلحق ناصر الدولة بميافارقين، واستأمن الكثير من أصحابه إلى معز الدولة فلحق بأخيه سيف الدولة بحلب، فبالغ في تكرمته وخدمته، وتوسط في الصلح بينه وبين معز الدولة بثلاثة آلاف ألف فأجابه معز الدولة وتم ذلك بينهما، ورجع معز الدولة إلى العراق في محرم سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

العهد لبختيار

وفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة طرق معز الدولة مرض استكان له وخشي على نفسه، فأراد العهد لابنه بختيار، وعهد إليه بالأمر وسلم له الأموال، وكان بين الحاجب سبكتكين والوزير المهلبي منافرة فأصلح بينهما ووصاهما بابنه بختيار، وعهد إليه بالأمور واعتزم على العود إلى الأهواز مستوحشاً هواء بغداد، فلما بلغ كلواذا اجتمع به أصحابه وسفهوا رأيه في الانتقال من بغداد على ملكه، وأشاروا عليه بالعود إليها وأن يستطيب الهواء في بعض جوانبها المرتفعة ويبني بها دوراً لسكنه ففعل، وأنفق فيها ألف ألف دينار وصادر فيها جماعة من أصحابه.

استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة سار ركن الدولة إلى طبرستان وبها وشمكير فحاصره بمدينة سارية وملكها، ولحق وشمكير بجرجان وترك طبرستان فملكها ركن الدولة وأصلح أمرها، ثم سار إلى جرجان فخرج عنها وشمكير واستولى عليها ركن الدولة، واستأمن إليه من عسكر وشمكير ثلاثة آلاف رجل فازداد بهم قوة، ودخل وشمكير بلاد الجبل مسلوباً واهناً.

ظهور البدعة ببغداد

وفي هذه السنة كتب الشيعة على المساجد بأمر معز الدولة لعن معاوية بن أبي سفيان صريحاً، ولعن من غصب فاطمة فدك، ومن منع أن يدفن الحسن عند جده، ومن نفى أبا ذر الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى، ونسب ذلك كله لمعز الدولة لعجز الخليفة.

ثم أصبح ممحواً وأراد معز الدولة إعادته، فأشار عليه الوزير المهلبي بأن يكتب مكانه لعن اللّه الظالمين لآل رسول اللّه ﷺ، ولا يذكر أحداً باللعن إلا معاوية رضي اللّه عنه.

وفاة الوزير المهلبي

وفي سنة اثنتين وخمسين سار المهلبي وزير معز الدولة إلى عمان ليفتحها، فلما ركب البحر طرقه المرض فعاد إلى بغداد، ومات في طريقه في شعبان من السنة، ودفن ببغداد.

وقبض معز الدولة أمواله وذخائره وقبض على حواشيه وحبسهم، ونظر في الأمور بعده أبو الفضل بن العباس بن الحسن الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، ولم يتسموا باسم الوزارة.

استيلاء معز الدولة ثالثاً على الموصل

كان ناصر الدولة بن حمدان قد ضمن الموصل كما تقدم، وأجابه معز الدولة إلى ضمانه، فبذل له ناصر الدولة زيادة على أن يدخل معه في الضمان أبو ثعلب فضل اللّه الغضنفر، ويحلف لهما معز الدولة فأبى من ذلك، وسار إلى الموصل منتصف ثلاث وخمسين وثلاثمائة ففارقها ابن حمدان إلى نصيبين وملكها معز الدولة.

ثم خرج إلى طلب ابن حمدان منتصف شعبان واستخلف على الموصل بكتورون وسبكتكين العجمي وسار ابن حمدان عن نصيبين وملكها معز الدولة، وخالفه ابن حمدان إلى الموصل

وحارب عسكر معز الدولة فيها فهزموه، وجاء الخبر إلى معز الدولة، فظفر أصحابه بابن حمدان، وسار ونزل جزيرة ابن عمر، فسار في اتباعه، فوصل سادس رمضان فوجده قد جمع أولاده وعساكره إلى الموصل، فأوقع بأصحاب معز الدولة وأسر الأميرين اللذين خلفا بها، واستولى على ما خلفوه من مال وسلاح، وحمل الجميع مع الأسرى إلى قلعة كواشي، فأعيا معز الدولة أمره وهو من مكان إلى مكان في اتباعه، فأجابه إلى الصلح وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرحبة بمال قرره، فاستقر الصلح على ذلك، وأطلق ابن حمدان الأسرى، ورجع معز الدولة إلى بغداد.

استيلاء معز الدولة على عمان

قد تقدم لنا أن عمان كانت ليوسف بن وجيه وأنه حارب بني البريدي بالبصرة حتى قارب أخذها حتى عملوا الحيلة في إضرام النار في سفنه فولى هارباً في محرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وأنه ثار عليه مولاه في هذه السنة فغلبه على البلد وملكها من يده.

ولما استوحش معز الدولة من القرامطة، كتب إليهم ابن وجيه صاحب عمان يطمعهم في البصرة، واستمدهم في البر وسار هو في البحر سنة إحدى وأربعين، وسابقه الوزير المهلبي من الأهواز إليها، وأمده معز الدولة بالعساكر والمال فاقتتلوا أياماً، ثم ظفر المهلبي بمراكبه وما فيها من سلاح وعدة.

ولم يزل القرامطة يناورونها حتى غلبوا عليها سنة أربع وخمسين وثلاثمائة واستولوا عليها وهرب رافع عنها.

وكان له كاتب يعرف بعلي بن أحمد ينظر في أمور البلد، والقرامطة بمكانهم من هجر، فاتفق قاضي البلد وكان ذا مشير وعصابة على أن ينصبوا للنظر في أمورهم أحد قوادهم، فقدموا لذلك ابن طغان ففتك بجميع القواد الذين معه، وثأر منه بعض قرابتهم فقتلوه، فاجتمع الناس على تقديم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان من قرابة القاضي مكانه فولوه، واستكتب علي بن أحمد كاتب القرامطة قبله من الجند فامتعضوا لذلك فدعاهم إلى بيعته فأجابوه وساواهم في العطاء مع البيض فسخط البيض ذلك، ودارت بهم حرب سكنوا آخرها واتفقوا وأخرجوا عبد الوهاب من البلد، واستقر علي بن أحمد الكاتب أميراً فيها.

ثم سار معز الدولة إلى واسط سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وقدم إليه نافع مولى ابن أخيه الذي كان ملكها بعد مولاه، فأحسن إليه وأقام عنده حتى فرغ من أمر عمران بن شاهين، وانحدر إلى الأبلة في رمضان من السنة، وجهز المراكب إلى عمان مائة قطعة، وبعث فيها الجيوش بنظر أبي الفرج محمد بن العباس، وتقدم إلى عضد الدولة بفارس أن يمدهم بالعساكر من عنده فوافاهم المدد بسيراف وساروا إلى عمان فملكوها يوم الجمعة يوم عرفة من السنة، وفتكوا فيها بالقتل، وأحرقوا لهم تسعين مركباً، وخطب لمعز الدولة وصارت من أعماله.

وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار

كان معز الدولة قد سار سنة خمس وخمسين وثلاثمائة إلى واسط لمحاربة عمران بن شاهين فطرقه المرض سنة ست وخمسين وثلاثمائة فسار إلى بغداد، وخلف أصحابه بواسط على أن يعود إليهم فاشتد مرضه ببغداد، وجدد العهد لابنه بختيار.

ثم مات منتصف ربيع الآخر من السنة فقام ابنه عز الدولة بختيار مكانه، وكتب إلى العساكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا.

وكان فيما أوصى به معز الدولة ابنه بختيار طاعة عمه ركن الدولة والوقوف عند إشارته وابن عمه عضد الدولة لعلو سنه عليه وتقدمه في معرفة السياسة، وأن يحفظ كاتبيه أبا الفضل العباس بن الحسن وأبا الفرج بن العباس والحاجب سبكتكين، فخالف جميع وصاياه وعكف على اللّهو وعشرة النساء والمغنين والصفاعين، فأوحش الكاتبين والحاجب، فانقطع الحاجب عن حضور داره.

ثم طرد كبار الديلم عن مملكته طمعاً في أقطاعاتهم، فشغب عليه الصغار واقتدى بهم الأتراك في ذلك، وطلبوا الزيادات، وركب الديلم إلى الصحراء وطلبوا إعادة من أسقط من كبارهم.

، ولم يجد بداً من إجازتهم لانحراف سبكتكين عنه، فاضطربت أموره وكان الكاتب أبو الفرج العباس في عمان منذ ملكها، فلما بلغه موت معز الدولة خشي أن ينفرد عنه صاحبه أبو الفضل العباس بن الحسن بالدولة، فسلم عمان لعضد الدولة، وبادر إلى بغداد فوجد أبا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شيء.

مسير عساكر ابن سامان إلى الري ومهلك وشمكير

كان أبو علي بن الياس قد سار من كرمان إلى بخارى

مستنجداً بالأمير منصور بن نوح بن سامان، فتلقاه بالتكرمة فأغراه ابن الياس بممالك بني بويه وأشار له قواده في أمرهم فصدق ذلك عندما كان يذكر وشمكير عنهم، وتقدم إلى وشمكير والحسن بن الفيرزان بالمسير مع عساكره إلى الري.

ثم جهز العساكر مع صاحب خراسان أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور الدواني وأمره بطاعة وشمكير وقبول إشارته فسار لذلك سنة ست وخمسين وثلاثمائة وأنزل ركن الدولة أهله بأصفهان، وكتب إلى ابنه عضد الدولة بفارس وإلى ابن أخيه عز الدين بختيار ببغداد يستنجدهما، فأنفذ عضد الدولة العساكر على طريق خراسان ليخالفهم إليها، فأحجموا وتوقفوا وساروا إلى الدامغان، وقصدهم ركن الدولة في عساكره من الري، وبينما هم كذلك هلك وشمكير، عندما استعرض خيلاً واختار منها واحداً وركب للصيد، واعترضه خنزير فرماه بحربة، وحمل الخنزير عليه فضرب الفرس فسقط إلى الأرض وسقط وشمكير ميتاً وانتقض جميع ما كانوا فيه ورجعوا إلى خراسان.

استيلاء عضد الدولة على كرمان

كان أبو علي بن الياس قد ملك كرمان بدعوة بني سامان، واستبد بها كما مر في أخبارهم، ثم أصابه فالج وأزمن به وعهد إلى ابنه اليسع ثم لالياس من بعده، وأمرهما بإجلاء أخيهما سليمان إلى أرضهم ببلاد الروم يقيم لهم ما هنالك من الأموال، لعداوة كانت بين سليمان واليسع فلم يرض سليمان ذلك، وخرج فوثب على السيرجان فملكها، فسار إليه أخوه اليسع فحبسه.

وهرب من محبسه واجتمع إليه العسكر وأطاعوه، ومالوا إليه مع أبيه.

ثم إن أبا علي هم أن يلحق بخراسان فلحق، ثم سار إلى الأمير أبي الحارث ببخارى وأغراه بالري كما مر، وتوفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة وصفت كرمان لاليسع.

وكان عضد الدولة مزاحماً لاليسع في بعض حدود عمله، مدلاً بجهل الشباب، فاستحكمت القطيعة بينهما وهرب بعض أصحاب عضد الدولة إليه، فزحف إليه واستأمن إليه أصحابه، وبقي في قل من أصحابه فاحتمل أهله وأمواله، ولحق ببخارى.

وسار عضد الدولة إلى كرمان فملكها وأقطعها ولده أبا الفوارس الذي ملك العراق بعد، ولقب شرف الدولة، واستخلف عليها كورتكين بن خشتان وعاد إلى فارس وبعث إليه صاحب سجستان الطاعة وخطب له.

ولما وصل اليسع إلى بخارى أنذر بني سامان على تقاعدهم عن نصره فوثبوا عليه فنفوه إلى خوارزم، وكان قد خلف أثقاله بنواحي خراسان فاستولى عليها أبو علي بن سيجور، وأصاب اليسع رمد اشتد به بخوارزم فضجر منه وقطع عرقه بيده.

وكان ذلك سبب هلاكه، ولم يعد لبني الياس بكرمان بعده ملك.

مسير ابن العميد إلى حسنويه ووفاته

كان حسنويه بن الحسين الكردي من رجالات الكرد، واستولى عن نواحي الدينور واستفحل أمره، وكان يأخذ الخفارة من القوافل التي تمر به ويخيف السابلة، إلا أنه كان فتة للديلم على عساكر خراسان متى قصدتهم.

وكان ركن الدولة يرعى له ذلك ويغضي عن إساءته.

ثم وقعت بينه وبين سلار بن مسافر بن سلار، فتنة وحرب فهزمه حسنويه وحصره وأصحابه من الديلم في مكان، ثم جمع الشوك وطرحه بقربهم وأضرمه ناراً حتى نزلوا على حكمه فأخذهم، وقتل كثيراً منهم، فلحقت ركن الدولة الغيرة لعصبية الديلم، وأمر وزيره أبا الفضل بن العميد بالمسير إليه فسار في محرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وقعد ابنه أبو الفتح، وكان شاباً مليحاً قد أبطره العز والدالة على أبيه، وكان يتعرض كثيراً لما يغضبه.

وكانت بأبي الفضل علة النقرس فتزايدت عليه وأفحشت عليه، ولما وصل إلى همذان توفي بها لأربع وعشرين سنة من وزارته، وأقام ابنه أبا الفتح مقامه وصالح حسنويه على مال أخذه منه، وعاد إلى الري إلى مكانه من خدمة ركن الدولة.

وكان أبو الفضل بن العميد كاتباً بليغاً، وعالماً في عدة فنون مجيداً فيها ومطلعاً على علوم الأوائل، وقائماً بسياسة الملك مع حسن الخلق ولين العشرة، والشجاعة المعروفة بتدبير الحروب، ومنه تعلم عضد الدولة السياسية وبه تأدب.

انتقاض كرمان على عضد الدولة

ولما ملك عضد الدولة كرمان كما قلناه اجتمع القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد وأولاده واتفقوا على الانتقاض والخلاف.

واستمد عضد الدولة كورتكين بن حسان بعابد بن علي،

فسارا في العساكر إلى جيرفت وحاربوا أولئك الخوارج فهزموهم وأثخنوا فيهم وقتلوا من شجعانهم، وفيهم ابن لأبي سعد.

ثم سار عابد بن علي في طلبهم وأوقع بهم عدة وقائع وأثخن فيهم، وانتهى إلى هرمز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران وأسر منهم ألف أسير حتى استقاموا على الطاعة وإقامة حدود الإسلام.

ثم سار عائداً إلى طائفة أخرى يعرفون بالحرومية والجاسكية يخيفون السبيل براً وبحراً، وكانت قد تقدمت لهم إعانة سليمان بن أبي علي بن إلياس، فلما أوقع بهم أثخن فيهم حتى استقاموا على الطاعة وصلحت تلك البلاد مدة.

ثم عاد البلوص إلى ما كانوا عليه من إخافة السبيل بها، فسار عضد الدولة إلى كرمان في ذي القعدة سنة اثنتين وانتهى إلى السيرجان وسرح عابد بن علي في العساكر لاتباعهم، فأوغلوا في الهرب ودخلوا إلى مضايق يحسبونها تمنعهم، فلما زاحمتهم العساكر بها آخر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وثلاثمائة صابروا يوما، ثم انهزموا آخره فقتلت مقاتلتهم وسبيت ذراريهم ونساؤهم، ولم ينج منهم إلا القليل.

ثم استأمنوا فأمنوا ونقلوا من تلك الجبال، وأنزل عضد الدولة في تلك البلاد أكرة وفلاحين، ثم شملوا الأرض بالعمل وتتبع العابد أثر تلك الطوائف حتى بدد شملهم، ومحا ما كان من الفساد منهم.

عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية

كان أبو الفضل العباس بن الحسن وزيراً لمعز الدولة ولابنه بختيار من بعده، وكان سيء التصرف وأحرق في بعض أيامه الكرخ ببغداد فاحترق فيه عشرون ألف إنسان وثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً، ومن الأموال ما لا يحصى، وكان الكرخ معروفاً بسكنى الشيعة، وكان هو يزعم أنه يتعصب لأهل السنة، وكان كثير الظلم للرعية غصاباً للأموال مفرطاً في أمر دينه، وكان محمد بن بقية وضيعاً في نفسه من الفلاحين في أوانا من ضياع بغداد، واتصل ببختيار وكان يتولى الطعام، بين يديه، ويتولى الطبخ ومنديل الخوان على كتفه: فلما ضاقت الأحوال على الوزير أبي الفضل وكثرت مطالبته بالأرزاق والنفقات عزله بختيار وصادره وسائر أصحابه على أموال عظيمة أخذت منهم، واستوزر محمد بن بقية فاستقامت أموره ونمت أحواله بتلك الأموال، فلما، نفدت عاد إلى الظلم، ففسدت الأحوال وخربت تلك النواحي، وظهر العيارون وتزايد شرهم وفسادهم.

وعظم الاختلاف بين بختيار والأتراك، ومقدمهم يومئذ سبكتكين، وتزايدت نفرته ثم سعى ابن بقية في إصلاحه وجاء به إلى بختيار ومعه الأتراك فصالحه بختيار، ثم قام غلام ديلمي فرمى وتينه بحربة في يده فأثبته، فصاح سبكتكين بغلمانه فأخذوه ويظن أنه وضع قتله، وقرره فلم يعترف، فبعث إلى بختيار فأمر به فقتل، فعظم ارتيابه وأنه إنما قتل حذراً من إفشاء سره، فعظمت الفتنة، وقصد الديلم قتل سبكتكين، ثم أرضاهم بختيار بالمال فسكنوا.

استيلاء بختيار على الموصل ثم رجوعه عنها

فلما قبض أبو ثعلب بن ناصر الدولة بن حمدان على أبيه وحبسه، واستقل بملك الموصل وعصى عليه إخوته من سائر النواحي غلبهم، ولحق أخوه أحمد وإبراهيم ببختيار فاستصرخاه فوعدهما بالمسير معهما، وأن يضمن حمدان البلاد.

ثم أبطأ عليهما فرجع إبراهيم إلى أخيه أبي ثعلب، وقارن ذلك وزارة ابن بقية، وقصر أبو ثعلب في خطابه فاغرى به بختيار فسار إليه، ونزل الموصل، وفارقها أبو ثعلب إلى سنجار وأخلاها من الميرة والكتاب والدواوين.

ثم سار من سنجار إلى بغداد فحاربها، ولم يحدث في سوادها حدثاً، وبعث بختيار إثره العساكر مع ابن بقية والحاجب سبكتكين، فدخل ابن بقية بغداد، وأقام سبكتكين بجدى.

وثار العيارون واضطربت الفتنة بين أهل السنة والشيعة، وضربوا الأمثال لنشتد على الوزير بحرب الجمل، وهذا كله في الجانب الغربي.

ونزل أبو ثعلب حذاء سبكتكين بجدى واتفقا في سر على خلع الخليفة ونصب غيره والقبض على الوزير وعلى بختيار وتكون الدولة لسبكتكين ويعود أبو ثعلب إلى الموصل ليتمكن من بختيار.

ثم قصر سبكتكين عن ذلك وخشي سوء المغبة، واجتمع به الوزير بن بقية وصالحوا أبا ثعلب على ضمان أعماله كما كانت، وزيادة ثلاثة آلاف كر من الغلة لبختيار، وأن يرد على أخيه حمدان أملاكه وأقطاعه إلا ماردين، وأرسلوا إلى بختيار بذلك.

ودخل أبو ثعلب إلى الموصل، فلما نزل الموصل وبختيار بالجانب الآخر فغضب أهل الموصل لأبي ثعلب لما نالهم من عسف بختيار، فتراسلوا في الصلح ثانياً، وسأل أبو ثعلب لقباً

سلطانياً وتسليم زوجته ابنة بختيار فأبى ذلك، ورحل عنه إلى بغداد.

وبلغه في طريقه أن أبا ثعلب قتل مخلفين من أصحاب بختيار، فأقام بالكحيل وبعث بالوزير وابن بقية وسبكتكين فجاؤوه في العساكر، ورجع إلى الموصل وفارقها أبو ثعلب، وبعث إلى الوزير كاتبه ابن عرس وصاحبه ابن حوقل معتذراً وحلفا عنه عن العلم بما وقع، فاستحكم بينهم صلح آخر.

وانصرف كل منهم إلى بلده، وبعث بختيار إليه زوجته واستقر أمرهما على ذلك.

الفتنة بين الديلم والاتراك وانتقاض سبكتكين

كان جند بختيار وأبيه معز الدولة طائفتين من الديلم عشيرتهم والأتراك المستنجدين عندهم، وعظمت الدولة وكثرت عطاياها وأرزاق الجند حتى ضاقت عنها الجباية وكثر شغب الجند، وساروا إلى الموصل لسد ذلك فلم يقع لهم ما يسده، فتوجهوا إلى الأهواز صحبة بختيار ليظفروا من ذلك بشيء، واستخلف سبكتكين على بغداد، فلما وصلوا إلى الأهواز صحبة بختيار حمل إليه حملين من الأموال والهدايا ملأ عينه، وهو مع ذلك يتجنى عليه.

ثم تلاحى خلال ذلك عاملان ديلمي وتركي، وتضاربا ونادى كل منهما بقومه فركبوا في السلاح بعضهم على بعض، وسالت بينهما الدماء، وصاروا إلى النزاع، واجتهدوا في تسكين الناس فلم يقدروا.

وأشار عليه الديلم بالقبض على الأتراك، فأحضر رؤساءهم واعتقلهم، وانطلقت أيدي الديلم على الأتراك فافترقوا، ونودي في البصرة بإباحة دمائهم، واستولى بختيار على إقطاع سبكتكين، ودس بأن يرجفوا بموته، فإذا جاء سبكتكين للعزاء قبضوا عليه.

وقيل كان وطأهم على ذلك قبل سفره، وجعل موعده قبضه على الأتراك، فلما أرجفوا بموته ارتاب سبكتكين بالخبر، وعلم أنها مكيدة ودعاه الأتراك للأمر عليهم فأبى، ودعا ابن معز الدولة أبا إسحاق إليها فمنعته أمه، فركب سبكتكين في الأتراك وحاصروا بختيار يومين.

ثم أحرقها وبعث لأبي إسحاق وأبي ظاهر ابني معز الدولة، وسار بهما إلى واسط فاستولى على ما كان لبختيار، وأنزل الأتراك في دور الديلم، وثار العامة بنصر سبكتكين وأوقعوا بالشيعة وقتلوهم وأحرقوا الكرخ.

مسير بختيار لقتال سبكتكين وخروج سبكتكين إلى واسط ومقتله

ولما انتقض سبكتكين انتقض الأتراك في كل جهة حتى اضطرب على بختيار غلمانه الذين بداره، وعاتبه مشايخ الأتراك على فعلته، وعذله الديلم أصحابه وقالوا: لا بد لنا من الأتراك ينصحون عنا، فأطلق المعتقلين منهم ورجع؛ وجعل أردويه صاحب الجيش مكان سبكتكين، وكتب إلى عمه ركن الدولة وابنه عضد الدولة يستنجدهما، وإلى أبي ثعلب بن حمدان يستمده بنفسه، ويسقط عنه مال الضمان، وإلى عمران بن شاهين بأن يمده بعسكر، فبعث عمه ركن الدولة العساكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وأمر ابنه عضد الدولة بالمسير معهم، فتربص به ابن العميد.

وأنفذ أبو ثعلب بن حمدان أخاه أبا عبد اللّه الحسين بن حمدان إلى تكريت، وأقام ينتظر خروج سبكتكين والأتراك عن بغداد فيملكها: وانحدر سبكتكين ومعه الأتراك إلى واسط وحمل معه الخليفة الطائع الذي نصبه وأباه المطيع مكانه أفتكين وساروا إلى بختيار ونازلوه بواسط خمسين يوماً والحرب بينهم متصلة والظفر للأتراك في كلها، وهو يتابع الرسل إلى عضد الدولة ويستحثه.

استيلاء عضد الدولة على العراق واعتقال بختيار ثم عوده إلى ملكه

ولما بلغ عضد الدولة ما فعله الأتراك مع بختيار اعتزم على المسير إليه بعد أن كان يتربص به فسار في عساكر فارس وسار معه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه من الأهواز في عساكر الري وقصدوا واسط ورجع أفتكين والأتراك إلى بغداد وكان أبو ثعلب عليها فأجفل، وكتب بختيار إلى طبة الأسدي صاحب عين التمر، وإلى بني شيبان بمنع الميرة عن بغداد وإفساد سابلتها، فعدمت الأقوات وسار عضد الدولة إلى بغداد، ونزل في الجانب الشرقي وبختيار في الجانب الغربي.

وخرج أفتكين والأتراك لعضد الدولة فلقيهم بين دباني والمدائن منتصف جمادى سنة أربع وستين وثلاثمائة فهزمهم وغرق

كثير منهم.

وساروا إلى تكريت، ودخل عضد الدولة بغداد ونزل دار الملك، واسترد الخليفة الطائع من أفتكين والأتراك، وكانوا أكرهوه على الخروج معهم، وخرج للقائه في دجلة وأنزله بدار الخلافة وحدثته نفسه بملك العراق، واستضعف بختيار ووضع عليه الجند يطالبونه بأرزاقهم، ولم يكن عنده في خزانته شيء.

وأشار عليه بالزهد في إمارتهم يتنصح له بذلك سراً، والرسل تتردد إلى بختيار والجند فلا يقبل عضد الدولة تقربهم.

ثم تقبض عليه آخراً ووكل به، وجمع الجند ووعدهم بالإحسان والنظر في أمورهم فسكنوا، وبعث عضد الدولة عسكره إلى ابن بقية ومعه عسكر ابن شاهين فهزموا عسكر عضد الدولة، وكاتبوا ركن الدولة، فكتب إليه بالثبات على شأنهم.

فلما علم أهل النواحي بأفعال عضد الدولة اضطربوا عليه وانقطعت عنه مواد فارس، وطمع فيه الناس حتى عامة بغداد، فحمّل الوزير أبا الفتح بن العميد إلى أبيه ركن الدولة الرسالة بما وقع، وبضعف بختيار وأنه إن عاد إلى الأمر خرجت المملكة والخلافة عنه، وأنه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم في كل سنة، ويبعث إليه بختيار بالري وإلا قتلت بختيار وأخويه وجميع شيعتهم وتركت البلاد، فخشي ابن العميد من هذه الرسالة، وأشار بأن يبعث بها غيره ويمضي هو إلى ركن الدولة فيحاول على مقاصد عضد الدولة، فمضى الرسول إلى ركن الدولة فحجبه أولاً، ثم أحضره وذكر له الرسالة فهم بقتله، ثم رده وحمله من الإساءة في الخطاب فوق ما أراد.

وجاء ابن العميد، فحجبه ركن الدولة وأنفذ إليه بالوعيد، وشفع إليه أصحابه واعتذر بأنه إنما جعل رسالة عضد الدولة طريقا إلى الخلاص منه فأحضره، وضمن له ابن العميد إطلاق بختيار.

ثم سار إلى عضد الدولة وعرفه بغضب أبيه فأطلق بختيار من محبسه ورده إلى ملكه على أن يكون نائباً عنه ويخطب له، ويجعل أخاه أبا إسحاق أمير الجيش لضعفه عن الملك.

وخلف أبا الفتح بن العميد لقضاء شؤونه فتشاغل هو مع بختيار فيما كان فيه من اللذات عن ركن الدولة، وجاء ابن بقية فأكد الوحشة بين بختيار وعضد الدولة وجبى الأموال واختزنها، وأساء التصرف واحترز من بختيار.

أخبار عضد الدولة في ملك عمان

لما توفي معز الدولة كان أبو الفرج بعمان، فسار عنها لبغداد وبعث إلى عضد الدولة بأن يتسلمها فوليها عمر بن نبهان الطائي بدعوة عضد الدولة، ثم قتلته الزنج وملكوا البلد.

وبعث عضد الدولة إليها جيشاً من كرمان مع قائده أبي حرب طغان، وساروا في البحر وأرسوا على صحار وهي قصبة عمان، ونزلوا إلى البر فقاتلوا الزنج وظفروا بهم، واستولى طغان على صحار سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

ثم اجتمع الزنج إلى مدين رستاق على مرحلتين من صحار، فأوقع بهم طغان واستلحمهم وسكنت البلاد، ثم خرج بجبال عمان طوائف الشراة مع ورد بن زياد منهم، وبايعوا لحفص بن راشد، واشتدت شوكتهم، وبعث عضد الدولة المظفر بن عبد الله في البحر فنزل في أعمال عمان وأوقع بأهل خرخان.

ثم سار إلى دما على أربع مراحل، وقاتل الشراة فهزمهم وهرب أميرهم ورد بن حفص إلى يزوا، وهي حصن تلك الجبال، ولحق حفص باليمن فصار فيه معلماً، واستقامت البلاد ودانت لطاعة عضد الدولة.

اضطراب كرمان على عضد الدولة

كان ظاهر بن الصنمد من الحرومية، وهي البلاد الحارة، قد ضمن من عضد الدولة ضمانات واجتمعت عليه أموال.

ولما سار عضد الدولة إلى العراق وبعث وزيره المظهر بن عبد الله إلى عمان خلت كرمان من العساكر، فطمع فيها ظاهر وجمع الرجال الحرومية.

وكان بعض موالي بني سامان من الأتراك واسمه مؤتمر استوحش من ابن سيجور صاحب خراسان فكاتبه ظاهر وأطمعه في أعمال كرمان، فسار إليه وجعله ظاهر أميراً.

ثم شغب عليه بعض أصحاب ظاهر، فارتاب به مؤتمر وقاتله فظفر به وبأصحابه، وبلغ الخبر إلى الحسين بن علي بن الياس بخراسان فطمع في البلاد وسار إليها، واجتمعت عليه جموع وكتب عضد الدولة إلى المظهر بن عبد الله وقد فرغ من أمر عمان بالمسير إلى كرمان، فسار إليه سنة أربع وستين وثلاثمائة ودوخ البلاد في طريقه وكبس مؤتمراً بنواحي مدينة قم فلحق بالمدينة وحصره فيها حتى استأمن، وخرج إليه ومعه ظاهر فقتله المظهر

وحبس مؤتمراً ببعض القلاع، وكان آخر العهد به.

ثم سار إلى ابن إلياس وقاتله على باب جيرفت وأخذه أسيراً وضاع بعد ذلك خبره، ورجع المظهر ظافراً وصلحت كرمان لعضد الدولة.

وفاة ركن الدولة وملك ابنه عضد الدولة

كان ركن الدولة ساخطاً على ابنه عضد الدولة كما قدمناه وكان ركن الدولة بالري فطرقه المرض سنة خمس وستين وثلاثمائة فسار إلى أصفهان، وتلطف الوزير أبو الفتح بن العميد إليه في الرضا عن ابنه عضد الدولة، وأن يحضره ويعهد إليه،، فأحضره من فارس وجمع سائر ولده.

وكان ركن الدولة قد خف من مرضه فعمل الوزير ابن العميد بداره صنيعاً وأحضرهم جميعاً، فلما قضوا شأن الطعام خاطب ركن الدولة أحد أولاده بولاية أصفهان وأعمالها نيابة عن أخيه عضد الدولة، وخلع عضد الدولة في ذلك اليوم على سائر الناس الأقبية والأكسية بزي الديلم.

وحياه إخوته والقواد بتحية الملك المعتاد لهم، وأوصاهم أبوهم بالاتفاق وخلع عليهم من الخاص، وسار عن أصفهان في رجب من السنة.

ثم اشتد به المرض في الري فتوفي في محرم سنة ست وستين وثلاثمائة لأربع وأربعين سنة من ولايته.

وكان حليماً كريماً واسع المعروف حسن السياسة لجنده ورعيته، عادلاً فيهم، متحرياً من الظلم عفيفاً عن الدماء، بعيد الهمة عظيم الجد والسعادة، محسناً لأهل البيوتات، معظماً للمساجد متفقداً لها في المواسم، متفقداً أهل البيت بالبر والصلات، عظيم الهيبة لين الجانب مقرباً للعلماء محسناً إليهم، معتقداً للصلحاء براً بهم رحمه الله تعالى.

مسير عضد الدولة إلى العراق وهزيمة بختيار

ولما توفي ركن الدولة ملك عضد الدولة بعده، وكان بختيار وابن بقية يكاتبان أصحاب القاصية مثل فخر الدولة أخيه وحسنويه الكردي وغيرهم للتظافر على عضد الدولة، فحركه ذلك لطلب العراق، فسار لذلك وانحدر بختيار إلى واسط لمدافعته، وأشار عليه ابن بقية بالتقدم إلى الأهواز، واقتتلوا في ذي القعدة من سنة ست وستين وثلاثمائة ونزع بعض عساكر بختيار إلى عضد الدولة فانهزم بختيار ولحق بواسط، ونهب سواده ومخلفه، وبعث إليه ابن شاهين بأموال وسلاح وهاداه وأتحفه، فسار إليه إلى البطيحة وأصعد منها إلى واسط، واختلف أهل البصرة فمالت مضر إلى عضد الدولة وربيعة مع بختيار، ضربت مضر عند انهزامه، وكاتبوا عضد الدولة فبعث إليهم عسكراً واستولوا على البصرة، وأقام بختيار بواسط، وقبض الوزير ابن بقية لاستبداده واحتجازه الأموال، وليرضى عضد الدولة بذلك.

وترددت الرسل بينهم في الصلح، وتردد بختيار في إمضائه.

ثم وصله ابنا حسنويه الكردي في ألف فارس مدداً فاعتزم على محاربة عضد الدولة، ثم بدا له وسار إلى بغداد فأقام بها، ورجع ابنا حسنويه إلى أبيهما، وسار عضد الدولة إلى البصرة فأصلح بين ربيعة ومضر بعد اختلافهما مائة وعشرين سنة.

نكبة أبي الفتح بن العميد

كان عضد الدولة يحقد على أبي الفتح بن العميد مقامه عند بختيار ببغداد ومخالطته له، وما عقده معه من وزارته بعد ركن الدولة.

وكان ابن العميد يكاتب بختيار بأحواله وأحوال أبيه، وكان لعضد الدولة عين على بختيار يكاتبه بذلك ويغريه.

فلما ملك عضد الدولة بعد أبيه كتب إلى أخيه فخر الدولة بالري بالقبض على ابن العميد وعلى أهله وأصحابه، واستصفيت أموالهم ومحيت آثارهم، وكان أبو الفضل بن العميد ينذرهم بذلك لما يرى من مخايل أبي الفتح وإنكاره عليه.

استيلاء عضد الدولة على العراق ومقتل بختيار وابن بقية

ولما دخلت سنة سبع وستين سار عضد الدولة إلى بغداد، وأرسل إلى بختيار يدعوه إلى طاعته، وأن يسير عن العراق إلى أي جهة أراد فيمده بما يحتاج إليه من مال وسلاح، فضعفت نفسه فقلع عينه وبعثها إليه، وخرج بختيار عن بغداد متوجهاً إلى الشام.

ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها، ولم يكن خطب لأحد قبله، وضرب على بابه ثلاث نوبات ولم يكن لمن تقدمه، وأمر أن يلقى ابن بقية بين أرجل الفيلة فضربته حتى مات وصلب على رأس الجسر في شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة، ولما انتهى

بختيار إلى عكبرا وكان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان فزين له قصد الموصل، واستماله إليه عن الشام، وقد كان عقد معه عضد الدولة أن لا يقصد الموصل لموالاة بينه وبين أبي ثعلب، فسار هو إلى الموصل ونقض عهده، وانتهى إلى تكريت فبعث إليه أبو ثعلب يعده المسير معه لقتال عضد الدولة، وإعادة ملكه على أن يسلم إليه أخاه حمدان، فقبض بختيار عليه وسلمه إلى سفرائه وحبسه أبو ثعلب، وسار بختيار إلى الحديثة، ولقيه أبو ثعلب في عشرين ألف مقاتل، ورجع معه إلى العراق ولقيهما عضد الدولة بنواحي تكريت فهزمهما، وجيء ببختيار أسيراً، فأشار أبو الوفاء طاهر بن إسماعيل كبير أصحاب عضد الدولة بقتله فقتل لاثنتي عشرة سنة من ملكه.

واستلحم كثير من أصحابه، وانهزم أبو ثعلب بن حمدان إلى الموصل.

استيلاء عضد الدولة على أعمال بني حمدان

ولما انهزم أبو ثعلب سار عضد الدولة في أثره فملك الموصل منتصف ذي القعدة سنة ست وستين وثلاثمائة وكان حمل معه الميرة والعلوفات خوفاً أن يقع به مثل ما وقع بسلفه، فأقام بالموصل مطمئناً وبث السرايا في طلب أبي ثعلب، ولحق بنصيبين ثم بميافارقين، فبعث عضد الدولة في أثره سرية عليها أبو ظاهر بن محمد إلى سنجار، وأخرى عليها الحاجب أبو حرب طغان إلى جزيرة ابن عمر، فترك أبو ثعلب أهله بميافارقين وسار إلى تدلس ووصل أبو الوفاء في العساكر إلى ميافارقين فامتنعت عليه، فسار في اتباع أبي ثعلب إلى أرزن الروم ثم إلى الحسنية من أعمال الجزيرة، وصعد أبو ثعلب إلى قلعة كواشي فأخذ أمواله منها وعاد أبو الوفاء وحاصره بميافارقين، وسار عضد الدولة وقد افتتح سائر ديار بكر.

وسار أبو ثعلب إلى الرحبة ورجع أصحابه إلى أبي الوفاء فأمنهم وعاد إلى الموصل، فتسلم ديار مضر من يده.

وكان سعد الدولة على الرحبة وتقرى أعمال أبي ثعلب وحصونه، مثل هوا والملاسي وفرقى والسفياني وكواشي بما فيها من خزائنه وأمواله، واستخلف أبو الوفاء على الموصل وجميع أعمال بني ثعلب وعاد إلى بغداد، وسار أبو ثعلب إلى الشام فكان فيه مهلكه كما مر في أخباره.

إيقاع العساكر ببني شيبان

كان بنو شيبان قد طال إفسادهم للسابلة، وعجز الملوك عن طلبهم، وكانوا يمتنعون بجبال شهرزور لما بينهم وبين أكرادها من المواصلة، فبعث عضد الدولة العساكر سنة تسع وستين وثلاثمائة فنازلوا شهرزور واستولوا عليها وعلى ملكها رئيس بني شيبان، فذهبوا في البسيط، وسار العسكر في طلبهم فأوقعوا بهم واستباحوا أموالهم ونساءهم، وجيء منهم إلى بغداد بثلاثمائة أسير، ثم عاودوا الطاعة وانحسمت علتهم.

وصول ورد بن منير البطريق الخارج على ملك الروم إلى ديار بكر والقبض عليه

كان أرمانوس ملك الروم لما توفي خلف ولدين صغيرين ملكا بعده، وكان نقفور وهو يومئذ الدمستق غائباً ببلاد الشام، وكان نكاء فيها، فلما عاد حمله الجند وأهل الدولة على النيابة عن الولدين فامتنع.

ثم أجاب وأقام بدولة الولدين وتزوج أمهما ولبس التاج، ثم استوحشت منه فراسلت ابن الشمسيق في قتله، وبيته في عشرة من أصحابه فقتلوا نقفور واستولى ابن الشمسيق على الأمر، واستولى على الأولاد وعلى ابنه ورديس واعتقلهم في بعض القلاع، وسار في أعمال الشام فعاث فيها وحاصر طرابلس فامتنعت عليه.

وكان لوالد الملك أخ خصي وهو الوزير يومئذ فوضع عليه من سقاه السم، وأحس به فأسرع العود إلى القسطنطينية ومات في طريقه، وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة فطمع في الملك، وكاتب أبا ثعلب بن حمدان عند خروجه بين يدي عضد الدولة وظاهره، واستجاش بالمسلمين بالثغور وساروا إليه وقصد القسطنطينية، وبرزت إليه عساكر الملكين فهزمهم مرة بعد أخرى، فأطلق الملكان ورديس بن لاون وبعثاه في العساكر لقتال ورد فهزمهم بعد حروب صعبة، ولحق ورد ببلاد الإسلام ونزل ميافارقين، وبعث أخاه إلى عضد الدولة يبذل الطاعة ويطلب النصرة.

وبعث إليه ملك الروم واستمالاه فجنح إليهما، وكتب إلى عامله بميافارقين بالقبض على ورد وأصحابه، فيئسوا منه، وتسللوا عنه، فبعث أبو علي الغنمي عنه إلى داره للحديث معه، ثم قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه، واعتقلهم بميافارقين،

ثم بعث بهم إلى بغداد فحبسوا بها.

دخول بني حسنويه في الطاعة وبداية أمرهم

كان حسنويه بن حسن الكردي من جنس البرز فكان من الأكراد من طائفة منهم يسمون الدولنية وكان أميراً على البرز مكان خاله ونداد، وكان ابنا أحمد بن علي من طائفة أخرى من البرز، فكانوا يسمون العيشائية وغلبا على أطراف الدينور وهمذان ونهاوند والدامغان وبعض أطراف أذربيجان إلى حد شهرزور، وبقيت في أيديهم خمسين سنة، وكانت تجتمع عليها من الأكراد جموع عظيمة، ثم توفي عام ست وخمسين وثلاثمائة.

وكانت له قلعة بسنان وغانم أباد وغيرها، فملكها بعده ابنه أبو سالم إلى أن غلبه الوزير أبو الفتح بن العميد.

وتوفي ونداد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقام ابنه عبد الوهاب أبو الغنائم مقامه، وأراد الساذنجان، وأسلمه إلى حسنويه فاستولى على أملاكه وقلاعه.

وكان حسنويه عظيم السياسة حسن السيرة، وبنى أصحابه حصن التلصص، وهي قلعة سرماج بالصخور المهندسة، وبنى بالدينور جامعاً كذلك، وكان كثير الصدقة بالحرمين.

ثم توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة وافترق أولاده من بعده، فبعضهم صار إلى طاعة فخر الدولة صاحب همذان وأعمال الجبل، والآخرون صاروا إلى عضد الدولة وكان بختيار منهم بقلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر، فكاتب عضد الدولة بالطاعة، ثم انتقض.

فبعث عضد الدولة عسكراً فحاصروه وملكوا القلعة من يده والقلاع الأخرى من إخوته.

واستولى عضد الدولة على أعمالهم واصطنع من بينهم أبا النجم بن حسنويه، وأمده بالعسكر فضبط تلك النواحي، وكف عادية الأكراد بها واستقام أمرها.

استيلاء عضد الدولة على همذان والري من يد أخيه فخر الدولة وولاية أخيهما مؤيد الدولة عليها

قد تقدم أن ركن الدولة عهد إلى ابنه فخر الدولة، وكان يكاتب بختيار، وعلم بذلك عضد الدولة فأغضى، فلما فرغ من شأن بختيار وابن حمدان وحسنويه، وعظم استيلاؤه أراد إصلاح الأمر بينه وبين أخيه وقابوس بن وشمكير، فكاتب مؤيد الدولة وفخر الدولة يعاتبه ويستميله، وكان الرسول خواشادة من أكبر أصحاب عضد الدولة، فاستمال أصحاب فخر الدولة وضمن لهم الإقطاعات، وأخذ عليهم العهود، واعتزم عضد الدولة على المسير إلى الري وهمذان، وسرب العساكر إليها مسالمة، فأبو الوفاء طاهر في عسكر، وخواشادة في عسكر، وأبو الفتح المظفر بن أحمد في عسكر.

ثم سار عضد الدولة في أثرهم من بغداد، ولما أطلت عساكره استأمن قواد فخر الدولة وبنو حسنويه ووزيره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه، ولحق فخر الدولة ببلاد الديلم، ثم بجرجان، ونزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير مستجيراً، فأمنه وآواه وحمل إليه فوق ما أمله، وشاركه فيما بيده من الملك وغيره.

وملك عضد الدولة همذان والري وما بينهما من الأعمال، وأضافها إلى أخيه مؤيد الدولة بن بويه صاحب أصفهان وأعمالها.

ثم عطف على ولاية حسنويه الكردي وفتح نهاوند والدينور وسرماج، وأخذ ما كان فيها لبني حسنويه، وفتح عدة من قلاعهم، وخلع على بدر بن حسنويه وأحسن إليه وولاه رعاية الأكراد، وقبض على إخوته عبد الرزاق وأبي العلاء وأبي عدنان.

ولما لحق فخر الدولة بجرجان وأجاره قابوس بعث إليه أخوه عضد الدولة في طلبه، فأجاره وامتنع من إسلامه.

فجهز إليه عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة صاحب أصفهان بالعساكر والأموال والسلاح، فسار إلى جرجان، وبرز قابوس للقائه، والتقوا بنواحي أستراباذ في منتصف إحدى وسبعين وثلاثمائة فانهزم قابوس ومر ببعض قلاعه فاحتمل منها ذخيرته ولحق بنيسابور.

وجاء فخر الدولة منهزماً على أثره، وكان ذلك لأول ولاية حسام الدولة تاش خراسان من قبل أبي القاسم بن منصور من بني سامان، فكتب بخبرهما إلى الأمير نوح ووزيره العتبي أبي العباس تاش، فجاءه الجواب بنصرهما، فجمع عساكر خراسان وسار معهما إلى جرجان فحاصروا بها مؤيد الدولة شهرين حتى ضاقت أحوال مؤيد الدولة، واعتزم هو وأصحابه على الخروج والاستماتة بعد أن كاتب فائقاً الخاصة السماني، ورغبه، فوعده بالانهزام عند اللقاء.

وخرج مؤيد الدولة، وانهزم فائق وتبعه العسكر وثبت تاش

وفخر الدولة وقابوس إلى آخر النهار، ثم انهزموا ولحقوا بنيسابور، وبعثوا بالخبر إلى الأمير نوح، فبعث إليهم بالعساكر ليعود إلى جرجان، ثم قتل الوزير العتبي كما تقدم في أخبار دولتهم وانتقض ذلك الرأي.

استيلاء عضد الدولة على بلاد الهكارية وقلعة سندة

كان عضد الدولة قد بعث عساكره إلى بلاد الأكراد الهكارية من أعمال الموصل، فحاصر قلاعهم وضيق عليهم، وكانوا يؤملون نزول الثلج فترحل عنهم العساكر، وتأخر نزوله فاستأمنوا ونزلوا من قلاعهم إلى الموصل، واستولت عليها العساكر وغدر بهم مقدم الجيش فقتلهم جميعا، وكانت قلعة بنواحي الجبل لأبي عبد الله المري مع قلاع أخرى، وله فيها مساكن نفيسة، وكان من بيت قديم، فقبض عليه عضد الدولة وعلى أولاده واعتقلهم وملك القلاع.

ثم أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد واستخدم أبا طاهر من ولده واستكتبه وكان حسن الخط واللفظ.

وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة

ثم توفي عضد الدولة ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ولايته العراق، وجلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان للعزاء، فجاءه الطائع معزياً، وكان عضد الدولة بعيد الهمة شديد الهيبة حسن السياسة ثاقب الرأي محباً للفضائل وأهلها، وكان كثير الصدقة والمعروف ويدفع المال لذلك إلى القضاة ليصرفوه في وجوهه.

وكان محبا للعلم وأهله مقربا لهم محسنا إليهم، ويجلس معهم ويناظرهم في المسائل، فقصده العلماء من كل بلد، وصنفت الكتب باسمه كالإيضاح في النحو والحجة في القراءات والملكي في الطب والتأخي في التواريخ وعمل البيمارستانات وبنى القناطر.

وفي أيامه حدثت المكوس على المبيعات، ومنع من الاحتراف ببعضها، وجعلت متجراً للدولة.

ولما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والأمراء على ابنه أبي كاليجار المرزبان وولوه الملك مكانه، ولقبوه صمصام الدولة، فخلع على أخيه أبي الحسن أحمد وأبي ظاهر فيروز شاه وأقطعهما فارس وبعثهما إليها.

استيلاء شرف الدولة بن عضد الدولة على فارس واقتطاعها من أخيه صمصام الدولة

كان شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك قد ولاه أبوه عضد الدولة قبل موته كرمان وبعث إليه، فلما بلغه وفاة أبيه سار إلى فارس فملكها وقتل نصر بن هارون النصراني وزير أبيه لأنه كان يسيء عشرته، وأطلق الشريف أبا الحسن محمد بن عمر العلوي، كان أبوه حبسه بما قال عنه وزيره المظهر بن عبد الله عند قتله نفسه على البطيحة.

وأطلق النقيب أبا أحمد والد الشريف الرضي والقاضي أبا محمد بن معروف وأبا نصر خواشادة، وكان أبوه حبسهم وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة وخطب لنفسه، وتلقب بأخي الدولة ووصل أخوه أبو الحسن أحمد وأبو ظاهر فيروزشاه اللذان أقطعهما صمصام الدولة بشيراز فبلغهما خبر شرف الدولة بشيراز فعد إلى الأهواز، وجمع شرف الدولة وفرق الأموال، وملك البصرة وولى عليها أخاه أبا الحسين.

ثم بعث صمصام الدولة العساكر مع ابن تتش حاجب أبيه، وأنفذ مشرف الدولة مع أبي الأغر دبيس بن عفيف الأسدي، والتقيا بظاهر عقرقوف، وانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر ابن تتش الحاجب واستولى حينئذ الحسين بن عضد الدولة على الأهواز ورامهرمز وطمع في الملك.

وفاة مؤيد الدولة صاحب أصفهان والري وجرجان وعود فخر الدولة إلى ملكه

ثم توفي مؤيد الدولة يوسف بن بويه بن ركن الدولة صاحب أصفهان والري بجرجان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة واجتمع أهله للشورى فيمن يولوه، فأشار الصاحب إسماعيل بن عباد بإعادة فخر الدولة إلى ملكه لكبر سنه.

وتقدم إمارته بجرجان وطبرستان، فاستدعوه من نيسابور، وبعث ابن عباد من استخلفه لنفسه، وتقدم إلى جرجان فتلقاه العسكر بالطاعة وجلس على كرسيه وتفادى ابن عباس من الوزارة فمنعه واستوزره، والتزم الرجوع إلى إشارته في القليل

والكثير، وأرسل صمصام الدولة وعاهده على الاتحاد والمظاهرة.

ثم عزل الأمير نوح أبا العباس تاش عن خراسان، وولى عليها ابن سيجور، فانتقض تاش ولقيه ابن سيجور فهزمه فلحق بجرجان،فكافأه فخر الدولة وترك له جرجان ودهستان وأستراباذ وسار عنها إلى الري وأمده بالأموال والآلات، وطلب خراسان فلم يظفر بها فأقام بجرجان ثلاث سنين.

ثم مات سنة سبع وتسعين وثلاثمائة كما ذكرنا في أخبار بني سامان.

انتقاض محمد بن غانم على فخر الدولة

قد تقدم لنا ذكر غانم البرزيكاني خال حسنويه، وأنهم كانوا رؤساء الأكراد، وأنه مات سنة خمسين وثلاثمائة وكان ابنه دلسيم مكانه في قلاعه فستتان وغانم أبا، وملكها منه أبو الفتح بن العميد.

ولما كانت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة انتقض محمد بن غانم بناحية كردون من أعمال قم على فخر الدولة، ونهبت غلات السلطان وامتنع بحصن الفهجان واجتمع إليه البرزيكاني.

وسارت العساكر لقتاله في شوال فهزمها مرة بعد أخرى إلى أن بعث فخر الدولة إلى أبي النجم بدر بن حسنويه بالنكير في ذلك، فصالحه أول أربع وسبعين وثلاثمائة ثم سارت إليه العساكر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فقاتلها وأصيب بطعنة، ثم أخذ أسيراً ومات بطعنته.

تغلب باد الكردي على الموصل من يد الديلم ثم رجوعها إليهم

قد تقدم لنا استيلاء عضد الدولة على الموصل وأعمالها، وتقدم لنا ذكر باد الكردي خال بني مروان، وكيف خان عضد الدولة لما ملك الموصل، وطلبه فصار يخيف ديار بكر ويغير عليها حتى استفحل أمره وملك ميافارقين كما ذكرنا ذلك كله في أخبار بني مروان، وأن صمصام الدولة جهز إليه العساكر مع أبي سعيد بهرام بن أردشير، فهزمه باد وأسر أصحابه، فأعاد صمصام الدولة إليه العساكر مع أبي سعيد الحاجب، وفتك باد في الديلم بالقتل والأسر.

ثم اتبع سعيد خانور الحسينية من بلد كواشي فانهزم سعيد الحاجب إلى الموصل وثارت العامة بالديلم.

وملك باد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة الموصل، وحدث نفسه بملك بغداد، وأخرج الديلم عنها.

واهتم صمصام الدولة بأمره، وبعث زياد بن شهراكونه من أكبر قواد الديلم لقتاله، واستكثر له من الرجال والعدد والمال، وسار إلى باد فلقيه في صفر سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وانهزم باد وأسر أكثر أصحابه، ودخل زياد بن شهراكونه الموصل، وبعث سعيد الحاجب في طلب باد فقصد جزيرة ابن عمر وعسكر آخراً في نصيبين.

وجمع باد الجموع بديار بكر، وكتب صمصام الدولة إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بتسليم ديار بكر له، فبعث إليها عساكره من حلب وحاصروا ميافارقين وخاموا عن لقاء باد فرجعوا عن حلب، ووضع سعيد الحاجب رجلاً لقتل باد،فدخل عليه وضربه في خيمته فأصابه وأشرف على الموت منها، فطلب الصلح على أن يكون له ديار بكر والنصف من طور عبدين، فأجابه الديلم إلى ذلك، وانحدروا إلى بغداد وأقام سعيد الحاجب بالموصل إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة أيام مشرف الدولة فتجرد الكردي وطمع في الموصل، وولى مشرف الدولة عليها أبا نصر خواشاده، وجهزه بالعساكر، ولما زحف إليه باد الكردي كتب إلى مشرف الدولة يستمد العساكر والأموال، فأبطأ عليه المدد، فاستدعى العرب من بني عقيل وبني نمير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها، وانحدر باد واستولى على طور عبدين ولم يقدر على النزول على الصحراء، وبعث أخاه في عسكر لقتال العرب فهزموه وقتلوه.

ثم أتاهم الخبر بموت مشرف الدولة، فعاد خواشاده إلى الموصل وأقامت العرب بالصحراء يمنعون باد من النزول وينتظرون خروج خواشاده لمدافعة باد وحربه، وبينما هم في ذلك جاء إبراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان فملكا الموصل كما ذكرنا في أخبار دولتهم.

استيلاء صمصام الدولة على عمان ورجوعها لمشرف الدولة

كان مشرف الدولة استولى على فارس وخطب له بعمان، وولى عليها أستاذ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصام الدولة، وخطب له بعمان فبعث مشرف الدولة إليه عسكراً فهزموا أستاذ هرمز وأسروه، وحبس ببعض القلاع وطولب بالأموال، وعادت عمان إلى مشرف الدولة.

خروج أبي نصر بن عضد الدولة على أخيه صمصام الدولة وانهزامه وأسره

كان أسفار بن كردويه من أكابر قواد الديلم واستوحش من صمصام الدولة فمال عن طاعته إلى أخيه مشرف الدولة وهو بفارس، وداخل رجال الديلم في صمصام الدولة وأن ينصبوا بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة نائباً عن أخيه مشرف الدولة حتى يقدم من فارس، وتمكن أسفار من الخوض في ذلك، فمرض صمصام الدولة وتأخر عن حضور الدار وراسله صمصام الدولة أنه لا ذنب له لأنه كان صبياً، فاعتقله مكرماً، وسعى إليه بابن سعدان وزيره أوهواه كان معهم فعزله وقتله ومضى أسفار إلى أبي الحسن بن عضد الدولة بالأهواز ومضى بقية العسكر إلى مشرف الدولة بفارس.

استيلاء القرامطة على الكوفة بدعوة مشرف الدولة ثم انتزاعها منهم

كان للقرامطة محل من البأس والهيبة عند أهل الدول، وكانوا يدافعونهم في أكثر الأوقات بالمال، وأقطعهم معز الدولة وابنه بختيار ببغداد وأعمالها، وكان يأتيهم ببغداد أبو بكر بن ساهويه يحتكم بحكم الوزراء، فقبض عليه صمصام الدولة وكان على القرامطة في هجر ونيسابور مشتركان في إمارتهما، وهما إسحاق وجعفر.

فلما بلغهما الخبر سارا إلى الكوفة فملكاها وخطبا لمشرف الدولة، وكاتبهما صمصام الدولة بالعتب فذكرا أمرهما ببغداد، وانتشر القرامطة في البلاد وجبوا الأموال، ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر من أكابرهم إلى الجامعين فسرح صمصام الدولة العسكر ومعهم العرب، فعبروا الفرات وقاتلوه فهزموه وأسروه، وقتلوا جماعة من قواد القرامطة.

ثم عاودوا عسكراً آخر ولقيتهم عساكر صمصام الدولة بالجامعين فانهزم القرامطة وقتل مقدمهم وغيره، وأسروا منهم العساكر وساروا في اتباعهم إلى القادسية فلم يدركوهم.

استيلاء مشرف الدولة على الأهواز ثم على بغداد واعتقال صمصام الدولة

ثم سار مشرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس لطلب الأهواز، وقد كان أخوه أبو الحسين تغلب عليها عند انهزام عساكر صمصام الدولة سنة اثنتين وسبعين، وكان صمصام الدولة عندما ملك بعث أبا الحسين وأبا ظاهر أخويه على فارس كما قدمناه، فوجدا أخاهما مشرف الدولة قد سبقهما إلى ملكها.

وعندما ملك فارس والبصرة ولاهما على البصرة، فلما انهزمت عساكر صمصام الدولة أمام عسكر مشرف الدولة بعث أبا الحسين على الأهواز فملكها وأقام بها، واستخلف على البصرة أخاه أبا ظاهر، فلما سار مشرف الدولة هذه السنة إلى الأهواز قدم إليه الكتاب بأن يسير إلى العراق، وأنه يقره على عمله، فشق ذلك على أبي الحسين، وتجهز للمدافعة، فعاجله مشرف الدولة عن ذلك.

وأغذ السير إلى أرجان فملكها، ثم رامهرمز، وانتقض أجناده ونادوا بشعار مشرف الدولة، فهرب إلى عمه فخر الدولة بالري، وأنزله بأصفهان ووعده بالنصر، وأبطأ عليه فثار في أصفهان بدعوة أخيه مشرف الدولة فقبض عليه جندها وبعثوا به إلى الري، فحبسه فخر الدولة إلى أن مرض واشتد مرضه فأرسل من قتله في محبسه.

ولما هرب أبو الحسين من الأهواز سار إليها مشرف الدولة، وأرسل إلى البصرة قائداً فملكها، وقبض على أخيه أبي ظاهر وبعث إليه صمصام الدولة في الصلح، وأن يخطب له ببغداد، وسارت إليه الخلع والألقاب من الطائع، وجاء من قبل صمصام الدولة من يستخلفه، وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر الكوفي، فكان يستحثه إلى بغداد.

وفي خلال ذلك جاءته كتب القواد من بغداد بالطاعة، وبعث أهل واسط بطاعتهم فامتنع من إتمام الصلح، وسار إلى واسط فملكها وأرسل صمصام الدولة أخاه أبا نصر يستعطفه بالسلافة فلم يعطف عليه.

وشغب الجند على صمصام الدولة فاستشار صمصام الدولة أصحابه في طاعة أخيه فنهوه.

وقال بعضهم: نصعد إلى عكبرا ونتبين الأمر، وإن دهمنا ما لا نقوى عليه سرنا إلى الموصل وننتصر بالديلم، وقال آخرون: نقصد فخر الدولة بأصفهان، ثم نخالفه إلى فارس فنحتوي على

خزائن مشرف الدولة وذخائره فيصالح كرهاً فأعرض عنهم، وركب صمصام الدولة إلى أخيه مشرف الدولة في خواصه فتلقاه بالمبرة، ثم قبض عليه وسار إلى بغداد فدخلها في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأخوه صمصام الدولة في اعتقاله بعد أربع سنين من إمارته بالعراق.

أخبار مشرف الدولة في بغداد مع جنده ووزرائه

لما دخل مشرف الدولة بغداد كان الديلم معه في قوة وعدد، تنتهي عدتهم إلى خمسة عشر ألفاً، والأتراك لا يزيدون على ثلاثة آلاف.

فاستطال الديلم بذلك وجرت بين اتباعهم لأول دخولهم بغداد مصاولة آلت إلى الحرب بين الفريقين، فاستظهر الديلم على الترك وتنادوا بإعادة صمصام الدولة إلى ملكه، فارتاب بهم مشرف الدولة ووكل بصمصام الدولة من يقتله إن هموا بذلك.

ثم أتيحت الكرة للأتراك على الديلم وفتكوا فيهم، وافترقوا واعتصم بعضهم بمشرف الدولة.

ثم دخل من الغد إلى بغداد فتقبله الطائع وهنأه بالسلامة.

ثم أصلح بين الطائفتين واستحلفهم جميعاً، وحمل صمصام الدولة إلى قلعة ورد بفارس فاعتقل بها، وكان نحرير الخادم يشير بقتله فلا يجيبه أحد، واعتقل سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وأشرف على الهلاك، ثم أشار نحرير في قتله أو سمله، فبعث لذلك من يثق به فلم يقدم على سمله حتى استشار أبا القاسم بن الحسن الناظر هناك فأشار به فسمله.

وكان صمصام الدولة يقول: إنما أعماني العلاء لأنه في معنى حكم سلطان ميت.

ولما فرغ مشرف الدولة من فتنة الجند صرف نظره إلى تهذيب ملكه، فرد على الشريف محمد بن عمر الكوفي جميع أملاكه، وكانت تغل في كل سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم، ورد على النقيب أبي أحمد والد الرضي جميع أملاكه.

وأقر الناس على مراتبهم، وكان قبض على وزيره أبي محمد بن فسانجس وأفرج عن أبي منصور الصاحب، واستوزره فأقره على وزارته ببغداد.

وكان قراتكين قد أفرط في الدولة والضرب على أيدي الحكام فرأى أن يخرجه إلى بعض الوجوه، وكان حنقاً على بدر بن حسنويه لميله مع عمه فخر الدولة، فبعثه إليه في العساكر سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فهزمه بدر بوادي قرمسين بعد أن هزمه قراتكين أولاً.

ونزل العسكر فكر عليهم بدر فهزمهم وأثخن فيهم ونجا قراتكين في الفل إلى جسر النهروان حتى اجتمع إليه المنهزمون، ودخل بغداد واستولى بدر على أعمال الجبل.

ولما رجع قراتكين أغرى الجند بالشغب على الوزير أبي منصور بن صالحان، فأصلح مشرف الدولة بينه وبين قراتكين.

وحقدها له فقبض عليه بعد أيام وعلى جماعة من أصحابه، واستصفى أموالهم وشغب الجند من أجله فقتله، وقدم عليهم مكانه طغان الحاجب.

ثم قبض سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة على شكر الخادم خالصة أبيه عضد الدولة وخالصته، وكان يحقد عليه من أيام أبيه من سعاياته فيه منها إخراجه من بغداد إلى كرمان تقرباً إلى أخيه صمصام الدولة بإخراجه.

فلما ملك مشرف الدولة بغداد اختفى شكر فلم يعثر عليه، وكان معه في اختفائه جارية حسناء فعلقت بغيره، وفطن لها فضربها فخرجت مغاضبة له.

وجاءت إلى مشرف الدولة فدلت عليه فأحضره وهم بقتله، وشفع فيه نحرير الخادم حتى وهبه له.

ثم استأذن في الحج وسار من مكة إلى مصر فاختصه خلفاء الشيعة وأنزلوه عندهم بالمنزلة الرفيعة.

وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه بهاء الدولة

ثم توفي مشرف الدولة أبو الفوارس سرديك بن عضد الدولة ملك العراق في منتصف تسع وسبعين وثلاثمائة لثمانية أشهر وسنتين من ملكه، ودفن بمشهد علي.

ولما اشتدت علته بعث ابنه أبا علي إلى بلاد فارس بالخزائن والعدد مع أمه وجواريه في جماعة عظيمة من الأتراك، وسأله أصحابه إن يعهد فقال: أنا في شغل عن ذلك، فسألوه نيابة أخيه بهاء الدولة ليسكن الناس إلى أن يستفيق من مرضه، فولاه نيابته.

ولما جلس بهاء الدولة في دست الملك، ركب إليه الطائع فعزاه وخلع عليه خلع السلطنة، وأقر بهاء الدولة أبا منصور بن